

[٣٤] ﴿قُلْ: هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يبيده من النطفة ويجعل فيه الروح ، ثم يحييه يوم القيامة ﴿قُلْ: اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَتَى تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تُصرفون إلى عبادة غيره .

[٣٥] ﴿قُلْ: هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ كعبث الرسل ، وإيتاء العقل ﴿قُلْ: اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ، أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله تبارك وتعالى ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ أي : يعبد ويطاع ﴿أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي﴾ كالأصنام التي لا تملك لنفسها شيئاً ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ فما لكم ﴿الاستفهام هنا للإنكار والتعجب﴾ كيف تحكمون ﴿بالباطل ، حيث تزعمون أن الأوثان أنداد لله .

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ﴾ في اعتقادهم ألوهية الأصنام ، والمراد بالأكثر : جمع المشركين ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ غير مستند لبرهان ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي : من العلم والاعتقاد الحق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ .

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فأعجازه يمتنع أن يكون من صنع البشر ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ أي : مصدقاً للتوراة والإنجيل والزبور بالتوحيد ، وصفة النبي ﷺ ﴿وتفصيل الكتاب﴾ وتبيين ما كتب وفُرض من الأحكام والشرائع ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شك فيه وأنه منزل من رب العالمين .

[٣٨] ﴿أَمْ يَقُولُونَ: افْتَرَاهُ﴾ أي : أيقروا به بعد ما بينا حقيقته أم يصرون على أنه افتراء ، والافتراء : الكذب والاختلاق ﴿قُلْ: فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ إن كان الأمر كما تزعمون فاتوا بسورة مثله في البلاغة وأنتم أهل اللغة والفصاحة ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي : واستعينوا بمن شئتم على ذلك ، وهذا القول من باب التحدي لاستحالة إتيانهم بمثل القرآن الكريم .

[٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي : سارعوا إلى التكذيب به قبل أن يفقهوه ويعلموا حقيقة أمره ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي : بيان ما يؤول إليه ، مما توعدهم فيه ، لأنه إذا ظهرت حقائقه لا يمكن لأحد تكذيبه ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ بآيات الرسل ، قبل التدبر في معانيها ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ من هلاكهم بسبب تكذيبهم .

[٤٠] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يصدق به في نفسه ، ولكن يكابر بالتكذيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أي : الكافرين ، وفيها تهديد لهم .

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ: لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي : لكل جزاء عمله ﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ أي : إن أصروا على تكذيبك ، فتراهم منهم ، فقد أعدت .

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي : أطمع بهدياتهم ، وقد اجتمع عليهم الصمم وذهاب العقل ؟ .

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَتَى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانُوا يُكْبِتُونَ ﴿٤٥﴾ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٧﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ بَيِّنَةٍ أَوْ نُهُارًا مَآذٍ اسْتَعْجِلَ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥١﴾ أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ أَمَنْتُمْ بِهِ أَمْ لَكُمْ شَيْءٌ أَكْثَرُ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٣﴾ وَيَسْتَعِزُّونَكَ أَهَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٤﴾

الآخرون السابقون يوم القيامة ، المقضي لهم قبل الخلائق) .

[٤٨] ﴿ويقولون : متى هذا الوعد﴾ استبعاداً له ، واستهزاء به ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في وقوعه .

[٤٩] ﴿قُلْ: لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ والمعنى : لا أملك شيئاً ما ، لي ولا لكم ، وإنما الأمر كله بيد الله إن شاء عجل لكم العقوبة أو أجلها ﴿لكل أمة أجل ، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ .

[٥٠] ﴿قُلْ: أَرَأَيْتُمْ﴾ أي : أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الذي تستعجلون به ﴿بَيِّنَةً أَوْ نُهُارًا ، مَآذٍ اسْتَعْجِلَ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ .

[٥١] ﴿أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ أَمَنْتُمْ بِهِ﴾ أبعد ما وقع العذاب أمنت به حين لا ينفعكم الإتيان ؟ ﴿الآن وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فمثل هذا الاستعجال لا يصدر ممن له عقل ، إذ لا يستعجل إلا ما يرجى خيره . [٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي : أشركوا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ من الخلود وهو ما لا نهاية له ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي : إلا جزاء ما كنتم تقولون وتعملون في الدنيا .

[٥٣] ﴿ويستعِزُّونَكَ﴾ أي : يستخبرونك ﴿أَهَقُّ هُوَ﴾ أي : الوعد بعذاب الخلد ، أو ادعاء النبوة أو القرآن ﴿قُلْ: إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فالعذاب واقع بكم ، لا يعجز من يوقعه بكم عن إدراككم . [وقال ابن كثير : هذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان ، يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد : في سورة سبأ ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾ الآية رقم : ٣ ، وفي التغابن ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ الآية رقم : ٧] .

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ، أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ يعني : أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا ، كالصم والعمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول .

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ بتعذيبهم من غير أن تقوم الحجة عليهم من الرسل والعقل واستعمال الحواس السليمة ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بالكفر والتكذيب وتعطيل التفكير والحواس .

[٤٥] ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ، يتعارفون بينهم﴾ فيعرف بعضهم بعضاً ، كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلاً ﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾ أي : كذبوا بالبعث بعد الموت ﴿وما كانوا مهتدين﴾ من الكفر والضلال .

[٤٦] ﴿وإمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ذلك ﴿فَالِئِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من مساوىء الأفعال .

[٤٧] ﴿ولكل أمة رسول﴾ أرسل لهدايتهم ، وتركيتهم بما يصلحون ﴿فإذا جاء رسولهم﴾ فبلغهم ما أرسل به فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وهم لا يظلمون﴾ في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم ، لأنه من نتائج أعمالهم . [قال ابن كثير : فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسوله ، وكتاب أعمالها من خير وشر شاهد عليها وحفظتهم من الملائكة شهود أيضاً وجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : (نحن



[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مِنْ أَرْضٍ لَأَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم . [قال ابن جرير: إن الله هو المحيي المميت ، لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ، ولا إماتتهم إذا أراد ذلك ، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم ، فيعابنون ما كانوا به مكذبين من وعيد الله وعقابه .]

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُصُوحٌ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٥٨] ﴿قُلْ : بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ يعني بالفضل : القرآن وبرحمته يعني : الإسلام ﴿فَبِذَلِكَ﴾ أي : فيمجيئها ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ هو خير مما يجمعون ﴿من الأموال وأسباب الشهوات .

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مِنْ أَرْضٍ لَأَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٥٤] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥٥] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٥٦] ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُصُوحٌ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٥٧] ﴿قُلْ : بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [٥٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رَبِّ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [٥٩] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [٦٠] ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٦١]

الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام .

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ جمع ولي بمعنى المحب أو الذين يتولونه بالطاعة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من الفزع الأكبر يوم القيامة . [قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله . وقال رسول الله ﷺ : (إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء) قيل : من هم يا رسول الله لعلنا نجهم ؟ قال : (هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس) ثم قرأ : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أخرجه ابن جرير ورواه أبو داود - ابن كثير .

[٦٣] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون ﴿أي : يخافون ربهم ، فيفعلون أوامره ، ويتجنبون نواهيه . وأولياء الله على طبقتين : سابقون ومقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون ، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ، فالأبرار أصحاب اليمين ، هم المقربون إلى الله بالفرائض ، يفعلون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات . وأما السابقون المقربون ، فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا النواجيات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات . فأولياء الله يعتبرون بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ لهم البشارة فيها بالجنة ﴿لا تبدل لكلمات الله﴾ أي : لمواعيده ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ الجنة ونجاتهم من النار . [٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُ قَوْلُهُمْ﴾ لا تتأثر بقولهم ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فهو يغلبهم وينصرهم عليهم ﴿هو السميع﴾ لأقوالهم فيجازيهم ﴿العليم﴾ لما ينبغي أن يفعل بهم . [٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يقدرون على شيء غير إذنه ومشيئته ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ سموها شركاء لجهلهم ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ الباطل ﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يختلقون ويفترون . [٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ خلقه لكم لتراحوا فيه بعد تعبكم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئاً ، تبصرون فيه مطالب رزقكم وكسبكم ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار . [٦٨] ﴿قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ سبحانه ﴿تنزيه له عن أن يجانس أحداً ، أو يحتاج إليه ، وتعجب من كلمتهم الحمقاء﴾ هو الغني ، له ما في السموات وما في الأرض ، إن عندكم من سلطان بهذا ﴿ما عندكم من حجة بهذا القول الباطل وهو ادعاؤهم أن الله اتخذ ولداً وهو المستغني عن كل ما عداه ، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴿توبيخ وتقريع لهم على جهلهم . [٦٩] ﴿قُلْ : إِنْ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بالتخاذ الولد ، وإضافة الشركاء ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا يفوزون . [٧٠] ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ لهم تمتع قليل في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم .

[٧١] ﴿وَإِنَّا عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ﴾ أي : مع قومه المغترين بعزة الأموال والأعوان ، فلعلهم يكفون عن كفرهم ، وتلين أفئدتهم ، ويستيقنون صحة نبوتك ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ أي : شق وثقل ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ مكاني ، أو مدة دعوتي إليكم ﴿وَتَذَكَّرِي﴾ بآيات الله ﴿بِحُجْجِهِ وَبِرَاهِينِهِ﴾ فعلى الله توكلت ﴿اعتمدت في دفع ما قصدوني به﴾ فأجمعوا أمركم ﴿شأنكم في إهلاكهم﴾ وشركاءكم يعني ألفتهم ، وهو تهكم بهم ، أو نظراءهم في الشرك ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي : مستورا ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي : أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني . [قال ابن جرير : وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره ، عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه : إنه بنصرة الله له عليهم واثق ، ومن كيدهم وبوائقهم غير خائف ، وإعلام منه لهم أن ألفتهم لا تضر ولا تنفع . وقال ابن كثير : والمراد أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة وأنجى من آمن برسله من بعد نوح عليه السلام ، فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام على الإسلام ، إلى أن أخذت الناس عبادة الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام] .

[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان بما جئتكم به ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ ، إن أجري إلا على الله ﴿هُوَ يَشِينِي﴾ على تذكيري إياكم ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين له وحده بالإيمان به .

﴿وَإِنَّا عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني : نوحاً ، وأرسل عليهم الطوفان ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقِفَ﴾ أي : خلفاء الذين أغرقوا ليعمروا الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أي : منتهى أمرهم .

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ يعني : هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعبياً ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات الدالة على صدقهم ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ بسبب تعودهم تكذيب الحق ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ الذين كذبوا رسولهم واعتدوا عليهم .

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾ إلى فرعون وملئه بآياتنا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ بِالْبُرْهَانِ وَالْمُعْجَزَاتِ﴾ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴿كَفَاراً ذَوِي آثَامٍ كَبِيرَةٍ﴾ .

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ والحق : الآيات والبراهين الواضحة ﴿قَالُوا﴾ من فرط التمرد ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى﴾ أتقولون للحق لما جاءكم أسحراً هذا ؟ استفهام إنكاري من موسى ، ذلك لأن معجزاته من الله ، وهي حق وليست من أوهام السحر ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ وهذا تأكيد من موسى على بطلان السحر .

[٧٨] ﴿قَالُوا﴾ لموسى ﴿أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ يعنون عبادة الأصنام ﴿وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك والسلطان ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يعنون : أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَامَ أَنتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءٌ آمِنٌ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنِينَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بَيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

عليه . وإن أريد الإسلام بمعنى الإنقياد ، أي إن صح إيمانكم يقيناً فعليه توكّلوا بشرط أن تكونوا منقادين لإرادة له .

[٨٥] ﴿فَقَالُوا﴾ على الله توكلنا ، ربنا لا نجعلنا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا﴾ .

[٨٦] ﴿وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ونجنا من كيدهم .

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بَيُوتًا﴾ اتخذوا بها بيوتاً ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مَضَلَّ ، مكاناً للصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فيها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر في الدنيا ، والجنة في الآخرة . [اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى : ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فقال ابن عباس رضي الله عنهما : أمروا أن يتخذوها مساجد . وقال الثوري عن إبراهيم : كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم ، وأمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ ، وفي الحديث : (كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى) أخرجه أبو داود . وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال : قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة ، فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا في بيوتهم وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة - ابن كثير . [٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً ﴿من اللباس والمراكب والحي﴾ وأموالاً في الحياة الدنيا ، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴿أهلكها﴾ ، لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اجعلها قاسية ، واطبع عليها ، حتى لا تشرح للإيمان ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يعابونه ويوقنوا به . قال ابن كثير : هذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام ، غضباً لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبين له أنه لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء .

[٨٩] قال تعالى ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ ﴾ الخُطَاب لموسى وهارون ﴿ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ ﴾ في الاستعجال ، أو

عدم الوثوق بوعده تعالى . قال ابن عباس : فاستقيما فامضيا لأمرى وهي الاستقامة . قال ابن جريج : يقولون إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة . وقيل : أربعين يوماً ﴿ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني : طريق فرعون وقومه وكل مشرك بالله مستعجل للعقوبة وجاحد بوعده تعالى .

[٩٠] ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ فرقناه لهم حتى ظهرت اليابسة ليتجاوزوه ويسلكوه هرباً من فرعون وقومه ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ ﴾ فلحقهم ﴿ فَرَعُونَ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوا ﴾ لأجل البغي عليهم والاعتداء ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ﴾ حيث أعاد الله البحر على هباته ﴿ قَالَ ﴾ فرعون يرجو النجاة من الغرق ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : (لما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، قال لي جبريل : لو رأيته وقد أخذت من حال البحر - طينه الأسود - فسدسته في فيه خافة أن تناله الرحمة) رواه أحمد .

[٩١] ﴿ الْآنَ ﴾ تؤمن وتسلم لتنجو من الغرق ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ ﴾ كفرت بالله من قبل الغرق ﴿ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ بالضلال والإضلال ، والظلم .

[٩٢] ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِكَدِّكَ ﴾ نخرجك من البحر بجسدك الذي لا روح فيه ، فرأه بنو إسرائيل ملقى على شاطئ البحر ميتاً [روى ابن جرير عن ابن عباس قال : لما جاوز موسى البحر بجميع من معه التقى البحر عليهم - يعني على فرعون وقومه - فأغرقهم ، فقال أصحاب موسى : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ، ولا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه فأخرجه ، فنذبه حتى استيقنوا بهلاكه] ﴿ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ﴾ من الأمم الكافرة ﴿ آيَةً ﴾ عبرة من الطغيان والتمرد على أوامره تعالى ﴿ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

[٩٣] ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ ﴾ ورزقناهم من الطيبات ﴿ وَهِيَ الْمَنَ وَالسَّلَوى فِي التَّيِّبَةِ وَبَعْدَهُ ﴾ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴿ فَمَا تَفَرَّقُوا عَلَى مَذَاهِبَ شَتَّى فِي أَمْرِ دِينِهِمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ مَا يَبِينُ أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يَتْلُوهُ ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يميز الحق من المبط .

[٩٤] ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ من قصص موسى وفرعون وبني إسرائيل ﴿ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَاقُرْءُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي : التوراة ﴿ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ الشاكين في أنه منزل من عنده سبحانه ، وقد روي أنه ﷺ قال حين نزول الآية : (لا أشك ولا أسأل) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير . وقيل : الخطاب له ﷺ والمراد غيره . [٩٥] ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المقصود بهذا الخطاب التهيج والإلهاب . [٩٦] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أي : وجب أمره بعذابهم ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . [٩٧] ﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ وعند رؤية العذاب - بدء الانتقام - لا ينفعهم إيمانهم .

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فَرَعُونَ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ أَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

[٩٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلاً ﴿ كَانَتْ قَرْيَةٌ ﴾ من القرى المهلكة بالعذاب ﴿ آمَنْتُ ﴾ قبل نزول العذاب بها ولم تخرج إيمانها إلى حين معينته ، كما فعل فرعون ﴿ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا ﴾ بأن قبل الله منها إيمانها ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا ﴾ أي : صدقوا إنذار يونس لهم فآمنوا وتابوا واستغفروا وأظهروا الندم بعد رحيله عنهم قبل بدء عذابهم ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ أي : إلى انقضاء آجالهم . [الغرض ، قال ابن كثير : إنه لم توجد قرية آمنت بكاملها بنبيهم من سلف من القرى إلا قوم يونس وهم أهل نينوى ، وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أُنذروهم به رسولهم . وروى ابن جرير عن قتادة قوله : لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس ، لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ، ولبسوا المسوح ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجزوا إلى الله أربعين ليلة فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة على ما مضى منهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم] .

[٩٩] ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾ لكان الناس جميعهم مؤمنين ، لا يختلفون ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ ﴾ على ما لم يشأ الله منهم ﴿ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي : ليس لك ذلك ولا عليك وفي ذلك ترويح لقلبه عما كان يحرص عليه من إيمانهم .

[١٠٠] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلا

بإرادته وتوفيقه ﴿ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ ﴾ الخذلان ﴿ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ لا يفقهون الحجج والبراهين .

[١٠١] ﴿ قُلْ : أَنْظِرُوا ﴾ تفكروا ﴿ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من الآيات الدالة على توحيده وكمال قدرته ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ ﴾ أي : الرسل المُنذرون ﴿ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ما وقع للأمم الكافرة السابقة ﴿ قُلْ ﴾ تهديداً لهم ﴿ فَانظُرُوا ﴾ لتروا عاقبتكم ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾ .

[١٠٣] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي : نهلك الأمم الكافرة ، ثم ننجي رسلنا إليهم ومن آمن بهم منهم ﴿ كَذَلِكَ ، حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من كل شدة وعذاب .

[١٠٤] ﴿ قُلْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ يميتكم ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الموحدين .

[١٠٥] ﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ كناية عن توجيه النفس بالكلية إلى عبادته تعالى ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الأديان الباطلة ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . [١٠٦] ﴿ وَلَا تَدْعُ ﴾ لا تعبد ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إن لم تعبده ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ ﴾ أي : عبدته ﴿ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين يضرُّون أنفسهم ، ويضعون الأمر في غير موضعه .

[١٠٧] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ لما نهى الله عن عبادة الأوثان بيّن سبحانه أنه إن أصاب بضر لا يكشفه غيره وإن أراد بخير فلا يستطيع أحد أن يمنعه ﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فهو وحده جدير بالعبادة لا سواه من الشركاء الذين لا يملكون نفعاً ولا ضرراً .

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾ للكافرين بعد إقامة الحجة عليهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني : القرآن الكريم ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ بالإيمان به ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ ينفعها بذلك ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ بالكفر به ﴿فإنما يضلّ عليها﴾ فما ضرّ إلا نفسه ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ ، موكل إلى أمركم ، وإنما أنا بشير ونذير .

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ في التبليغ ، وإن لم يهتدوا به ﴿وَاصْبِرْ﴾ على أذاهم في الدعوة ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ لك بالنصرة عليهم والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ وقد حكم بهزيمة مشركي قريش يوم بدر .

[سورة هود]

مكية إلا ثلاث آيات : ١٢ و ١٧ و ١١٤ ، أنزلت بالمدينة فألحقت بها ، وآياتها ١٢٣ آية . وفي الحديث : (شيتني هود وأخواتها ، وما فعل بالأمم) رواه الحاكم . [١] ﴿آل﴾ تقدم الكلام على الأحرف المقطعة في أول سورة البقرة ، وتقرأ : ألف ، لام ، را ﴿كتاب﴾ أحكمت آياته ﴿أي﴾ : نظمت نظماً رصيناً محكماً معجزاً محفوظاً عن كل نقص وآفة ﴿ثم فصلت﴾ فصل فيها ما يحتاج إليه العباد ، أي : بيّن ولخص ﴿من لدن حكيم خبير﴾ بيّنها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور . [روى ابن جرير عن الحسن قوله : أحكمت بالأمر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب] .

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنَعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ أَصْدُورَهُمْ لَيْسَتْ خُفُوفًا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

من عاقبة الشرك وأبشركم بثواب التوحيد وفائدته .

[٢] ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ لا تشركوا بالله في عبادته ، وخصّوه وحده بها ﴿إِنِّي﴾ الكلام على لسان الرسول ﷺ ﴿لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ أنذركم

[٣] ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمْنَعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة إلى وقت وفاتكم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ ويعطي كل ذي فضل في العمل الصالح في الدنيا أجره ، وثواب فضله في الآخرة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد والتوبة إليه ، والتولي : الإعراض ﴿فإنني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ هو يوم القيامة .

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالبعث بعد الموت .

[٥] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ أَصْدُورَهُمْ لَيْسَتْ خُفُوفًا مِنْهُ﴾ ألا حين يستغشون ثيابهم يتغشون بها ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأفواههم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب .

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وهو ما تحتاجه لعيشها ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا﴾ مسكنها في الدنيا ، أو في الصلْب ﴿وَيُسَوِّدُهَا﴾ بعد الموت ، أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ﴿في كتاب مبين﴾ مسطور في كتاب عنده تعالى ، مبين عن جميع ذلك . وفي الحديث : (إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) رواه مسلم .

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من الأحد إلى الجمعة ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فالعرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض [وفي الحديث (كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر قبل كل شيء ، ثم خلق سبع سموات) أخرجه ابن جرير] ﴿لِيَسْأَلُكُمْ أَيْكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الابتلاء : الاختبار ، والمعنى : أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما فيها ، وأنعم النعم كلها على الإنسان وكلفه بتكاليف وشرائع في الحياة الدنيا ليختبر المؤمن من الكافر ، والمطيع من العاصي ، والمخلص من المنافق ﴿وَلَيُنْزِلَنَّ﴾ لأهل مكة ﴿إنيكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا : إن هذا القول بالبعث ، أو القرآن المتضمن لذكره﴾ إلا سحر مبين ﴿أي﴾ : باطل مخادع كالسحر .

[٨] ﴿وَلَيُنْزِلَنَّ﴾ أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ﴿إلى وقت محدد﴾ ليقولن : استهزاء ﴿مَا يَحْسِبُ﴾ عنا [أي] :

أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به ؟ تكذيباً منهم به - ابن جرير ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحقاً بهم﴾ أي : دار ونزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب الذي كانوا به يستعجلون .

[٩] ﴿وَلَيُنْزِلَنَّ﴾ الإنسان من رحمة ﴿أي﴾ : نعمة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ إنه لَيُؤْوِسُ ﴿قنوط ، قاطع الرجاء من فضل الله ، بلا صبر ولا تسليم لقضائه﴾ كفور ﴿كفران ، كأنه لم ير خيراً﴾ .

[١٠] ﴿وَلَيُنْزِلَنَّ﴾ نعمة ﴿أي﴾ : المصائب التي ساءتني ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ أشد فرحاً ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أذاقه الله من نعمائه ، يشغله الفرح والفخر عن الشكر .

[١١] ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ، إيماناً بالله ، واستسلاماً لقضائه ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في الرخاء والشدة ﴿أُولَئِكَ هُم مَغْفُورُونَ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على الصبر والأعمال الصالحة .

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَضَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ مخافة أن يقولوا غادياً في العناد ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ أي : هلاً أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز للإنفاق على أتباعه ، أو جاء معه ملك يصدق رسالته ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى : ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك ، ولا تبال بما صدر من المشركين من اقتراحات ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يحفظ ما يقولون ويجازيهم عليه ، فبلغ وحيه ولا تلتفت إليهم .

[١٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ: افْتَرَاهُ﴾ أم يقولون إن القرآن من عندك وليس من عند الله ﴿قُلْ﴾ لهم متحدياً ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ واذعوا ﴿أَي: واستعينوا بـ﴾ من استطعتم ﴿من الإنس والجن﴾ من دون الله ﴿متجاوزينه تعالى﴾ إن كنتم صادقين ﴿في دعواكم أن القرآن من افتراء النبي ﷺ﴾.

[١٤] ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سورٍ مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطبقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك] ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ﴾ أي: القرآن الكريم ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ أي: بما لا يعلمه غيره، من الخلق، والإخبار بالغيب ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ والشرك ظلم عظيم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لتوحيد الله وتصديق رسوله؟ [قال ابن جرير: وكان مجاهد يقول: عني بهذا القول أصحاب محمد ﷺ].

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ نوصل إليهم جزاء أعمالهم فيها من الصحة والرزق. [قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يظلمون نقيراً، يقول: من عمل صالحاً التماس الدنيا صوماً أو صلاة لا يعملها إلا التماس الدنيا، أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعملها وهو في الآخرة من الخاسرين - ابن كثير].

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَالَتِ الْأَرْبَعُ فَلَئِنْ أَتَيْنَا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ أي: في الدنيا وباطل ما كانوا يعملون ﴿لأنه لم يعمل لغرض صحيح﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: برهان نير، وهو القرآن [قال ابن جرير: قيل هو النبي ﷺ وقال آخرون: هو علي بن أبي طالب وقال آخرون: هو جبريل، وقال آخرون: هو ملك يحفظه، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: هو جبريل. ذلك لأن النبي ﷺ لم يتل قبل القرآن كتاب موسى] ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي: يتبعه ﴿شاهد منه﴾ وإعجاز القرآن نفسه يشهد له بكونه من عند الله ﴿ومن قبله﴾ ومن قبل القرآن ﴿كتاب موسى﴾ وهو التوراة ﴿إماماً﴾ يقتدى به في الدين ﴿ورحمة﴾ نعمة عظيمة على الذين أنزل إليهم، تهديهم وتعلمهم الشرائع ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يؤمنون بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ يعني أهل مكة وأنصارهم من المشركين المتحيزين على رسول الله ﷺ ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ فلا تك في مِرْيَةٍ مِنْهُ أي: لا تكن في شك من القرآن أو من الموعد ﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ به.

[١٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كقوله: الملائكة بنات الله، والأصنام: شفعاء عند الله ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أي: يُساقون إليه سوق العبيد المفترين على ملوكهم ﴿ويقول الأشهاد﴾ من الملائكة والنبيين والجوارح ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وعلى كتابه. [١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الذين يمنعون الناس عن دينه القويم ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبونها معوجة بالكفر ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِي الرَّاْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِنِّي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مُكُومَهَا وَاتَّمَّهَا كَرَهُونَ ﴿٢٨﴾

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِي الرَّاْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِنِّي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا مُكُومَهَا وَاتَّمَّهَا كَرَهُونَ ﴿٢٨﴾

مُبِينٌ ﴿أي: فقال: إني لكم نذير أمين لكم موجبات العذاب، ووجه الخلاص منه﴾. [٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة. [٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ السادة والكبراء ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ فكيف أوحى إليك من دوننا؟ ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِي الرَّاْيِ﴾ بمعنى أنهم آمنوا من غير روية وتأمل، أول وهلة ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ الخطاب لنوح وأتباعه ﴿عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: تقدم يؤهلكم للنوبة، لأن الفضل محصور عندهم بالغنى والمال ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ فيما تدعونه من الإصلاح. [وهذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه، وهو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنه ليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء، والذين يابسونهم هم الأراذل ولو كانوا أغنياء. والغالب على الأشراف والكبراء مخالفة الحق - ابن كثير].

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿يَا قَوْمِ ارْأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ برهان ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ من العلوم اللدنية، ومقام النبوة ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ﴾ لاحتجابكم بالظاهر عن الباطن ﴿أَنْزَلْنَا مُكُومَهَا وَأَتَمَّهَا كَارَهُونَ﴾ يعني: أنكرهكم على قبولها والاعتداء بها، فلاستفهام للإنكار، والمقصود، لا نقدر على إلزامكم كرهاً، وسيلنا دعوتكم إلى الله والاختيار لكم. [قال ابن جرير: قال قتادة: أما والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه].

[٢٩] ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقَوْنَ بِهِمْ وَلِكُنِّي أَرْبَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [٢٩] وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُمْ أَنَا نَذْكَرُونَ [٣٠] وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ [٣١] قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأُنْبِئْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [٣٢] قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [٣٣] وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٣٤] أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِن افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْكُرُونَ [٣٥] وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [٣٦] وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ [٣٧]

[٣٠] ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُمْ﴾ وهو ناصر المظلومين سبحانه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون فتنتهوا عما تقولون ؟

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي : رزقه وأمواله ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ولا أدعي معرفتي بما تأتي به الأيام ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ فأنا بشر مثلكم ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي : تحتقرهم ، وهم الفقراء المؤمنون ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ في الدنيا والآخرة ، إن الخير عندكم المال وأنا أرى الخير ما عند الله سبحانه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الخير ﴿إِنِّي إِذَا﴾ إذا قلت ذلك ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي : أكون من الظالمين إذا ازدريتهم أو بخستهم حقهم . [يخبرهم أنه رسول من الله يدعو إلى عبادة الله وحده ، ولا يسألهم على ذلك أجراً ، ثم هو يدعو الشريف والوضيع فمن استجاب له فقد نجا ، ويخبرهم أنه لا قدرة له على التصرف في خزائن الله ، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلع الله عليه ، وليس هو بملك من الملائكة ، بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات - ابن كثير .]

[٣٢] ﴿قَالُوا﴾ قال قومه له ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا﴾ أطلته ، ونوعته ﴿فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وقولهم هذا من باب الاستهزاء لكفرهم بنبوته .

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ قال نوح ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ﴾ إِنَّمَا يتولى عذابكم الله الذي كفرتم به ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بالهرب منه أو بدفعه عنكم . [٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ إن كان الله يريد أن يغويكم أن يدمركم بسبب كفركم ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ مالك أمركم ﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم . [٣٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي : قوم نوح ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي افترى النصح ، وربما انصرف المعنى إلى قسوم النبي ﷺ إنهم يعنون افتراءه ﷺ لنبا نوح ﴿قُلْ﴾ إن افتريته فعلي إجرامي ﴿أَي﴾ إثم ذنبي ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْكُرُونَ﴾ .

[٣٦] ﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ﴾ بعدما بذل الوسع في النصح ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من التكذيب والإيذاء فقد انتهى أمرهم ، وحين وقت الانتقام منهم . [قال ابن جرير : وأوحى الله ذلك إليه بعدما دعا عليهم نوح بالهلاك فقال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ - سورة نوح : الآية رقم ٢٦ .]

[٣٧] ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ﴾ الفلك : السفينة ، للتخلص من عذابهم ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا ﴿وَوَحِّينَا﴾ إليك وإلهامك وتعليمك كيف تصنعها ﴿وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تشفع للكافرين ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ محكوم عليهم بالطوفان .

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ﴾ نوح ﴿وَيَصْنَعُ﴾ كما ألهمه الله ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ﴾ والملاهم أشرف الناس وكبرائهم ﴿سَخَرُوا مِنْهُ﴾ سَخَرُوا مِنْهُ هَذَا بِهِ فـ ﴿قَالَ﴾ : إِن تَسَخَرُوا مِنِّي فِي صَنِيعِ السَّفِينَةِ ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُهُ مِنْكُمْ﴾ لجهلكم ﴿كَمَا تَسَخَرُونَ﴾ أنتم منا ، يستهزئ بهم .

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ في الدنيا فيجعله محلاً للسخرية ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ في الآخرة ، يدوم الخزي معه .

[٤٠] ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ يهلك قوم نوح ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ والتنور : وجه الأرض ، أو عين ماء معروفة ، أو الكانون ، أو تنوير الفجر ، على اختلاف أقوال العلماء ، وهو كناية عن اشتداد الأمر كما يقال : حمي الوطيس [قال ابن جرير : وقد جعل التنور آية بينه وبينه] ﴿قُلْنَا﴾ : احْمِلْ فِيهَا ﴿أَي﴾ : في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ أي : صنفين من البهائم ، والطيور ، وما يدب على وجه الأرض ﴿اِثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وهم من يتصل بك في دينك وسيرتك من أقاربك ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ﴾ أي : وجب عليه ﴿الْقَوْلُ﴾ بالإغراق بسبب ظلمه ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ احمله معك فيها ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ عدد ضئيل .

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ في السفينة ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ مجراها ومُرساها اذكروا الله عند مجراها وعند رسوها ، أو المعنى : إنها تجري وترسو بأمر الله وحفظه ﴿إِنَّ رَبِّي

وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخَرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُهُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ [٣٨] فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ [٣٩] حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ [٤٠] وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [٤١] وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ [٤٢] قَالَ سَتَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ [٤٣] وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمَاءِ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [٤٤] وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ [٤٥]

لغفور رحيم ﴿لولا مغفرته ورحمته لغرقتم وهلكتم مثل قومكم .

[٤٢] ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ ، ونادى نوح ابنه ، وكان في معزلة في متحنى عن أبيه والمؤمنين ﴿يَا بَنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ أي : ادخل في ديننا ، واصحبنا في السفينة ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ في الدين والانعزال ، الهالكين .

[٤٣] ﴿قَالَ﴾ قال نوح ﴿سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ فلا أغرق ﴿قَالَ﴾ نوح له ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ، إلا مَنْ رَحِمَ ، فالطوفان سيصيب الخلق إلا من رحم الله تعالى ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ صار الموج حائلاً بين نوح وابنه ﴿فَكَانَ﴾ ابنه مع كونه فوق الجبل ﴿مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ الهالكين بالغرق .

[٤٤] ﴿وَقِيلَ﴾ والأمر هو الله تعالى ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي﴾ توقفي عن المطر ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ غضب ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ نجا من نجا ، وهلك من هلك . [قال محمد بن إسحاق : لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض فسكن الماء ، وانسدت ينابيع الأرض وأبواب السماء - ابن كثير] ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ استقرت السفينة على جبل اسمه : الجودي ﴿وَقِيلَ﴾ : بُعْدًا ﴿وَهُوَ دَعَاءُ سُوءِ كَاهِلَاكٍ وَالْمَوْتِ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين .

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴿حمله على ذلك عاطفة الأبوة﴾ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴿ظَنَّ مِنْ نوح أن وعد الله بإنقاذ أهله يشمل ولده﴾ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿الذي لا يخلف وعده .

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا نُوحُ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴿الموعود إنجاؤهم﴾ ، ولا علاقة بين المؤمن والكافر ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فابن نوح لم يكن من الصالحين ليدخل في أهل نوح الذين هم أهل دينه وشريعته ، ومن لا صلاح له لا نجاة له ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ لا تعلم أصواب هو أم غير صواب ﴿إِنِّي أُعْطِيكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْبَاطِلِينَ﴾ أي : أنها أن تكون منهم بسؤالك إياي ما لم تعلم .

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ : نوح ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ ، وإلا تَغْفِرْ لِي ﴿ما فرط مني وتزحمتي﴾ بالوقوف على ما تحب وترضى ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الذين خسروا أنفسهم ، بالاحتجاب عن علمك وحكمتك .

[٤٨] ﴿قِيلَ﴾ : يَا نُوحُ اهْبِطْ ﴿جاء أمر الله بنزوله ومن معه من السفينة بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ أي : سلامة ، بعدما قضى الأمر ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة على دينك وطريقتك ﴿وَأُمَمٌ﴾ ومنهم أمم ﴿سَمَّتُهُمْ﴾ في الحياة الدنيا لاحتجابهم بها ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيها . [روى ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ، ودخل في ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة] .

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴿من قبل إخبارك بها﴾ فَاصْبِرْ ﴿على تبليغ الرسالة ، وأذى قومك ، كما صبر نوح﴾ إِنَّ الْعَاقِبَةَ ﴿في الدنيا بالنصر والظفر ، وفي الآخرة بالنعيم الأبدي﴾ لِلْمُتَّقِينَ ﴿عن الشرك والمعاصي﴾ .

[٥٠] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ أي : وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ﴾ بمعنى : واحداً منهم ﴿هُودًا﴾ عليه السلام ﴿قَالَ﴾ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴿وحده﴾ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿باعتها شفعاء عنده﴾ ، وجعلها شفعاء عنده .

[٥١] ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ، إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴿فهو كذلك نبي ورسول ، لا يبتغي سوى وجه الله في دعوته ولا يسعى لتحقيق أي نفع مادي شخصي له﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿أفلا تتفكرون ، أو تدبرون الصواب من الخطأ﴾ .

[٥٢] ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من شرككم به ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ من عبادة غيره ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الأمطار ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ أي : شدة إلى شدتكم ، بالقوة البدنية ، أو بالمال والبنين [روى ابن جرير عن ابن زيد قال : إنه كان قد انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن أمنتهم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد ، لأن ذلك من القوة] ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مصيرين على إجرامكم وأثامكم .

[٥٣] ﴿قَالُوا﴾ : يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴿نفوا أن يكون قد أتاهم بحجة تدل على صحة دعواه ، وذلك من قصور فهمهم وعمي بصيرتهم﴾ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا ﴿ولن نترك عبادة الأصنام﴾ عَنْ قَوْلِكَ ﴿وما نحن لك بمؤمنين﴾ بمصدقين .

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْبَاطِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَمَتُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقُورُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُورُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَبَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْنُ نَحْنُ هُودٌ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَ الْعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

[٥٤] ﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَبَكَ﴾ أي مَسَّكَ ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ بجنون ﴿قَالَ﴾ : إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ ﴿عَلَى﴾ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿يرأ هود عليه السلام من شركهم بغير الله﴾ .

[٥٥] ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أي : احتالوا في إهلاكهم وأهلكهم المزعومة ﴿ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾ ولا تمهلوني إن كنتم تستطيعون الكيد لي وإهلاكهم - قال ذلك متحدياً .

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ وهو يحفظني من شركهم ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي : مالك لها ، قادر عليها ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على طريق الحق والعدل في ملكه ، فلا يسلطكم علي .

[٥٧] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فإن تتولوا ، والخطاب لقوم هود ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فقامت الحجة عليكم ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيهلككم ، ويحيي بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ بل تضرُّون أنفسكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ رقيب عليه ، مهيمن ، لا تخفى عليه خافية .

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي : عذابنا ، أو أمرنا بالعذاب ﴿نَحْنُ هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْنُ نَحْنُ هُودٌ﴾ إذ نجَّاهم الله تعالى مما ابتلي به قومهم من الريح المهلكة التي سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام فأهلكتهم عن آخرهم .

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ قبيلة عاد ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بالله ، وأنكروا آياته الدالة على وحدانيته ، في الأنفس والآفاق ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ جمع (الرسول) مع أنه سبحانه لم يرسل إليهم غير هود عليه السلام ، إظهاراً لكفرهم وعنادهم ، وأن تكذيبهم وعصيانهم له ، تكذيب وعصيان لجميع الرسل السابقين ، لأن دعوتهم واحدة ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أطاعوا في الشرك ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ المقصود : رؤساءهم وكبراءهم ، ودعاتهم إلى تكذيب الرسل .

[٦٠] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي : لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ بعبادتهم غيره ﴿أَلَا بُعْدَ الْعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ دعاء عليهم بالهلاك واللعة .

[٦١] ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ وأرسلنا إلى القبيلة العربية ثمود ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ واحداً منهم وهو : صالح ، عليه السلام ﴿قَالَ﴾ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴿أي : كونكم منها﴾ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿جعلكم قادرين على عمارتها﴾ فَاسْتَغْفِرُوهُ ﴿من الشرك﴾ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ﴿بالتوحيد﴾ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿قريب الرحمة لمن استغفروه﴾ ، يجب دعاءه .

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ : يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴿أي : كانت تلوح فيك خيال الخير ، فكنا نرجوك لنتنتفع بك ، فلما نطق بهذا القول انقطع رجائنا عنك ، وعلمنا أن لا خير فيك﴾ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴿من الأوثان﴾ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴿من التوحيد﴾ مُرِيبٌ ﴿الريبة : قلق النفس ، وانتفاء الطمأنينة﴾ .



[٦٣] ﴿قَالَ﴾ صالح عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ ارْأَيْتُمْ﴾ أي : أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجة ظاهرة ، وبرهان ، وبصيرة ﴿مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ أي : هداية ونبوة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي : ينجيني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ بمجاراةكم في أهوائكم ﴿فَلَا تَزِيدُونَنِي﴾ إِنْ اتَّبَعْتُمْ فِي ضَلَالِكُمْ ﴿غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ أَنْ تَجْعَلُونِي خَاسِرًا بِتَعْرِضِي لِسَخَطِ اللَّهِ . [وقال ابن جرير عن مجاهد : ما تزدادون أُنْتُمْ إِلَّا خُسَارًا] .

[٦٤] ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ وقد أضافها إليه سبحانه ليبيّن أنها تختلف عما سواها من الأنعام بخلقها وخلقها ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ معجزة دالة على صدق نبوتها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿مَنْ فَرَطَ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لاجترأكم على آياته المنسوبة إليه .

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فقتلوها ﴿فَقَالَ﴾ صالح عليه السلام ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أمهلهم هذه المدة [وروى ابن جرير عن قتادة قوله : هي بقية آجالهم] ذلك وعد غير مكذوب غير مردود .

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي : عذابنا ، وهو الصيحة التي ذهبت بهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ بسبب رحمة عظيمة منا ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾ وهو هلاكهم بالصيحة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ القادر على كل شيء والغالب عليه .

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ التي جاءتهم من جهة السماء ، فرجعوا لها رجفة الهلاك ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هامدين موتى لا يتحركون . [٦٨] ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأنهم لم يقيموا في مساكنهم ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ فأهلكهم ﴿أَلَا بُعْدًا لِّلْثَمُودِ﴾ أي : هلاكاً ولعنة ، لبعدهم عن صراط الله .

[٦٩] ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ من الملائكة الذين أرسلناهم لإهلاك قوم لوط ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بولد وأحفاد ﴿قَالُوا﴾ سلماً ، قال : سلاماً ، فلما لبث أن جاء يعجل حنيد مشوي ، أو سمين [مشوي على الرضف ، وهي الحجارة المحماة . هذا معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغير واحد - ابن كثير] .

[٧٠] ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ لا يمدون أيديهم إلى الطعام ﴿نَكَرَهُمْ﴾ أي : أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أحس منهم خوفاً ، لظنه أنهم بشر أرادوا به مكروهاً ، وعادة الضيف عندهم إن أراد شراً أن لا يأكل من الطعام ﴿قَالُوا﴾ له لما رأوا منه الخوف ﴿لَا تَخَفْ﴾ إِنَّا لَا نَأْكُلُ لَنَا مَلَأْنَاهُ ، ولم نزل بالعذاب عليكم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لإهلاكهم .

[٧١] ﴿وَأَمْرًا تَأْتِيهِمْ فَضَحِكًا﴾ سروراً بزوال الخيفة ، أو بهلاك أهل الخبائث من قوم لوط ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ يولد الأول ثم يخلفه الآخر . [ومن هنا استدلل من استدلل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو إسماعيل وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق لأنه وقعت البشارة به ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد الله حق لا خلف فيه؟ - ابن كثير] .

قَالَ يَقَوْمِ ارْأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرًا تَأْتِيهِمْ فَضَحِكًا فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

المكروه ، الذي ظن وقوعه ، مخلصاً وقال : هذا يوم عصيب شديد .

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون كأنها يدفعون دفعاً ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ أي : قبل مجيء الملائكة ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ كانوا يعملون الفواحش ويكثرون منها ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أراد أن يقي ضيوفه بتزويج بناته للمعتدين من بني قومه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تعصوه بما هو أشد من الرزى خبثاً ﴿وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي﴾ ولا تهينوني وتفضحوني في شأنهم ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ فيرعوي عن القبيح ، ويهتدي إلى الصواب ؟ . .

[٧٩] ﴿قَالُوا﴾ أي : قومه ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ﴾ من حاجة ، إذ لا نريدن ﴿وَأَنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ .

[٨٠] ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ، أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي : عشيرة كثيرة ، لأنه كان غريباً عنهم . وهذا التمني ليرد شرهم عنه وعن ضيوفه .

[٨١] ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ لن يتمكن قومك من الإضرار بك وبنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أخرج بأهلك آخر الليل وقت استغراق قومك في النوم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ورائه كي لا يصيبه ما يصيبهم ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُنُ مِنْهُ مُصِيبًا﴾ مآ أصابهم من العذاب ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ أي : موعد إهلاكهم وقت الصبح ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ وكأنه يجيب لوطاً لاستعجاله عذابهم أو يحثه على المسير لاقترب الصبح .

[٧٢] ﴿قَالَتْ﴾ امرأة إبراهيم ﴿يَا وَيْلَتَا﴾ يا عجيبي ﴿أَلَدُّ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ امرأة مسنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ وزوجي شيخ كبير ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي : التولد من هرمين ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ غريب ، لم تجر به العادة .

[٧٣] ﴿قَالُوا﴾ الملائكة ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أتعجبين من شأنه وقدرته سبحانه أن يخلق الولد من شيخ وعجوز ؟ ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ما هذه المعجزة إلا من رحمته وبركاته عليكم يا آل إبراهيم ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ مستحق للمحامد ﴿مَجِيدٌ﴾ كريم واسع الإحسان .

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ فلما ذهب خوفه من الملائكة بعدما بينوا له هويتهم الملائكية ﴿وَجَاءَهُ الْبُشْرَى﴾ بدل الروع ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ أي : يستعطفنا لدفع الهلاك عنهم .

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجل على الانتقام من المسيء ﴿أَوَّاهٌ﴾ كثير التأسف ﴿مُنِيبٌ﴾ راجع إلى الله في كل ما يحبه ويرضاه .

[٧٦] ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أي : قيل له : يا إبراهيم ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وهو حكمه بهلاك قوم لوط ﴿وَأِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ بجدال ولا بدعاء ، ولا بغيرهما .

[٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ سيء بهم ﴿أَي : ساءه مجيئهم ، لأنهم آتوه على صورة مُرْدٍ ، حسان الوجوه ، فخاف أن يقصدهم قومه ، لظنهم أنهم بشر ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي : ضعفت طاقته ، ولم يجد من

المرء الذي ظن وقوعه ، مخلصاً وقال : هذا يوم عصيب شديد .

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون كأنها يدفعون دفعاً ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ أي : قبل مجيء الملائكة ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ كانوا يعملون الفواحش ويكثرون منها ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أراد أن يقي ضيوفه بتزويج بناته للمعتدين من بني قومه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تعصوه بما هو أشد من الرزى خبثاً ﴿وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي﴾ ولا تهينوني وتفضحوني في شأنهم ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ فيرعوي عن القبيح ، ويهتدي إلى الصواب ؟ . .

[٧٩] ﴿قَالُوا﴾ أي : قومه ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ﴾ من حاجة ، إذ لا نريدن ﴿وَأَنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ .

[٨٠] ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ، أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي : عشيرة كثيرة ، لأنه كان غريباً عنهم . وهذا التمني ليرد شرهم عنه وعن ضيوفه .

[٨١] ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ لن يتمكن قومك من الإضرار بك وبنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أخرج بأهلك آخر الليل وقت استغراق قومك في النوم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ورائه كي لا يصيبه ما يصيبهم ﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُنُ مِنْهُ مُصِيبًا﴾ مآ أصابهم من العذاب ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ أي : موعد إهلاكهم وقت الصبح ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ وكأنه يجيب لوطاً لاستعجاله عذابهم أو يحثه على المسير لاقترب الصبح .

[٨٢] ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي : عذابنا ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ قلبت تلك المدن بسكانها ﴿ وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴾ طين متحجر ﴿ منضود ﴾ يُرسل بعضه في إثر بعض متتابعاً .

[٨٣] ﴿ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ معلّمة عنده [قال ابن كثير: أي معلّمة كل حجر مكتوب

عليه اسم الذي ينزل عليه ، فبينما أحدهم يكون عند الناس يتحدث إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس فدمره ، فتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم عن آخرهم ، فلم يبق منهم أحد . وقال مجاهد : أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم كفأهم ، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن ، ولما قلبها كان أول ما سقط منها شرفاتها ﴿ وما هي ﴾ تلك الحجارة ﴿ من الظالمين ﴾ بالشرك وغيره ﴿ ببعيد ﴾ فإنهم بسبب ظلمهم مستحقون لها .

[٨٤] ﴿ وَإِلَى مَدْيَن ﴾ أي : وأرسلنا إلى مدين وهي بلد بين الحجاز والشام ﴿ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ وأخاهم هنا : لأنه واحد منهم ﴿ قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ لتبخسوا الناس أشياءهم بالباطل ﴿ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بَخِيرَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ بنعمة وثروة في رزقكم ومعيتكم ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ مهلك ، لا يشد منه أحد .

[٨٥] ﴿ وَيَا قَوْمِ أُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ بالعدل ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ لا تنقصوهم حقوقهم بطريق من الطرق ﴿ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي : لا تعملوا فيها بالفساد .

[٨٦] ﴿ بَقِيَّةَ اللَّهِ ﴾ ثوابه الباقي على وفاء الكيل والميزان ﴿ خَيْرَ لَكُمْ ﴾ في دينكم ودنياكم ﴿ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فإن المؤمن يبارك له ، عندما يتحرى الحلال ويتعدى عن الحرام ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴾ بريب ، إنما أنا مبلغ نذير .

[٨٧] ﴿ قَالُوا : يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ من الأصنام ﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ من نقص ونحوه ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ أي : الموصوف بالحلم والرشد في قومك ، أو قالوا ذلك تهكماً به .

[٨٨] ﴿ قَالَ ﴾ شُعَيْبُ ﴿ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ أي : أخبروني إن كنت على برهان يقيني مما آتاني ربي من العلم والنبوة ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ مالا حلالاً مكتسباً بلا بخس وتطفيف ، أو المقصود : حكمة ونبوة ، هل يصح لي أن أخون الوحي ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ أي : وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه ، لأستبد به دونكم ﴿ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ أي إصلاح نفوسكم بالتزكية ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [روى الإمام أحمد أنه ﷺ قال : (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدهم منه) - ابن كثير .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدْيَن أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بَخِيرَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُومُ أُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَاحُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

وَيَنْقُومُ لَا يَحْرِمَكُمُ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَنْقُومُ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

عملكم ، فيجازيكم به .

[٩٣] ﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي : غاية تمكنكم واستطاعتكم ﴿ إِنِّي عَامِلٌ ﴾ على مكاني التي كنت عليها من الثبات على الإسلام والمصابة ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [أينا الجاني على نفسه والمخطيء عليها والمصيب في فعله المحسن إلى نفسه - ابن جرير] ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ ﴾ [الذي يأتيه منا ومنكم أيها القوم عذاب يذله ويهينه ، ويجزي أيضاً الذي هو كاذب في قيله وخبره منا ومنكم - ابن جرير] ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ منتظر هلاككم .

[٩٤] ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ بإهلاك الكافرين ﴿ نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ، وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ بالعذاب [قيل إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم - ابن جرير] ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴾ أي : ميتين .

[٩٥] ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ أي : يقيموا فيها ﴿ أَلَا بُعْدَ لِمَدِينٍ ﴾ كما بعدت ثمود ﴿ شَبَّهَهُمْ بِهِمْ ، لقرب منازلهم ، وارتكابهم للجرائم نفسها .

[٩٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ﴾ بالبراهين والمعجزات [التي تدل على توحيد الله ، وكذب كل من ادعى الربوبية دونه ، ويطول قول من أشرك معه الألوهية غيره - ابن جرير] ﴿ وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ وهو معجزة العصا ، وكانت أهر معجزاته عليه السلام .

[٩٧] ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ الملأ : الأشراف والكبراء ، وهنا المقصود : قومه ﴿ فَاتَّبَعُوا ﴾ أي : ملأ فرعون ﴿ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ بالكفر بموسى ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ وإنما هو غي وضلال .

[٨٩] ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَحْرِمَكُمُ شِقَاقِي ﴾ أي : لا يكسبكم عداوتي ﴿ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾ الغرق بالطوفان ﴿ أَوْ قَوْمَ هُودٍ ﴾ الريح العاتية ﴿ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ﴾ الصيحة ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ فإن منازلهم قريبة منكم ، وقد علمتم ما نزل بهم من قلب الأرض ، وإمطار الحجارة . [لما أحاط الناس بعثمان بن عفان رضي الله عنه أشرف عليهم من داره فقال : ﴿ يا قوم لا يجرمنكم شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ﴾ يا قوم لا تقتلوني ، إنكم إن قتلتموني كنتم هكذا . وشبك بين أصابعه - ابن كثير] .

[٩٠] ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ من عبادة الأصنام ﴿ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ ﴾ بالتوحيد ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ ﴾ للمستغفرين التائبين ﴿ وَدُودٌ ﴾ مبالغ في المحبة لهم .

[٩١] ﴿ قَالُوا : يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ ﴾ ما نفهم ﴿ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ﴾ كالتوحيد وحرمة النجس ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ لا قوة لك إن أردنا بك سوءاً . [روى ابن جرير عن سعيد بن جبير من طرق قال : كان ضير البصر] ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ أي : قومك ، وأنهم على ملتنا ﴿ لَرَجَمْنَاكَ ﴾ لقتلناك رمياً بالحجارة ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ حتى نكرمك ونمنعك من الرجم .

[٩٢] ﴿ قَالَ ﴾ شُعَيْبُ ﴿ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ من أمره ووحيه ودينه ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ﴾ أي : نستيموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ عالم ، لا يخفى عليه

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يتقدمهم إلى النار ﴿فَأُورِدَهُمُ النَّارَ﴾ وَيُسَّ النَّارُ الْمُرْوَدُ ﴿لأنَّ الورد هو النصب من الماء ، إنما يراد لتسكين الظما ، والنار على الضد من ذلك .

[٩٩] ﴿وَأْتَبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ والمقصود أنهم يلعنون في الدنيا والآخرة ﴿يُسَّ الرَّفْدُ الْمُرْفُودُ﴾ بس العطاء المعطى وهي اللعنة في الدارين . [قال مجاهد : زيدوا لعنة يوم القيامة فتلك لعنتان . وقال ابن عباس : لعنة الدنيا والآخرة ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَأَتَّبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هم من المقبوحين .- ابن كثير .]

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ أي المهلكة ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ بالوحي ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ باق ينظر إليها ، قد باد أهلها ﴿وَحَصِيدٌ﴾ ومنها عافى الأثر كالزرع المحصود . [١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها لما أوجبته من الشرك وعبادة الأوثان والظلم ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فما دفعت عنهم آلهتهم التي

يدعون دون الله ويدعونها أرباباً من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربه ولا ردت عنهم شيئاً منه - ابن جرير] ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [لما جاء قضاء ربك بعذابهم فحق عليهم عقابه ونزل بهم سخطه - ابن جرير] ﴿وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْهِ﴾ إهلاك وتخسير .

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ إن أخذته أليم شديد ﴿وَفِي ذَلِكَ أَشَدُّ التَّهْدِيدِ وَالْإِنذَارِ لِكُلِّ ظَالِمٍ ظَلَمَ نَفْسَهُ أَوْ ظَلَمَ غَيْرَهُ﴾ فرداً كان أم جماعة ، من سوء العاقبة . [١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّعِبْرَةٍ﴾ ﴿لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ يشهده الأولون والآخرون وأهل السماء والأرض .

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ أي : ذلك اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ لمدة محدودة . [١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يوم القيامة ﴿لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنْبِهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾ وهم أهل النار ﴿وَسَعِيدٌ﴾ وهم أهل الجنة . [١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ الزفير : إخراج النفس مع صوت ممدود ، والشهيق : رده ، وذلك كناية عن الغم والكره .

[١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي : في النار ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ربما المقصود مساوات الآخرة وأرضها ، ذلك لأن النصوص دالة على تأييد أهل النار فيها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ولا راد لمشيئته ، والاستثناء بالمشيئة قد استعمل في أسلوب القرآن ، للدلالة على أن هذه الأمور الثابتة الدائمة إنما كانت كذلك بمشيئة الله تعالى لا بطبيعتها في نفسها ، ولو شاء تعالى أن يغيرها لفعل ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَاعَلٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾ .

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ﴾ غير مقطوع .

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ النَّارُ الْمُرْوَدُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُسَّ الرَّفْدُ الْمُرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْبِيْهِ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنْ رَبُّكَ فَاعَلٌ لِّمَا يَرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٌ ﴿١٠٨﴾

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ هُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ ولا تظمنوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالشرك والمعاصي ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ وما لكم من دون الله من أولياء من أنصار يمنعون عذابه عنكم ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ فلا تمنعون مما يراد بكم .

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ أي : غدوة وهي الفجر ، وعشية وهي الظهر والعصر ﴿وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ وساعات منه ، وهي ساعاته القريبة من آخر النهار ، وصلاة الزلف : المغرب والعشاء ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ والصلوات من جملة الحسنات التي تكفر الخطايا ﴿ذَلِكَ﴾ أي : إقامة الصلوات في الأوقات المذكورة ﴿ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ أي : تذكرة ذكرت بها قوماً يذكرون وعد الله ، فيرجون ثوابه ، ووعده فيخافون عقابه ، لا من قد طبع على قلبه فلا يجيب داعياً ولا يسمع زاجراً - قاله ابن جرير .

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ على ما يصيبك في سبيل الله من الدعوة أو العبادة أو التبليغ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ فهلاً وجد ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم السابقة ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ فلو كان منهم ناهون لما أخذ الباقون ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ والاستثناء هنا منقطع ، أي : لكن قليلاً ممن أنجيناهم من القرون نهوا عن الفساد ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ ما صاروا منعمين فيه من الشهوات ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي : كافرين .

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ فالله تعالى ليس بظلام للعبيد ، وقيل المراد : إن الله تعالى لا يهلك القرى بسبب الشرك وحده ، إن كان أهلها يتعاطون العدل والإصلاح فيما بينهم ، وذلك لفرط رحمته سبحانه ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي : يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر .

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ أي : المشركون ، وإنهم في ضلال يؤدي إلى مثل ما حل فيمن سبقهم من المشركين وأهل الضلال ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ فهم في الشرك سواء ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيْبُهُمْ﴾ قسطهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ .

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي : التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ آمن به قوم وكفر به آخرون ، كما اختلف أهل مكة في القرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وهي قوله تعالى في الأنفال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ باستئصالهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي : كفار مكة ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للناس في ريبه .

[١١١] ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ وسيجزئهم عليها ، وكلاً : تعود على الفريقين اللذين اختصا بالقرآن : المؤمنون والكافرون [قال ابن جرير : وإن كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم في هذه السورة لمن ليوفينهم ربك أعمالهم بالصالح منها بالجزيل من الثواب ، وبالطالح منها بالشديد من العقاب] ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء منه .

[١١٢] ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربك والدعوة إليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ في القرآن ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ من الشرك وهم المؤمنون ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ ولا تتجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به .

[١١٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَمِثْلَ قَوْمٍ ۚ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
 مجتمع على الحق والإيمان والإصلاح ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الحق ، منهم المؤمن ، ومنهم الكافر .

[١١٩] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ۚ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
 ولذلك خلقهم ﴿الضمير يعود إلى الناس ، أي : خلقهم سبحانه ليبتليهم في اختلافهم على الحق﴾ وتمت كلمة ربك ﴿أي : أحكمت وأبرمت وثبتت ، وهي : لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ من عصاة الجن والإنس .

[١٢٠] ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَقُصُّ بِهٖ فُؤَادَكَ ۚ مَا نَقُصُّ بِهٖ فُؤَادَكَ لَتَصْبِرَ عَلَىٰ أَدْوَىٰ قَوْمِكَ ۚ وَتَعْلَمُ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لَكَ ۚ كَمَا كَانَتْ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْحَقُّ ۚ أَيُّ الْقَصَصِ الْحَقِّ الثَّابِتِ ۚ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
 عبرة وتذكير لهم لما ينبغي عليهم اتباعه .

[١٢١] ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ هَذَا الْحَقُّ ۚ وَلَا يَتَعَذَّرُونَ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۚ اغْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ۚ عَلَىٰ حَالِكُمْ مِنْ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ ۚ إِنَّا عَامِلُونَ ۚ عَلَىٰ حَالِنَا مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ۚ

[١٢٢] ﴿وَانْتَظِرُوا ۚ الْعَوَاقِبُ ۚ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۚ مَا وَعَدْنَا بِهٖ مِنَ الْفَتْحِ ۚ وَالنَّصْرِ ۚ

[١٢٣] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ فَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ۚ مَا يَجْرِي فِيهَا ۚ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۚ فِي الْآخِرَةِ ۚ فَيَجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ ۚ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ أَنْتَ وَقَوْمُكَ ۚ وَهُوَ يُجَازِي كُلَّكُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّ ۚ

[سورة يوسف]

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ۚ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَثَبْتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ۚ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۚ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ۚ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

٢٣٥

[٥] ﴿قَالَ﴾ يعقوب ليوسف عليها السلام ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾
 الكيد : التدبير السيئ ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ أي : ظاهر العداوة ، ومن عداوته إغواء إخوتك وحملهم على ما لا خير فيه . [ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا رأى أحدكم ما يجب فليحدث به ، وإذا رأى ما يكره فليتحول إلى جنبه الآخر ، وليتفل عن يساره ، وليستعذ بالله من شرها ، ولا يحدث بها أحدا فإنها لن تضره) . وفي الحديث الآخر : (الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبر ، فإذا عُبِّرَتْ وقعت) - ابن كثير .

[٦] ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ يصطفيك ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أي : تعبير المنامات ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبوك من قبل إبراهيم وإسحق﴾ إن ربك عليم ﴿بمن يستحق الاجتناء والاصطفاء﴾ حكيم ﴿في صنعه﴾ .

[٧] ﴿لقد كان في قصة يوسف وإخوته آيات﴾ دلائل على قدرته تعالى ، وحكمته في كل شيء ﴿للسائلين﴾ لمن سأل عن نبئهم .

[٨] ﴿إذ قالوا﴾ أي إخوة يوسف عليه السلام ﴿ليوسف وأخوه﴾ بنيامين شقيقه من أبيه وأمه - راحيل - ﴿أحب إلى أبنائنا منا ونحن عصبة﴾ إنا جماعة أقوياء ، أحق بالمحبة منهما وهما صغيران لا يعينان والدهما ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ لتفضيله يوسف وأخيه علينا .

[٩] ﴿أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ تأمروا فيما بينهم على قتله أو إلقائه في أرض مجهولة لا يعرفها الأب ، ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريقها ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ كناية عن استشارهم بمحبته بعد أن يفقد ولده المفضل يوسف ﴿وتكونوا من بعده﴾ أي : من بعد الفراغ من قتله أو تركه في فلاة من الأرض مضلة ﴿قوما صالحين﴾ تائبين إلى الله .

[١٠] ﴿قال قائل منهم﴾ لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب ﴿أي : في غور البئر - وهو بئر بيت المقدس -﴾ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴿أي : بعض الأقوام الذين يسرون في تلك الجهة من الأرض﴾ قال ابن كثير : قال محمد بن إسحق : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطعة الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له ، وليفرقوا بينه وبين أبيه وحببيه على كبر سنه ، ورقة عظمه ، مع مكانه من أحبه طفلاً صغيراً ، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أي : عازمين مصرين على أن تفرقوا بينه وبين أبيه .

[١١] ﴿قالوا﴾ لأبيهم ﴿يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف﴾ لم نخافنا عليه ﴿وإننا له لناصحون﴾ ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه .

[١٢] ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ يأكل ويشرب ﴿وإننا له لحافظون﴾ من كل مكروه . [قال ابن جرير : أرسله معنا غداً نلهم ونلعب وننعم وننشط في الصحراء ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه] .

[١٣] ﴿قال﴾ يعقوب لبنيه ﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به ، وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ مشغولون أو لاهون .

[١٤] ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ أي : جماعة أقوياء ﴿إننا إذا لحاسرون﴾ أي : هالكون ضِعْفاً وجُنباً .

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ وَتَرْكَنَّا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكُلْهُ الدَّثْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِيهِ يَدٌ مِرْكَبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَرُّهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَشَدُّهُ شَأْنًا أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ بعد مراجعة أبيهم في شأنه ﴿ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَةِ الْجُبِّ ﴾ في قعر البئر ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ بواسطة ملك ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ﴾ وتحدثهم بما فعلوا بك ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنك يوسف . [يقال إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه وقبّله ودعا له ، فذكر السدي وغيره أنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له إلا أن غابوا عن عين أبيه ، وتواروا عنه ، ثم شرعوا يؤذونه بالقول من شتم ونحوه ، والفعل من ضرب ونحوه ، ثم جاؤوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه ، فسقط في الماء فغمره فصعد إلى صخرة تكون في وسطه فقام فوقها - ابن كثير .]

[١٦] ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ رجعوا مساء وقت الظلمة يتظاهرون بالبكاء معتمدين على الظلام في إخفاء انفعالات وجوههم .

[١٧] ﴿ قَالُوا : يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيقُ ﴾ ننتابري في الركض والرمي ﴿ وَتَرْكَنَّا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا ﴾ من الثياب والزاد ليحفظه ﴿ فَاكُلْهُ الدَّثْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ بمصدقنا ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ فكيف وأنت تتهمنا ، وغير واثق بقولنا ؟ .

[١٨] ﴿ وَجَاؤُوا عَلَى قَيْصِيهِ بدم كَذِبٍ ﴾ يقال إنهم أخذوا قميصه وغمسوه بدم مِزَّجٍ ﴿ قَالَ ﴾ هُم يَعْقُوبُ ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ بل زينت لكم أنفسكم أمر إبعاد يوسف عني والكذب علي في ذلك ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ على احتمال هذه المصيبة ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ من هلاك يوسف .

[١٩] ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ مجموعة من الناس تسير في الأرض ﴿ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ ﴾ الذي يَرُدُّ الْمَاءَ ويستقي لهم ﴿ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ﴾ أرسلها في البئر ليملاها ، فتعلق بها يوسف للخروج ، فلما رآه ﴿ قَالَ : يَا بَشْرَى هَذَا غُلَامٌ ، وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً ﴾ أي : أخفوه بضاعة للتجارة ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَشَرُّهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ باعوه بثمن قليل ﴿ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ قيل : عشرين درهماً من الفضة ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ الرغبة عنه .

[٢١] ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ اجعلي مقامه حسناً مرضياً ﴿ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ ويقال إن الذي اشتراه رئيس الشرطة عند ملك مصر [قال ابن كثير : وقال عبد الله بن مسعود : أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامراته ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ والمرأة التي قالت لأبيها ﴿ يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْ ﴾ الآية ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر رضي الله عنه] ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ جعلنا له مكانة رفيعة في أرض مصر ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ تأويل الرؤيا ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾ لا يُمْنَعُ عَمَّا يَشَاءُ ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الأمر كله بيده سبحانه .

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ أي : وقت اشتداد جسمه وقوته ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا ﴾ إما بمعنى : الحكمة ، أو : الحكم بين الناس ﴿ وَعِلْمًا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وعن الحسن : من أحسن عبادة ربّه في شببيته ، آتاه الله الحكمة في اكتهاله .

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصِيهِ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَيْصِيهِ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَيْصِيهِ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصِيهِ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾

[٢٣] ﴿ وَرَوَدَتْهُ ﴾ طلبت منه أن يُواقِعَهَا موقعة الرجل لامرأته ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ وهي امرأة العزيز ﴿ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ وهو رافض لذلك كاره له ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ زيادة في الإغراء والمطاردة ﴿ وَقَالَتْ : هَيْتَ لَكَ ﴾ هيت : اسم فعل بمعنى : تعال ﴿ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ استعاذ يوسف عليه السلام من الزنى الذي دعتة إليه ﴿ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ يقصد العزيز الذي يسكن داره ، وهو هنا بمعنى سيدي ﴿ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ أكرمني وتعهدني برعايته ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ وكل عاصٍ لله أو منكر للجميل : ظالم .

[٢٤] ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ قصدت إلى ما دعتة إليه بعزيمة وإصرار ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ولولا أن رأى برهان ربه لكان هم بها كما همت به . واختلف المفسرون : برهان ربه ، واختار القاسمي أن الهم هنا ، عبارة عن جواذب الطبيعة ، ورؤية البرهان : جواذب الحكمة . وبرهان ربه : حجته الدالة على قبح الزنى وسوء سبيله ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ المنكر والفجور والمكروه ﴿ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ وهو كل ما تناهى قبحه ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ الذين عصمهم الله ليخلصوا له العبادة والطاعة .



[٢٥] ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ قصد كل منهما سبق الآخر إلى الباب ، فيوسف عليه السلام ليخرج ، وهي لتمنعه من الخروج ﴿ وَقَدَّتْ قَيْصِيهِ مِنْ دُبُرٍ ﴾ اجتذبت من خلفه فانشق قميصه ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ صادفَا زَوْجَهَا قَادِمًا ﴿ قَالَتْ : مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قالت ذلك افتراء على يوسف وتبرئة لساحتها وتحريضها له على الزنى .

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ يوسف عليه السلام ﴿ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ دعيتني إلى الفاحشة فهربت منها إلى الباب ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ؛ إِنْ كَانَتْ قَيْصِيهِ قَدْ مِنْ قُبُلٍ ﴾ إن كان قميصه انشق من أمام ﴿ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ لأن ذلك علامة على أن يوسف هو الذي أراد الاعتداء عليها واضطرت هي الدفاع عن نفسها .

[٢٧] ﴿ وَإِنْ كَانَتْ قَيْصِيهِ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ﴾ من خلف ﴿ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ لأن ذلك علامة إدباره عنها وفراره منها .

[٢٨] ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَيْصِيهِ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ﴾ فلما رأى العزيز قميص يوسف ممزقاً من خلف أدرك براءته فخاطب زوجته ﴿ قَالَ : إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ، إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ الكيد : الحيلة والمكر .

[٢٩] ﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ﴾ أي : خاطبه : يا يوسف أعرض عن هذا الأمر واكتمه ، ولا تحدث به ، وقال لزوجه ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ المتعمدين للذنب .

[٣٠] ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ مدينة مصر بعدما انتشر الخبر فيها ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ تدعوه لمواقعته ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ خرق حبه شغاف قلبها - حجابها - حتى وصل إلى الفؤاد ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ في خطأ عن طريق الرشد والصواب .

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾ : للملك ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ جمع : ضغث ، وهو : حديث النفس ووسوسة الشيطان ، والحلم : ما يراه النائم ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ وتأويل الأحلام : تفسيرها .

[٤٥] ﴿وَقَالَ﴾ السَّاقِي ﴿الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ من صاحبي السجن ﴿وَأَذْكُرُ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي : تذكر بعد هذه المدة من السنين ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أخبركم به بسؤالي من يعلمه ﴿فَارْسِلُونِي﴾ فابعثوني إلى يوسف .

[٤٦] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي : فاتاه فقال : يا يوسف ، ووصفه بالمبالغة في الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي﴾ أي : فسر لنا رؤيا ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أي : إلى الملك ومن عنده ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي : تفسير الرؤيا فيعملون بمقتضاه ، أو يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محتك .

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ دائبين مواظبين كل عام منها ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ من الزرع ﴿فَذَرُّوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ واطركوه في سنبله ولا تدرسوه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ يعني بقدر ما تأكلون في تلك السنين .

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ السبع المذكورات ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾ أي : سبع سنين صعب على الناس ، لقوة القحط ﴿يَأْكُلُنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ يأكل الناس فيها ما سبق ادخاره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تُحْبِثُونَ للزراعة .

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يُمَطَّرُونَ من الغيث أو يُغاثون من القحط ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما كانوا يعصرونه على عادتهم من عنب وزيتون ونحوهما .

[٥٠] ﴿وَقَالَ﴾ الْمَلِكُ : ائْثُونِي بِهِ ﴿أَخْرِجُوا يَوْسُفَ مِنَ السِّجْنِ وَأَحْضَرُوهُ﴾ فلما جاءه الرَّسُولُ يستدعيه إلى الملك ﴿قَالَ﴾ يوسف له ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ سيدك الملك ﴿فَاسْأَلْهُ﴾ : مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴿وَقَدَّمَ سَوَالِ النَّسْوَةِ لِيُظْهَرَ بَرَاءَةُ عَمَّا اتَّهَمَ بِهِ بَاطِلًا وَسُجْنٌ بِسَبَبِهِ﴾ إِنَّ رَبِّي ﴿اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾ بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ . وقد روي في المسند والصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي) .

[٥١] ﴿قَالَ﴾ الْمَلِكُ ﴿مَا خَطَبُكُنَّ﴾ ما شأنكن ﴿إِذْ رَاوَدْتَنِّي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ يعني : هل وجدتني منه ميلا إليكن ؟ ﴿قُلْنَ﴾ : خَاشَ لِلَّهِ ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴿أَي﴾ قَبِيحٌ ﴿قَالَتْ﴾ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ : الْآنَ خَصَصَ الْحَقُّ ﴿ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ وَظَهَرَ بَعْدَ خِفَائِهِ﴾ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿فِي قَوْلِهِ﴾ : هِيَ رَاوَدْتِي عَنْ نَفْسِي .

[٥٢] ﴿ذَلِكَ﴾ تقول امرأة العزيز : ذلك الذي اعترفت به على نفسي ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليعلم يوسف أنني لم أكذب عليه في حال الغيبة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ لا يرضاه ولا يسدده .

قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَارْسِلُونِي ﴿٤٥﴾ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٍ كُلُّ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْثُونِي
بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ
النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطَبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ خَاشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ خَصَصَ الْحَقُّ
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي﴾ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْثُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ
أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْثُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ
أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِي ﴿٦٠﴾ قَالُوا اسْرُدْ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ أَجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ
فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي﴾ فإن النفس تمنى ، أو ما أبرأ نفسي من الخيانة بإيداعه السجن ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْثُونِي بِهِ﴾ أي : بيوسف ﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ أخصه بها ، وأستأثرها به ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ أي : فلما أتوا به وخاطبه الملك وعرفه وشاهد فضله وحكمته وبراءته ﴿قَالَ﴾ : إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴿ذو مكانة ومنزلة﴾ أَمِينٌ ﴿مؤتمن على كل شيء﴾ .

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف للملك ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أي : ولني خزائن جميع غلات الأرض ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ أي : أمين ، عالم بوجوه التصرف فيه .

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي : أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا﴾ ينزل من بلادها ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿الذين أحسنوا عملاً﴾ .

[٥٧] ﴿وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي : ثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا للمؤمنين المتقين .

[٥٨] ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ عندما حل القحط واحتاجوا إلى الطعام ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ حيث قصدوا مصر للحصول على الطعام ، إشارة إلى ما وقع من مصداق رؤيا يوسف ، وذلك أن الأرض أخصبت سبع سنين وأخرجت من بركاتها ما يعادل رمل البحر كثرة ،

فجمع يوسف غلالها ، وجعل في كل مدينة غلال ما حولها من الحقول ، ولما مضت هذه السبع ودخلت السنون المجذبة فعم القحط مصر والشام ونواحيها ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لم يعرفوه بعد فراقه تلك السنين الطويلة . ويظهر أن يوسف سألهم عن عددهم فأبلغوه أن لديهم شقيقاً من أبيهم لم يحضر معهم إلى مصر واسمه بنيامين .

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ أي : أعطاهم طلبهم من الطعام تحمله ركائبهم ﴿قَالَ﴾ : ائْثُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ ﴿وَهُوَ أَخُوهُ بَنِيَامِينَ﴾ أَلَّا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ ﴿أَي﴾ أتمه ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ الْمُضَيِّفِينَ .

[٦٠] ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ في المستقبل ﴿وَلَا تَقْرَبُونِي﴾ ولا تقربوني بدخول بلادتي مرة ثانية .

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ : سَرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴿أَي﴾ : سنحاول إقناع أبيه في إرساله معنا ، ونجتهد في ذلك ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ذلك .

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ لخدمته الكياليين ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ يعني : المال الذي اشتروا به الطعام من فضة أو غيرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ لكي يعرفونها ﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ حسبما أمرتهم به ، فأعطاهم الطعام ورد ثمنه عليهم إغراء لهم بالعودة مع أخيه بنيامين .

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا﴾ : يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ ﴿أَي﴾ : أُنْذِرْنَا بمنعه بعد هذا إن لم نأت بأخيْنَا ﴿فَارْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ نرفع المانع من الكيل ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من ألا يناله مكروه .

[٦٤] ﴿قَالَ﴾ يعقوب لهم ﴿هَلْ آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ والمعنى : لا أثق بكم ، ولا بحفظكم [قال ابن كثير : أي هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتكم بأخيه من قبل ؛ تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه ؟] وإنما أفوض الأمر إلى الله ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ منكم ومن سواكم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .
[أي هو أرحم الراحمين بي وسيرحم كبري وضعفي ووجدي بولدي ، وأرجو من الله أن يرده علي ويجمع شملتي به إنه أرحم الراحمين - ابن كثير] .

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ وجدوا دراهمهم في متاعهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ ماذا نبتغي من طلبنا ؟ أي : فلا مزيد على ما فعل ، لأنه أكرمنا ، وأحسن مثوانا ، ورد الثمن علينا ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ كيف لا ، وهذه دراهمنا رُدَّتْ تفضلاً من حيث لا ندرى ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتيهم بطعام [أي إذا أرسلت أخانا معنا] ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ فلا يصيبه شيء مما تخافه ﴿وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ هو حصاة أخيهيم ﴿ذلك كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ سهل على هذا المحسن لسخائه .

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ لهم أبوهيم ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي : أن تحلفوا بالله سبحانه ، والموثق : العهد ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ لتردنه علي ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ تغلبوا كلكم ، فلا تقدرون على تخليصه ﴿فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ قال : الله على ما نقول وكيل ﴿شهيد وريب﴾ . [قال ابن اسحق : وإنما فعل ذلك لأنه لم يجد بداً من بعثهم لأجل الميرة التي لا غنى لهم عنها فبعثه معهم] .

قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ عَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

[٦٧] ﴿وَقَالَ﴾ أبوهيم يعقوب ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ نهاهم عن ذلك لئلا تُصيبهم العين إذا دخلوا كوكبة واحدة ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فإن الحذر لا يمنع القدر ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾ لا يشاركه أحد ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وعليه فليتوكل المتوكلون . [قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وغير واحد : خشي عليهم العين ، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء ، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم ، فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه - ابن كثير] .

[٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ من الأبواب المتفرقة ﴿مَا كَانَ﴾ ذلك الدخول ﴿يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ أي : أبداها ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لتعليمنا إياه بالوحي . قال قتادة : لذو علم يعلمه . وقال ابن جرير : لذو علم لتعليمنا إياه . ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ عَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضمه إليه [قال ابن كثير : واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له] ﴿قَالَ﴾ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى ، فإن الله تعالى قد أحسن إلينا ، وجمعنا بخير .

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ [قال قتادة : لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم] من الطعام ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ وهي إناء فضة يشرب به يوسف ، أمر فتياه بوضعه خلصة مع أغراض أخيه - من أمه وأبيه وهو - بنيامين ﴿ثُمَّ﴾ بعد خروجهم من المدينة ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي : نادى مناد - قبل أن ترتحل العير - ﴿أَيْتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ .

[٧١] ﴿قَالُوا﴾ إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ على فتياه ﴿مَاذَا تَقْقُدُونَ﴾ .
[٧٢] ﴿قَالُوا﴾ أي : المؤذن وفتيان يوسف ﴿نَقْقُدُ صُوعَ الْمَلِكِ﴾ الإناء الذي يشرب به - الصواع والسقاية هما شيء واحد - ﴿وَلَمَّا جَاءَ بِهِ﴾ مكافأة هي : ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ حمل من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كفيل وضامن .

[٧٣] ﴿قَالُوا﴾ - أي إخوة يوسف - مُقْسِمِينَ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ .

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أي : فتیان يوسف لإخوته ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ سألوه عن حكم السارق في شريعة يعقوب ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ وتبين أن السارق منكم ؟ .

[٧٥] ﴿قَالُوا﴾ لثقتهم ببراءتهم ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي : يؤخذ السارق الذي يوجد معه هذا الإناء رقيقاً لخدمة الملك ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالسرقة .

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ﴾ فتى يوسف ﴿بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي : وعاء السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ ، كذلك كَذَّبْنَا يُوسُفَ ﴿أي : دَبَّرْنَا لتحقيق هدفه﴾ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ﴿في شرعه وقانونه إذ أن الحكم في قانون مصر على السارق أن يؤخذ منه ضعف المسروق ويضرب لا أن يُسَرَّقَ﴾ إلا أن يشاء الله ﴿قال ابن جرير : قال مجاهد : إلا فعلة كادها الله ، فاعتل بها يوسف] إذ سأل أخوته عن حكم السارق في شريعة يعقوب ، فأجابوه : إنه يؤخذ رقيقاً ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ بالعلم ﴿من نشاء﴾ كما رفعنا يوسف ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ أرفع درجة منه . [قال الحسن البصري : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل . عن سعيد بن جبیر قال : كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما فحدث حديثاً ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله ، ﴿فوق كل ذي علم عليم﴾ . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : بش ما قلت ، الله العليم وهو فوق كل عالم . يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم - ابن كثير] .

[٧٧] ﴿قَالُوا﴾ أي : إخوة يوسف [لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين] ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون يوسف [وذكر أن يوسف سرق صنماً لجده أبي أمه ، كسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبنه بذلك - ابن جرير] ﴿فَأَسْرَاهَا﴾ فكتمها ﴿يُوسُفُ﴾ في نفسه ولم يبديها لهم ، قال : أنتم شر مكاناً ﴿أي : منزلة ، لافتراءهم على يوسف وأخيه﴾ واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿من أمر يوسف واتهامه بالسرقة .

[٧٨] ﴿قَالُوا﴾ يا أيها العزيز ﴿هو من ألقاب حكّام مصر يومها﴾ ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ إِنَّا نراك من المحسنين ﴿والذي حملهم على ذلك العهد والميثاق بينهم وبين أبيهم يعقوب .

[٧٩] ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ إن أخذنا بريئاً بمذنب لروى ابن جرير عن السدي قال: قال يوسف إذا أتيتم أباكم فأقرواوه السلام وقولوا له: إن ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف، حتى يعلم أن في أرض مصر صديقين مثله.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ﴾ أي: يسئسوا من استجابة يوسف لمطلبهم أشد يأس ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ بمعنى: اعتزلوا وانفردوا عن الناس يتشاورون في أمرهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن - روييل - ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ في رد أخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ وقبل هذا ﴿مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ أي: قصرتم في شأنه، ولم تحفظوا عهد أبيكم ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرجوع ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بالخروج من مصر، أو بخلص أخي بسبب ما ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل سبحانه.

[٨١] ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ﴾ والقائل أخوهم الكبير ﴿فَقُولُوا﴾ يا آبائنا إن ابنك سرق ﴿صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين ﴿وَمَا عَلَّمْنَا أَنَّهُ سَيَسْرِقُ حِينَ اعْطَيْنَاكَ الْمَوْثِقَ﴾.

[٨٢] ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعنون أهل مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ القافلة التي جئنا معها ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ فيما أخبرناك.

[٨٣] [قال ابن جرير: في الكلام متروك، وهو: فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم وتخلف روييل، فأخبروه خبره، فلما أخبروه أنه سرق] ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ أي: زينت وسهلت أنفسكم أمراً، ففعلتموه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ عسى الله أن يأتي بنيهم جميعاً ﴿يوسف وأخيه وروييل﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

[٨٤] ﴿وَتَوَلَّى﴾ وأعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ عن بنيه كارهاً لما أنبؤوه به ﴿وَقَالَ﴾ يا أسفى على يوسف ﴿أَيُّ حُزْنِي الشَّدِيدِ﴾ وابيضت عيناه غشيت عيناه وضعف بصره ﴿مِنَ الْحُزْنِ﴾ لكثرة بكائه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ولم يتكلم بسوء.

[٨٥] ﴿قَالُوا﴾ قال له أولاده شفقة عليه ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾ مريضاً ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ بالموت.

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ غمي وحالي ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [روى ابن جرير عن عبيد الله بن أبي جعفر قال: دخل جبريل على يوسف في البئر أو في السجن، فقال له يوسف: يا جبريل ما بلغ حزن أبي؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فما بلغ أجره من الله؟ قال: أجر مائة شهيد] ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من رحمته بعباده واستجابته لدعاء المظلوم والمكروب، وقرب الفرج إذا اشتد البلاء مع الصبر. [وروى ابن جرير عن السدي قال: لما أخبروه بدعاء الملك أحست نفس يعقوب وقال: ما يكون في الأرض صديقين إلا نبي، فطمع، قال: لعله يوسف] و[عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية معنى رؤيا يوسف أنها صدق، وأن الله لا بد أن يظهرها، وقال العوفي عنه: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له - ابن كثير].

[٨٧] ﴿يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [قال أبو جعفر: حين طمع يعقوب في يوسف قال لبنيه: اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به] ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: تعرفوا من نبيهما ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ من فرجه ورحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾. [قال ابن جرير: وفي الكلام متروك قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف، وذلك: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها فدخلوا على يوسف].

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا﴾ يا أيها العزيز ﴿الملك القادر المتمنع﴾ ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ الشدة من الجذب ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ﴾ بدرهم قليلة في مقابل ما نأخذ من التموين [قال ابن جرير: بدرهم، أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها] ﴿فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ﴾ أتمه ووفره بهذه البضاعة المزجة القليلة ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ برءأ أخينا، أو بالمساحة وقبول ما لا يعد عوضاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يشيهم أحسن الثواب.

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم في حق يوسف، وما أقبح ما أقدمتم عليه.

[٩٠] ﴿قَالُوا﴾ استغراباً وتعجباً لأن هذا لا يعلمه إلا يوسف ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ﴾ أنا يوسف، وهذا أخي، قد من الله علينا بالخلاص مما ابتلينا به ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ الله في جميع أحواله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على الضراء

يَبْتَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالُوا أَإِذَا نَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيْرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿٩٥﴾

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: المتقين الصابرين.

[٩١] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: فضلك ﴿وَأِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ متعمدين للذنوب.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ أي: لا تعيير ولا توبيخ ولا تفرع ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وهو أرحم الراحمين.

[٩٣] ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيْرًا﴾ يرد الله عليه بصره ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ طلب إليهم إحضار عشيرتهم ليقبوا معه في مصر ويتمتعوا بخيراتها بدل إقامتهم في البداية الجذباء.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت قافلته من مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حوله من قومه [أو لأولاده الذين لم يذهبوا إلى مصر وبقوا معه] ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾ أي: لا تنسم رائحته مقبلة إلي، وفنده: نسبته إلى الفند، وهو ضعف الرأي والعقل من الهرم وكبر السن. وإضافة الريح إلى الولد معروفة في كلامهم، وفي حديث عند الطبراني (ريح الولد من ريح الجنة).

[٩٥] ﴿قَالُوا﴾ ليعقوب ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ في إفراطك في محبة يوسف [قال ابن عباس رضي الله عنهما: لفي خطئك القديم. وقال قتادة: أي من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه. قالوا لوالدهم كلمة غليظة لم يكن ينبغي لهم أن يقولوها لوالدهم ولا لنبي الله عليه السلام، وكذا قال السدي وغيره - ابن كثير].

[٩٦] ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ المخبر بأمر يوسف وأخيه - قال مجاهد وابن جريج : هو يهوذا بن يعقوب - ﴿ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ طرح القميص على وجه يعقوب ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من إنزال الفرج بعد الشدة .

[٩٧] ﴿قَالُوا﴾ أي : أبناء يعقوب ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فإنه هو المتجاوز عن السيئات ، الرحيم لمن تاب [قال ابن مسعود رضي الله عنه : أرجأهم إلى وقت السحر . وقال ابن جرير عن محارب بن دثار قال : كان عم لي يأتي المسجد فيسمع إنساناً يقول : اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت ، وهذا السحر فاغفري . قال :

فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه ، فسأل عبد الله عن
ذلك فقال : إن يعقوب أخّر بنيه إلى السحر بقوله :
﴿ سوف أستغفر لكم ربى ﴾ - [ابن كثير] .

[٩٩] ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ﴾ إشارة إلى استجابة أهله دعوته لهم للسكن في مصر ﴿ أَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ أي : ضمهما وعانقهما ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ﴾ من القحط وأصناف المكاره .

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي : أجلسهما معه على سريرته تكريماً لهما ﴿وَوَحَّوْا لَهُ سَجْدًا﴾ أي : سجد له أبوه وإخوته الباقون ، وكانوا أحد عشر ، تحية

وتكريماً له ﴿ وَقَالَ ﴾ يوسف ﴿ يَا أَبَتِ ، هَذَا ﴾ السجود
والشمس والقمر ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ مطابقاً للواقع
البدوي ﴿ أَي : البادية ﴾ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ ﴿ أَفْسَد ﴾ الشيطا
وقضائه .

[١٠١] ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ وهو التصرف بخزائن الأرض ﴿مَبْدَعُهَا وَخَالِقُهَا﴾ أنت وليي ﴿مَالِكُ أُمُورِي﴾ من ذكر الله في الرخاء .

[١٠٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كل ما ورد من قصة يوسف عليه
 لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ على إلقائه في
 الله تعالى على النبي ﷺ الذي لم يقرأ في كتاب ولم يطل

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ، وَلَوْ حَرَصْتَ ﴾ في دعوتهم و

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا أَتَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويَهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُويَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَّابَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿تَعْبِيرٌ﴾ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴿الَّتِي رَأَيْتَهَا أَيَّامَ الصَّبَا﴾ ، وَهِيَ سَجُودُ أَحَدِ عَشَرَ كَوْكَبًا أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴿أَيَ : نَجَاتِي مِنَ الْعُبُودِيَّةِ﴾ ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِي﴾ بِالْحَسَدِ ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿فِي أَفْعَالِهِ﴾

ر ﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ من تعبير الرؤى والأحلام ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
لِدُنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَخْفِنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ من النبيين والمرسلين . والمحسن

﴿مَنْ أَنْبَأَ الْغَيْبَ ، نُوْحِيهِ إِلَيْكَ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾
﴿هُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسف ويكيدون له ، والمقصود : البرهان على كون ذلك وحياً من
تاريخ .

اهينك ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ بالكتب والرسل .

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُوْمُنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا
وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ
اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
إِلَّا رَجُلًا أَنْ نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ
إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ
حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَئِنْ كُنْتَ تُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا دَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي : عظة لهم .
القرآن الكريم

[١٠٥] ﴿وَكَايُنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَةِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ ﴿يَمْرُؤُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهَا .

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ أي : بكونه الخالق الذي لا شريك له ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ بعبادتهم لغيره . [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) . وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) - ابن كثير .]

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا﴾ المقصود : المشركون ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ أي : عقوبة تغمرهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجاء ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
باتانها .

[١٠٨] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وهي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، طريقتي ومسلكي وسُنتي ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى دينه وتوحيده ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ مع حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ من المؤمنين ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ وأنزهه وأجله وأقدسّه عن الشريك والولد والصاحبة ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني - ابن جرير .

[۱۰۹] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا﴾ أي ذكوراً ،

لا نساء ولا ملائكة ، فالأنبياء من البشر أنفسهم ﴿ نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ المدن دون سواها من مواطن اجتماع الناس - لأنهم كانوا أعلم وأحلم - ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ أي : هؤلاء المكذّبون من أهل مكة ﴿ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا ﴾ نظر تفكر ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم المكذّبة ﴿ وَلِكُلِّ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ عن الشرك والفواحش ، وآمنوا بالله ورسله وكُتِبَ ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي : تستعملون عقولكم ، فتعلموا أن الآخرة خير ، أو : تعلموا كيف كانت عاقبة أولئك المكذّبين .

[١١٠] ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ من إجابة قومهم ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ كذبهم قومهم بما جاؤوا به ﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ الذي وعدناهم به ﴿ فَنَجَّيْنَا مَن نَّشَاءُ ﴾ وهم الرسل والمؤمنون بهم ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا ﴾ عذابنا ﴿ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي : قصة يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ [قال ابن جرير: وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف في الحب ليهلك، ثم بيعَ بَيْعَ الْعَبِيدِ بِالْخَنَسِيسِ مِنَ الثَّمَنِ، وبعدَ الْإِسَارِ وَالْحَسِيسِ الطَّوِيلِ، ومَلَكَةِ مِصْرَ، ومَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، وأَعْلَاهُ عَلَى مَنْ بَغَاهُ سَوْءاً مِنْ إِخْوَتِهِ، وجمعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِيهِ وإِخْوَتِهِ بِقُدْرَتِهِ بعدَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ، وجاءَ بِهِمْ إِلَيْهِ مِنَ الشَّقَةِ النَّائِيَةِ الْبَعِيدَةِ، فقال جل ثناؤه لِلْمُشْرِكِينَ مَنْ قَرِيشَ]: ﴿مَا كَانَ﴾ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يُخْتَلَقُ ﴿وَلَكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مِنْ حَقَائِقِ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ، مِنْ دُونِ الْإِنْحِرَافَاتِ الَّتِي افْتَرَوْهَا ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تَبْيَانٍ لِكُلِّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْأَدَابِ وَالْأَخْلَاقِ ﴿وَهُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يَصَدِّقُونَ بِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ، فَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ .

[سورة الرعد]

سميت «سورة الرعد» لذكر الرعد فيها : الآية ١٣ ، ويقال إنها مدنية إلا الآية ٣١ ، ويقال من أولها إلى آخر الآية ٣١ مدني وباقيها مكّي ، وآياتها ٤٣ آية .

[١] «الرعد» تلفظ : ألف ، لام ، ميم ، را . وهي من الأحرف المقطعة ، التي ورد تفسيرها في أول سورة البقرة ، وقيل : هي اسم للسورة «تلك آيات الكتاب» القرآن الكريم «والذي أنزل إليك من ربك» من الكتاب المذكور بكامله «الحق» الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به «ولكن أكثر الناس لا يؤمنون» بذلك الحق .

[٢] «اللّه الذي رفع السموات» أي : خلقهن مرتفعات عن الأرض «بغير عمد ترونها» عمد : جمع عماد أو عمود ، المقصود : أنها رفعت من غير عمد «ثم استوى على العرش» - راجع سورة الأعراف الآية ٥٤ - «وسخر الشمس والقمر» ذلكها لنفع العالم «كل يجري لأجل مسمى» لغاية معينة ، وهي قيام الساعة «يدبر الأمر» أمر العالم العلوي والسفلي ،

ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الأحوال «يفصل الآيات» بينها في كتبه المنزل «لعلكم بلاء ربكم تؤقنون» تؤصدقون بالبعث بعد الموت . [وفي الحديث : (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة) . وفي رواية : (العرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل) - ابن كثير .]

[٣] «وهو الذي مد الأرض» أي : جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض «وجعل فيها رواسي» جبلاً ثوابت ، أوتاداً لها «وأَنْهَاراً ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين» صنفين اثنين كالحلو والحامض ، والأسود والأبيض ، والصغير والكبير «يغشي الليل النهار» أي : يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعدما كان أبيض منيراً «إن في ذلك» أي : في مد الأرض وما بعده «آيات لقوم يتفكرون» فيستدلون على قدرة الخالق وحكمته بما يرونه في الكون من آيات واضحة .

[٤] «وفي الأرض قطع متجاورات» متقاربات مختلفة الطبائع ، من صلبة إلى رخوة ، ومن طيبة إلى سيخة لا تصلح للزراعة «وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان» جمع صنو : وهي نخلة أصلها واحد وفروعها كثيرة «يسقى بماء واحد» بقاء المطر أو بقاء النهر «ونفضل بعضها على بعض في الأكل» فتفاضل قدراً وشكلاً ورائحة وطعماً «إن في ذلك لآيات» تدل على وحدانيته تعالى وباهر قدرته «لقوم يعقلون» .

[٥] «وإن تعجب فاعجب قولهم» : إذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد «الخطاب للنبي ﷺ أي : إن تعجب من شيء فقولهم عجيب لأن من شاهد قدرة الله في بداية الخلق يجب أن يدرك أن الإعادة أهون عليه «أولئك» المنكرون لقدرة الله على البعث «الذين كفروا ببرهم» ، وأولئك الأغلال في أعناقهم» أي : السلاسل في أيامهم مشدودة إلى أعناقهم يوم القيامة «وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» .

سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّعْدَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً أءِذَا لَفَى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلَّمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

ذاهب في سره ، أي : في طريقه يبصره الآخرون .

[١١] «له» أي : للإنسان «معقبات» ملائكة يتعاقبون عليه «من بين يديه ومن خلفه» أي : من جوانبه كلها «يحفظونه من أمر الله» يراقبون ما يلطف من قول وما يأتي من عمل ، خيراً أو شراً بأمره وإذنه «إن الله لا يغير ما بقوم» من العافية والنعمة «حتى يغيروا ما بأنفسهم» من الأعمال الصالحة «وإذا أراد الله بقوم سوءاً» لاستحقاقهم لذلك «فلا مرد له» فلا رد لقضائه فيهم «وما لهم من دونه من وال» يلي أمرهم فيدفع عنهم السوء الذي أراد الله بهم .

[١٢] «هو الذي يريكم البرق خوفاً» من الصواعق - للمسافر - «وطمعاً» بالمطر - للمقيم - «وينشئ السحاب الثقيل» بالماء .

[١٣] «ويسبغ الرعد بحمده» أي : يسبح سامعوه من العباد الراجين للمطر [وروى ابن جرير عن جعفر قال : بلغنا أن النبي كان إذا سمع صوت الرعد قال : (اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك)] أو : يسبح الرعد نفسه ، بمعنى : دلالة على قدرة الله سبحانه ووحدانيته «والملائكة من خيفته» وتسبح الملائكة من خوف الله تعالى وخشيته «ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء» فيهلك بها من يشاء «وهم» أي : الكفار «يجادلون في الله» بإنكار البعث واستعجال العذاب ، والجدال : أشد الخصومة «وهو» سبحانه وتعالى «شديد المحال» شديد الكيد لأعدائه . [وروى ابن جرير عن عبد الرحمن بن صبحر العبدي أنه بلغه أن نبي الله بعث إلى جبار يدعو، فقال : أرايتم ربكم؟ أذهب هو، أم فضة هو، أم لؤلؤ هو؟ فبينما هو يجادلهم إذ بعث الله سبحانه فرعدت فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله هذه الآية .]

[٦] «ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة» يستعجلونك بالعقوبة قبل العافية والسلامة منها «وقد خلت من قبلهم المثلث» أي : عقوبات أمثالهم من الكاذبين ، والمثلاث : جمع مثلة ، وهي العقوبة الفاضحة «وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» إنه ذو صفح عظيم لا يعاجل بالعقوبة «وإن ربك لشديد العقاب» لمن يستحق ولمن يشاء .

[٧] «ويقول الذين كفروا» وهم المستعجلون بالسيئة «لولا أنزل عليه آية من ربه» مثل آيات موسى وعيسى عليها السلام «إنما أنت منذر» مُرْسَلٌ للإنذار والتخويف من سوء العقاب لمن كفر ، وناصح كغيرك من الرسل ، فما عليك إلا البلاغ «ولكل قوم هاد» أي : نبي داع إلى الحق مرشد بالآية التي تناسب زمنه - وقيل المنذر محمد ﷺ والهادي الله عز وجل - .

[٨] «اللّه يعلم ما تحمّل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام» أي : تنقص من الحمل «وما تزداد» وما تأخذه زائداً «وكل شيء عنده بمقدار» بقدر وحده لا يجاوز حسب قابليته .

[٩] «عالم الغيب» أي : ما غاب عن الحس والشهادة» أي : ما شهد الحس «الكبير» العظيم الشأن الذي كل شيء دونه «المتعال» المستعلي على كل شيء بقدرته .

[١٠] «سواء منكم من أسر القول» في نفسه «ومن جهر به» لغيره «ومن هو مستخف بالليل» طالب الخفاء في مخابئ الليل في ظلمته «وسارب بالنهار»

[١٤] ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي : الدعاء الحق بالعبادة والتضرع والإنابة ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي : الأصنام التي يعبدوها المشركون ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ يريدونه من نفع أو دفع أو ضرر ﴿إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ إلا كاستجابة الماء لمن مديده إليه يطلب منه أن يبلغ فاه ، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بظمته وحاجته إليه ﴿وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ أي : عبادتهم والتجاءؤهم لأهتهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ في ضياع لا منفعة فيه . [قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده ، وهو لا يناله أبداً بيده ، فكيف يبلغ فاه ؟ وقال مجاهد : كباسط كفيه ﴿يَدْعُو الْمَاءَ بِلِسَانِهِ وَيَشِيرُ إِلَيْهِ فَلَا يَأْتِيهِ أَبَداً﴾ . وقيل المراد كقباض يده على الماء ، فإنه لا يحكم منه على شيء - ابن كثير .]

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظَلالَهُمْ﴾ جمع : ظل ، والمعنى : كل ما في الوجود حتى ظل الأشياء ، يسجد لله سبحانه - فأما المؤمن طائِعاً ، وأما الكافر فيسجد كارهاً - ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ صباح مساء .

[١٦] ﴿قُلْ﴾ يا محمد هؤلاء المشركين ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : خالقها ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ ولا ريب فني ذلك ﴿قُلْ﴾ إلزاماً لهم وتبكيثاً ﴿أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾ أي أعبدتم غيره ما لا يقدر على نفع نفسه ولا على دفع الضرر عنها ، فكيف يستطيعه لغيره والعلم بالبصر والنور ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقَهُ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ والمعنى : أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق ، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدر على شيء ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الله أوجد كل شيء وكل ما عداه مقهور لا يملك شيئاً .

[١٧] ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً من السحاب ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أي : استوعب كل وإد بحسب وسعه أو ضيقه ﴿فَاخْتَمَلَ السَّبِيلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ فحمل ورفع ، من قوة الجيشان ، زبداً عالياً على وجه الماء ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من نحو الذهب والفضة والنحاس ، مما يسبك في النار ﴿إِنتِغَاءَ حَلِيَّةٍ﴾ طلب زينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ كالأواني وآلات الحرب والحرف ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ مثل زبد السيل ، وهو ما يطفو على وجه المعادن المصهورة ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ﴾ مثل ﴿الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ﴾ : فأما الزبد فيذهب جفاءً ، أي : مقدوفاً مرمياً به ، فلا ينتفع به ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتْ فِي الْأَرْضِ﴾ ينتفع به ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ أمثال الحق والباطل .

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله المثوبة الحسنى ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ من الأموال ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ ليتخلصوا عما بهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ في الدار الآخرة ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمِهَادُ﴾ أي : المستقر .

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظَلالَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقَهُ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّبِيلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتْ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

﴿١٩﴾ ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذُرُكُمْ أُولَئِكَ لَا بُدَّ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

المشركين ، وتكاليف العبادة ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ وهو دخول جنات عدن .

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ ينكثون الأيمان ويرتدّون عن الدين ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من علاقات ذوي القرّبي والرحم ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بمختلف أنواع الفساد ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي : عذاب جهنم .

[٢٦] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يعطي من غير حساب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ويمسك عليه الرزق أو يجعله محدوداً ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إذ حَسِبُوا أن الرزق فيها وحدها هو الخير والرضا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ وهو متاع زائل أمام نعيم الآخرة .

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴿أَي معجزة حسية كالمعجزات التي طلبوها من الرسول ﷺ من إنزال الملائكة ، ورؤيتهم لعروجه في السماء ، أو استعجال العذاب إلى آخر ما هنالك من مقترحات وردت في آيات سابقة﴾ قُلْ : إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴿أَي من يستحق الضلالة كما قال في سورة مريم : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً﴾ ويهدي إليه مَنْ أُنَابَ﴾ أي : من أقبل إلى الحق وتفكّر في الآيات الكونية والمنزلة .

[٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله وكتابه ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي : تسكن وتخشع عند ذكره ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أنسابه ، واعتماداً عليه سبحانه ، وقيل : ذكر الله القرآن الكريم .



[١٩] ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾ يصدق ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ يعني : القرآن الكريم ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ كمن لا يعلم ذلك ﴿إِنَّمَا يَنْذُرُكُمْ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ أصحاب العقول السليمة .

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ مما كلفهم به ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ أي : ما قبلوه من الإيمان وثقوه على أنفسهم وغيره من المواثيق بينهم وبين العباد .

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإحسان إلى ذوي القرّبي والأرحام ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافون وعيده فلا يعصونه ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ يوم القيامة .

[٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ فأخلصوا النية له سبحانه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾ في السر إخلاصاً لله وسترّاً على المحتاج ، وفي العلن تشجيعاً لغيرهم ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ فلا يردون على السيئة بالسيئة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي : عاقبة الدنيا وهي الجنة .

[٢٣] ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ جنات إقامة وخلود ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي : من آمن وعمل صالحاً ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ فالأنساب لا تنفع من غير الإيمان والعمل الصالح ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ .

[٢٤] ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ على مواجهة

[٢٩] الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ
بِشْرَىٰ وزُلْفَىٰ ﴿٢٩﴾ وَحَسُنَ مَا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِمْ

[٣٠] كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴿٣٠﴾ لِّتُبْلِغَهُمْ هَذَا الْوَحْيَ الْعَظِيمَ وَالذِّكْرَ الْحَكِيمَ ﴿٣١﴾ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴿٣٢﴾ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٣٣﴾ قُلْ: هُوَ: الرَّحْمَنُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الدُّنْيَا ﴿٣٤﴾ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٥﴾ أَي: إِلَيْهِ تَوَبَّيْتُ وَإِنَابَتِي.

[٣١] وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا ﴿٣١﴾ أَوْ قُرْآنًا مَا ﴿٣٢﴾ سُبِّحَتْ بِهِ ﴿٣٣﴾ أَي: بِإِزَالِهِ أَوْ بَتْلَاوَتِهِ ﴿٣٤﴾ الْجِبَالُ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ﴿٣٥﴾ شَقَّقْتُ حَتَّى تَتَصَدَّقَ وَتَصِيرَ قِطْعًا ﴿٣٦﴾ أَوْ كَلَّمَهُ بِهِ الْمَوْتَى ﴿٣٧﴾ خَوَّطْتُ بَعْدَ أَنْ أُحْيِيَتْ بَتْلَاوَتِهِ عَلَيْهَا، لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِعَظَمِ شَأْنِهِ ﴿٣٨﴾ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴿٣٩﴾ أَي: لَهُ الْأَمْرُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [رَوَى ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ كِفَارَ قُرَيْشٍ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَذْهَبَ عَنَّا جِبَالُ تِهَامَةَ حَتَّى نَتَّخِذَهَا زَرْعًا فَتَكُونَ لَنَا أَرْضِينَ، أَوْ أَحْبَبِي لَنَا فَلَانَا وَفَلَانَا يَخْبِرُونَا: حَقٌّ مَا تَقُولُ! فَقَالَ اللَّهُ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا ﴿٤١﴾ الْآيَةِ، يَقُولُ: لَوْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْكُتُبِ فِيهَا مَضَى، كَانَ ذَلِكَ] ﴿٤٢﴾ أَفَلَمْ يَنَاسْ ﴿٤٣﴾ أَفَلَمْ يَعْلَمْ وَيَتَبَيَّنْ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴿٤٥﴾ أَي: لَطَبَعَهُمْ عَلَى الْهُدَايَةِ كَالْمَلَأَكَةِ ﴿٤٦﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٤٧﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿٤٨﴾ تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً ﴿٤٩﴾ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَقْرَعُ وَتَقْلِقُ، يَعْنِي: مَا كَانَ يَصِيبُهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ مِنْ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالنَّهْبِ وَالسَّلْبِ ﴿٥٠﴾ تِلْكَ الْقَارِعَةُ ﴿٥١﴾ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ، حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴿٥٢﴾ لَا يَنْقُضُ وَعْدَهُ لِرُسُلِهِ بِالنَّصْرَةِ لَهُمْ وَلَا تَبَاعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَهُ بِهِنَّ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئِسَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ مَنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

[٣٢] وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ مَنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣٣﴾ أَي: أَمَهَلْتُهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٥﴾ أَي: عِقَابِي إِيَّاهُمْ. ﴿٣٦﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٧﴾ أَي: مُرَاقِبٌ لِأَحْوَالِهَا وَمَشَاهِدٌ لَهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَكْسِبُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ ﴿٣٨﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴿٣٩﴾ عَبْدُهَا مَعَهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَنْدَادٍ وَأَوْثَانٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ: سَمُّوهُمْ ﴿٤١﴾ وَالْمَعْنَى: سَوَاءٌ سَمِيتُمُوهُمْ هَذَا الْاسْمَ أَوْ لَمْ تَسْمُوهُمْ بِهِ، فَإِنَّهَا فِي الْحَقَارَةِ بَحِيثٌ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ يَلْتَفِتَ الْعَاقِلُ إِلَيْهَا ﴿٤٢﴾ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴿٤٣﴾ أَي: بِشُرَكَاءَ لَا يَعْلَمُهُمْ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا كَانَ وَمِمَّا سَيَكُونُ، فَهُمْ لَا حَقِيقَةَ لَهُمْ ﴿٤٤﴾ أَمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ﴿٤٥﴾ أَي: أَتَسْمُونَهُمْ شُرَكَاءَ بظَاهِرِ مِنَ الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَذَلِكَ حَقِيقَةٌ، وَقِيلَ: إِنَّ الظَّاهِرَ هُنَا بِمَعْنَى: الْبَاطِلِ ﴿٤٦﴾ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴿٤٧﴾ لِأَنَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ كَفَرُهُمْ وَمَكْرُهُمْ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَذِهِ الدَّلَائِلِ ﴿٤٨﴾ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴿٤٩﴾ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٥٠﴾ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٥١﴾ فَمَا لَهُ مِنْ أَحَدٍ يَهْدِيهِ.

[٣٤] لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٥﴾ وَهُوَ مَا أَصَابَهُمْ عَلَى أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ [قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ: لِهَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْإِسَارِ وَالْأَفَاتِ الَّتِي يَصِيبُهُمْ اللَّهُ بِهَا، وَلِتُعَذِّبَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَشَدَّ مِنْ تَعْذِيبِهِ إِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا] ﴿٣٦﴾ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ﴿٣٧﴾ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا كَمَا وَكَيْفًا ﴿٣٨﴾ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٩﴾ مِنْ حَافِظٍ يَعْصِمُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ سُبْحَانَهُ.

[٣٤] وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ مَنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣٥﴾ أَي: أَمَهَلْتُهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ﴿٣٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٧﴾ أَي: عِقَابِي إِيَّاهُمْ. ﴿٣٨﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴿٣٩﴾ أَي: مُرَاقِبٌ لِأَحْوَالِهَا وَمَشَاهِدٌ لَهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تَكْسِبُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴿٤١﴾ عَبْدُهَا مَعَهُ مِنْ أَصْنَامٍ وَأَنْدَادٍ وَأَوْثَانٍ ﴿٤٢﴾ قُلْ: سَمُّوهُمْ ﴿٤٣﴾ وَالْمَعْنَى: سَوَاءٌ سَمِيتُمُوهُمْ هَذَا الْاسْمَ أَوْ لَمْ تَسْمُوهُمْ بِهِ، فَإِنَّهَا فِي الْحَقَارَةِ بَحِيثٌ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ يَلْتَفِتَ الْعَاقِلُ إِلَيْهَا ﴿٤٤﴾ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴿٤٥﴾ أَي: بِشُرَكَاءَ لَا يَعْلَمُهُمْ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا كَانَ وَمِمَّا سَيَكُونُ، فَهُمْ لَا حَقِيقَةَ لَهُمْ ﴿٤٦﴾ أَمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ ﴿٤٧﴾ أَي: أَتَسْمُونَهُمْ شُرَكَاءَ بظَاهِرِ مِنَ الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَذَلِكَ حَقِيقَةٌ، وَقِيلَ: إِنَّ الظَّاهِرَ هُنَا بِمَعْنَى: الْبَاطِلِ ﴿٤٨﴾ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ ﴿٤٩﴾ لِأَنَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ كَفَرُهُمْ وَمَكْرُهُمْ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَذِهِ الدَّلَائِلِ ﴿٥٠﴾ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴿٥١﴾ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٥٢﴾ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٥٣﴾ فَمَا لَهُ مِنْ أَحَدٍ يَهْدِيهِ.

[٣٥] مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٥﴾

بِاسْتِجَابَتِهِمْ لِأَمْرِ اللَّهِ وَانْتِهَائِهِمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ﴿٣٦﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٣٧﴾ مِنْ تَحْتِ شَجَرِهَا ﴿٣٨﴾ أَكُلُوهَا دَائِمًا ﴿٣٩﴾ فَثَمَرُ الْجَنَّةِ لَا يَنْتَهِي وَلَا يَنْقُصُ بِزَمَنِ مَعِينٍ، فَهُوَ حَاضِرٌ دَائِمًا لِلْأَكْلِ ﴿٤٠﴾ وَظِلُّهَا ﴿٤١﴾ وَكَذَلِكَ ظِلُّهَا دَائِمٌ لَا حَرَّ فِيهَا ﴿٤٢﴾ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿٤٣﴾ الْجَنَّةَ وَنَعِيمُهَا ثَمَرَةُ التَّقْوَى ﴿٤٤﴾ وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٤٥﴾

[٣٦] وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الْكَاتِبُونَ ﴿٣٦﴾ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﴿٣٧﴾ يُفَرِّحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴿٣٨﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿٣٩﴾ وَمِنْ الْأَحْزَابِ ﴿٤٠﴾ يَعْنِي بَقِيَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴿٤١﴾ مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ ﴿٤٢﴾ وَهُوَ مَا يُجَالَفُ مُعْتَقِدُهُمْ وَبِخَاصَّةِ التَّوْحِيدِ ﴿٤٣﴾ قُلْ: إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ، إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ ﴿٤٤﴾ مُصِيرِي.

[٣٧] وَكَذَلِكَ أُنْزِلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴿٣٧﴾ كَذَلِكَ أَيْضًا أَنْزَلْنَا الْحِكْمَ وَالدِّينَ، حُكْمًا عَرَبِيًّا، وَجَعَلَ ذَلِكَ ﴿٣٨﴾ عَرَبِيًّا ﴿٣٩﴾ وَوَصَفَهُ بِهِ لِأَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ عَرَبِيٌّ، فَنَسَبَ الدِّينَ إِلَيْهِ - قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ - وَلَكِنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴿٤٠﴾ فَلَا يَنْصُرُكَ نَاصِرٌ ﴿٤١﴾ وَلَا وَاقٍ ﴿٤٢﴾ وَلَا يَقِيكَ - يَحْفَظُكَ - وَاقٍ.

[٣٨] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٣٨﴾ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَغَيْرِهِمْ ﴿٣٩﴾ وَمَا كَانَ لِرُسُلٍ أَنْ يَأْتِيَ لِكُلِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَمْرٌ مَكْتُوبٌ مُقَدَّرٌ مَعِينٌ أَوْ هِمَّةٌ إِلَّا النِّسَاءَ وَالنِّكَاحَ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا كَمَا زَعَمَ لَشَغَلَهُ أَمْرُ النِّبَاةِ عَنِ النِّسَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ - النِّسَابُورِي].

[٣٩] يَمَحُوه اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٩﴾ يَنْسَخُ مَا يَشَاءُ نَسْخَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ لِمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ بِحَسَبِ الْوَقْتِ ﴿٤٠﴾ وَيُثَبِّتُ ﴿٤١﴾ أَي: يَبْقِيهِ عَلَى حَالِهِ وَعِنْدَهُ أَمُّ الْكِتَابِ ﴿٤٢﴾ أَي: أَصْلُهُ. [٤٣] وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴿٤٤﴾ مِنْ أَنْزَالِ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ ﴿٤٥﴾ أَوْ تَنْقُصُكَ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿٤٦﴾ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴿٤٧﴾ تَبْلِيغُ الْوَحْيِ فَقَطْ ﴿٤٨﴾ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٩﴾ أَي: حِسَابُهُمْ وَجَزَائُهُمْ.

[٤١] أَوَّلُ يَسْرُوا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ ﴿٤١﴾ أَي: أَرْضَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴿٤٣﴾ بِمَا يَفْتَحُهُ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَتَزْدَادُ أَرْضُهُمْ وَتَنْقُصُ أَرْضُ أَعْدَائِهِمْ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ يُحْكُمُ ﴿٤٥﴾ مَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ ﴿٤٦﴾ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴿٤٧﴾ لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ وَلَا مَبْطِلَ لِقَضَائِهِ ﴿٤٨﴾ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤٩﴾ فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحَاسِبُهُمْ وَيَجَازِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ عَذَابِ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ.

[٤٢] وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٤٢﴾ مِنَ الْكَفَّارِ لِإِقْطَاعِ الْمَكْرُوهِ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالْمُؤْمِنِينَ كَمَا مَكَرَ هَؤُلَاءِ ﴿٤٣﴾ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ﴿٤٤﴾ إِشَارَةٌ إِلَى ضَعْفِ مَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ أَمَامَ قَضَاءِ اللَّهِ عَمَّا لَا يَخْطُرُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ ﴿٤٥﴾ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴿٤٦﴾ فَيَحَاسِبُهَا عَلَى مَا كَسَبَتْ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿٤٧﴾ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٨﴾ أَي: الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ أَوْ السَّيِّئَةُ.

[٤٣] وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلرَّسُولِ ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ ينفون بعثه والوحي إليه من الله ﴿قُلْ تَأْنِيبًا لَّهُمْ﴾ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴿وَهُوَ الَّذِي آيَدَهُ بِمُعْجِزَةٍ﴾ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿وَمَنْ هُوَ مِنْ عِلْمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَإِنْهُمْ يُجِدُونَ صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَعْتَهُ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ بَشَارَاتِ الْأَنْبِيَاءِ بِهِ﴾ . [قيل نزلت في عبد الله ابن سلام ، وهذا القول غريب لأن هذه الآية مكية وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم النبي ﷺ المدينة ، والأظهر في هذا ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما : هم من اليهود والنصارى ، وهو يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المقدمة من بشارات الأنبياء به - ابن كثير].

[سورة إبراهيم]

سورة إبراهيم ، مكية ، إلا الآيتان ٢٨ و ٢٩ ، وهي ٥٢ آية . سميت به لاشتغالها على دعوات لإبراهيم عليه السلام .

[١] ﴿الر﴾ تلفظ : ألف . لام . را . وقد ورد تفسير الأحرف المقطعة في أول سورة البقرة ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي : من الضلال إلى الهدى ﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ﴾ أي : بأمره سبحانه [قال ابن جرير: يعني بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم] ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الصراط : الطريق ، العزيز : القاهر القادر ، الحميد : المحمود في أمره ونبيه .

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [قال ابن جعفر: يقول - الله - لنبيه محمد ﷺ أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعو عبادي إلى عبادة من هذه صنعه وَيَدْعُوا عِبَادَةَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لَهُمْ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا مِنَ الْأَلْهَةِ وَالْأَوْثَانِ ، ثم توعده جل ثناؤه من كفر به ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له ، فقال : ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ من عذاب يوم القيامة .

[٣] ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يُؤْتِرُونَ ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بتعويق الناس عن الإيثار ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي : يرغبون أن يروا فيها عوجاً ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ضلُّوا عن طريق الحق .

[٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفقهوا ما يدعوههم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ له الضلالة ويهدي مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ غَالِبٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيما يحكم ويقضي .

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بمعجزاتنا ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من الضلال إلى الهدى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ أنذرهم بما وقع على الأمم الضلالة قبلهم كقوم نوح ولوط ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لَايَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه ، لأن الشكر والصبر عنوان المؤمن . [وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إن أمر المؤمن كله عجب ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له) - ابن كثير].

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٣﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٤﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥﴾

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أي : ييغنونكم إيَّاه ﴿وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ المولودين صغاراً ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ييقونهن في الحياة ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ . [قال ابن جرير: فيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب ، بلاء لكم من ربكم عظيم ، أي ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم].

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي : أذن وأعلم إعلاماً بليغاً ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ﴾ نِعْمَةً ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ منها ﴿وَلَنْ كَفَرْتُمْ﴾ أي جحدتم النعمة ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لأبدلنكم النعمة بالنقمة . [وقد جاء في الحديث : (إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه) - ابن كثير].

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ غني عن شكر عباده ، المحمود بأجل المحامد .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان سألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر) .

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قَوْمُ نُوحٍ ﴿مَعَ كَثْرَتِهِمْ﴾ وَعَادٌ ﴿مَعَ غَايَةِ قُوَّتِهِمْ﴾ وَثَمُودٌ ﴿مَعَ كَثْرَةِ حَصُونِهِمْ﴾ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ضَحْكَاً وَاسْتَهْزَاءً كَمَنْ غلبه الضحك ، أو إشارة إلى الرسل : أن اسكتوا [قال ابن جرير: وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية : أنهم ردوا أيديهم في أفواههم ، فعضوا عليها ، غيظاً على الرسل] ﴿وَقَالُوا﴾ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿أي : ذي ريبة .

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴿أي : الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سابق﴾ يَدْعُوكُمْ ﴿إِلَى الْإِيمَانِ﴾ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴿وَيَمْتَعِكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُعَدَّدٍ﴾ قَالُوا : إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿بآية مما نقترحه تدل على فضلكم علينا بالنبوة﴾ [قال ابن كثير] ﴿أفي الله شك﴾ أفي وجوده شك ؟ فإن الفطر شهادة بوجوده ومجولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطرار ، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصول إلى وجوده ، ولهذا قالت الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فاطر السموات والأرض﴾ والمعنى الثاني : أفي إلهيته وتفرد به بوجوب العبادة له شك ؟ وهو الخالق لجميع الموجودات ، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى .

[١١] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالرسالة والنبوة ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ بآية معجزة وبرهان ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلا بأمره وإرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في أمرهم كله ، فليسلم المؤمنون أمرهم كله لله ويتوكلون عليه .

[١٢] ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ومعناه : وأي عذر لنا في عدم توكّلنا عليه ﴿وَقَدْ هَدَانَا﴾ أرشدنا ﴿سُبُلَنَا﴾ أي : ما ينبغي على كل منا سلوكه من سبيله ومنهاجه - سبحانه وتعالى - الذي شرع له ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ من الكلام والأفعال ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ . [قال ابن جرير: وعلى الله فليتكمل من كان به واقفاً من خلقه ، فأما من كان به كافراً فإن وليه الشيطان] .

[١٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ عاد هنا بمعنى : صار ، لأن الأنبياء لم يكونوا قط في ملة المشركين ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ أوحى إلى الرسل ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين . [قال أبو جعفر: وقد يجوز أن يكون قيل لهم الظالمون لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها ، إذ كان ظلماً ، سمو بذلك] .

[١٤] ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، ذَلِكَ الْنَصْرَ الْمُؤَيَّدَ لورثة الأرض وسكنها والتأييد﴾ لمن خاف مقامه وخاف وعيد ﴿وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ .

[١٥] ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ أي : سألو الله النصر - الفتح - على أعدائهم ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ الجبار : المتكبر على طاعة الله تعالى وعبادته ، والعنيد : المعاند للحق .

[١٦] ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ تنتظره وترصده [قال أبو جعفر: و«وراء» في هذا الموضع يعني : أمام ، كما يقال : إن الموت من ورائك ، أي قدامك] ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ وهو ما يسيل من جوف أهل النار ، قد خالط القيح والدم . [قال مجاهد : الصديد من القيح والدم . وقال قتادة هو ما يسيل من لحمه وجلده . وفي رواية عنه : الصديد ما يخرج من جوف الكافر فقد خالط القيح والدم . وفي حديث شهر بن جوشب عن أساء بنت يزيد بن السكن قالت : قلت يا رسول الله : ما طينة الخبال ؟ قال ﷺ : (صديد أهل النار) . وفي رواية : (عصارة أهل النار) - ابن كثير] .

[١٧] ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلف تجرعه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ لحبسه ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ تحيط به الأهوال وما هو بمستريح مما نزل به ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ شديد متصل لا ينقطع . [وقال الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله : ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ يتجرعه قال : (يقرب إليه فتكرهه ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره) . ابن كثير] .

[١٨] ﴿مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَغْمَاهُمْ كَرَمَادٌ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ كل أعمال الكفار الحسنة ، كالشهادة والكرم لا قيمة لها ، كرماد تذروه الرياح ولا يبقى له أثر ﴿لَا يَقْدَرُونَ﴾ لا يقدرون ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يوم القيامة ﴿يَمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لا يرون له أثراً من ثواب ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ .

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سواكم مكانكم] .

[٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾ الإذهاب والإبدال بخلق جديد ﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ فهو سبحانه قادر على كل شيء ولا يعجز عن تنفيذ إرادته لو شاء .

[٢١] ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ اجتمعوا لحسابه وقضائه يوم القيامة ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ وهم الأنبياء ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ على الرسل ، وهم قاداتهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تابعين ننفذ ما تأمرؤنا به ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّْا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ، قالوا : ﴿أَي : المستكبرون﴾ لو هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ ، سواءً علينا أجزعنا ﴿جَزَعٌ﴾ : لم يصبر على ما حل به ﴿أَمْ صَبَرْنَا﴾ ، ما لنا من تحييص من منجى ومهرب من العذاب .

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بنجاة السعداء وهلاك الأشقياء ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ على السنة الرسل ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ ووعدتكم وعد الباطل ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ من حجة وبرهان ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ أسرعتم لطاعتي بمجرد دعوتي لكم ﴿فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم ومنجيكم من العذاب ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ مما أنا فيه ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ تبرأت منه ومنكم ، فلم يبق بيني وبينكم علاقة ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [روى ابن جرير عن الشعبي قال : خطيبان

يقومان يوم القيامة ، إبليس ، وعيسى ابن مريم ، فأما إبليس فيقوم في حزبه ، فيقول هذا القول . وأما عيسى عليه السلام فيقول ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ - المائدة ١١٧] قال الزخشرى : وإنما حكى الله عزّ وعلا ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بدّ لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول ، فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم .

[٢٣] ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله وكتابه ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي : الطاعات ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من تحت مساكنها وشجرها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ، تحييتهم فيها سلام ﴿تحيةهم الملائكة بالسلام عليهم﴾ .

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ كلمة طيبة ﴿[قال ابن جرير: وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالكلمة الطيبة ، فقال بعضهم : عنى بها إيمان المؤمن ، وقال آخرون : بل عنى بها المؤمن نفسه]﴾ كشجرة طيبة أصلها ثابت ﴿في الأرض ضارب بعروقه فيها﴾ وفروعها ﴿أعلاها ورأسها﴾ في السماء ﴿[قال البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : (أخبروني عن شجرة تشبه - أو - كالرجل المسلم ، لايتحات ورقها صيفاً ولا شتاءً) ، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)﴾ . قال ابن عمر رضي الله عنهما فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئاً ، قال رسول الله ﷺ : (هي النخلة) . فلما قمنا قلت لعمر رضي الله عنه : يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة ، قال : ما منعك أن تتكلم ؟ قلت : لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً ، قال عمر : لأن تكون قتلها أحب إليّ من كذا وكذا - ابن كثير] .

[٢٥] ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾
والتمر ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

[٢٦] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي شجرة الخنظل ﴿اجْتَثَّتْ﴾ استؤصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أي : استقرار. [روى ابن جرير عن ابن عباس قوله : ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثال الكافر، يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يقول : الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد إلى الله ، فليس له أصل ثابت في الأرض ، ولا فرع في السماء ، يقول : ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة].

[٢٧] ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ وهو الكلمة الطيبة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا يشكون في إيمانهم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يثبتون على كلمة التوحيد عند سؤال القبر ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من التثبيت والإضلال حسبما تقتضيه حكمته البالغة. [روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ في الحياة الدنيا وفي الآخرة). وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا في جنازته ، ثم صلوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس في قبره فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقال له : من رسولك ؟ فيقول : محمد ﷺ . فيقال له : شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فيوسع له في قبره مد بصره - ابن كثير].

تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٢٨﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٢٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٠﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣١﴾

فكفروا برسولهم بدل أن يؤمنوا به وهو الذي دعاهم إلى نعمة الإيمان بالله وتوحيده ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ الذين أضلُّوهم معهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ أي : الهلاك. [٢٩] ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾ فجَهَنَّمَ هي دار البوار التي تصيبهم بنارها ﴿وَبَسَّ الْقَرَارُ﴾ أي : المستقر. [٣٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ من الأوثان فعبدها ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ عن عبادته وحده ﴿قُلْ﴾ تهديداً للضالين المضلين ﴿تَمَتَّعُوا﴾ بشهوات الحياة الدنيا ﴿فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾. [٣١] ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ المَخَالَّةُ ، بمعنى : المصاحبة ، والمقصود : أن القيامة هي دار الحساب فلا عمل يُستأنف فيها ليتدارك به التقصير الذي وقع في الدنيا ، ولا صحبة أحد ، كائن من كان ، تشفع لأحد إلا بإذن الله.

[٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ هو ماء المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تعيشون به ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ للشرب والسقي وسواهما. [٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ مستمران في سيرهما وإنارتها والقيام بما سخرهما الله إليه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يتعاقبان لمعاشكم وسباتكم.

[٣٤] ﴿وَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ ما طلبتم منه مما تحتاجون إليه لتصلحوا أحوالكم به ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ لكثرتها وعدم تنهايتها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ بتلك النعم التي لا تحصى. [وفي صحيح البخاري رحمه الله أن رسول الله ﷺ كان يقول : (اللهم لك الحمد غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا). وقد روي في الأثر أن داود عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي؟ فقال الله تعالى : الآن شكرتني يا داود. أي حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر المنعم - ابن كثير].

[٣٥] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ يعني مكة المكرمة ﴿أَمِنًا﴾ من كل أذى ﴿وَاجْعَلْنِي﴾ يعني بطني ﴿وَبَنِيَّ﴾ وكذلك ذريتي ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. [عن مجاهد قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، قال : فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته ، قال : واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً وورق أهله من الثمرات ، وجعله إماماً ، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة ، وتقبل دعاءه ، فأراه مناسكه وتاب عليه - ابن جرير].

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنِّي﴾ أي الأصنام ﴿أَضَلَّلْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ كانت الأصنام سبباً في ضلالهم ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ وكان حنيفاً مسلماً مثلي ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي ، فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [تعفو عمن تشاء منهم].

[٣٧] ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ وهم إسماعيل وذريته ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ بوادي مكة القاحل ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي حرمت التعرض له والتهاون به ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ليعمروه بذكرك وعبادتك وحدك ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ تسرع إليهم شوقاً [روى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال : لو قال : أفئدة الناس تهوي إليهم لحجَّت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : أفئدة من الناس تهوي إليهم ، فهم المسلمون] ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وشكرهم توحيد الله وعبادته.

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ فالله أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا ، منا ، وهو أرحم بنا منا بأنفسنا. [٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ بعد أن بلغت عمراً لا يقع منه حل ولا ولادة ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ ليقوما مقامي في الدعوة إليه تعالى ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ أي : مجيبه.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ مستمراً ثابتاً على عبادتك ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ كذلك ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ وتقبل تلك العبادة والدعاء. [٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ وكان هذا الدعاء وقع من إبراهيم عليه السلام قبل تبين أمر والده له وتأكد من كفره. [والمؤمنين بك ممن تبني على الدين الذي أنا عليه ، فأطاعك في أمرك ونهيك - وذلك يوم يقوم الناس للحساب - قاله ابن جرير].

[٤٢] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني مشركي أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بإمهمهم متمتعين بشهواتهم ، ولا يعجل عقوبتهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ترتفع فيه أبصار أهل الموقف ، لهول ما يرون يوم القيامة.

[٤٣] ﴿مُطْعِنِينَ﴾ مُسرعين إلى الداعي الذي يدعوهم إلى المحشر [أو مديمي النظر في غير طرف، والاول أشهر] ﴿مُتَعِنِينَ رُؤُوسِهِمْ﴾ رافعيها إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ عيونهم مفتوحة من غير تحريك للأجفان ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ لا قوة فيها، ولا ثبات لشدة الفزع.

[٤٤] ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا: رَبَّنَا أَخْرِنَا مِنْ رَدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا وَأَمْلِنَا﴾ إلى أجل قريب ﴿أَمَدٌ مِنَ الزَّمَانِ قَرِيبٌ﴾ نَجِبْ دَعْوَتَكَ ﴿إِلَى الْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِكَ وَأَسْأَلُكَ الْحُسْنَى﴾ وتتبع الرُّسُلَ ﴿فِيَا دَعُونَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَائِعِ﴾ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ ﴿أَي: فَيَقَالُ لَهُمْ تَوْبِيحاً وَتَبْكِيَةً: أَوْلَمْ تَكُونُوا تَحْلِفُونَ﴾ مِنْ قَبْلِ﴾ يعني: في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ من دار الدنيا إلى دار أخرى للجزاء.

[٤٥] ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ كعاد وتمادى ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما شاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندهم من أخبارهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ أي: صفات ما فعلوا وما فعل بهم، ومع ذلك فلم يكن لكم فيهم معتبر ولا مزدجر.

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكَرُهُمْ﴾ عملوا جهدهم لإبطال الحق وتقرير الباطل ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ﴾ أي: جزاء مكرهم ﴿وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ فِي الْعِظَمِ وَالشَّدَّةِ﴾ لِيَرْزُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿تَنْقَلَعُ مِنْ أَمَاكِنِهَا﴾

﴿مُطْعِنِينَ﴾ مُسرعين رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبِ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَغَ لِلنَّاسِ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَاحِدُ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

[قال ابن جرير: وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال، بل ما ضروا بذلك إلا أنفسهم ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم].

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولَهُ﴾ وهو نصرهم، وتعذيب أعدائهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ من أعدائه.

[٤٨] ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ بما يحدث فيها من تبديل وآيات كونية من سير الجبال وتفجير البحار وتشقق السماء ﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا من قبورهم، وذلك يشمل جميع الخلائق، يخرجها الله بقدرته ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ يحاسبهم ويجزيهم.

[٤٩] ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ أي: مربوط بعضهم مع بعض حسب جرائمهم وإفسادهم، فيجمع كل صنف إلى صنف، أو: قُرُونًا مع الشياطين، أو: قُرُنَاتٍ أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود.

[٥٠] ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾ السربال: القميص، وهنا يشبههم بأكره الأشياء إلى قلوبهم: الإبل الجربى التي تُطلى بالقطران وتغشى وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿تَعْلُوهَا وَتَحِيطُ بِهَا النَّارُ﴾ التي تمس جسدكم المسربل بالقطران.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ﴾ فهو سريع في محاسبة الخلائق يوم القيامة.

[٥٢] ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى القرآن الكريم أو السورة نفسها ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ كفاية لهم لما فيه من العظة والتذكير ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ لِيُخَوِّفُوا وَلِيُوعِظُوا بِهِ عَنْ الْجَرَائِمِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا السَّابِقُونَ ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا إله إلا هو ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: ليتعظ به ذوو العقول.

[سورة الحجر]

سميت هذه السورة بالحجر لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي مكية، وآياتها ٩٩ آية.

[١] ﴿الرَّ﴾ تلفظ: ألف . لام . را ، وقد تقدم الكلام على الأحرف المقطعة في أول سورة البقرة ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الإشارة إلى آيات الكتاب الكامل، وآيات قرآن عظيم الشأن ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ مبين للحكم والأحكام ولسبيل الرشد والغي. [٢] ﴿رَبَّنَا يُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ تبشير للنبي ﷺ بظهور دينه، وأنه سوف تأتي أيام يتمنى الكافرون بها، أن لو سبق لهم الإسلام فكانوا من السابقين.

[٣] ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا﴾ بدياهم وتنفيذ شهواتهم ﴿وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ﴾ يشغلهم تمنيتهم لحسن العاقبة، مع كفرهم، عن التوبة والتذكر ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ لمن تكون له العقبى.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أجل مقدر.

[٥] ﴿مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ لا تهلك قبله ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه.

[٦] ﴿وَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ اتهم المشركون محمداً ﷺ بالجنون استهزاء وتهكماً.

[٧] ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

أي: هلا تأتينا بالملائة يشهدون بصدقك؟ [في أن الله بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتاباً، فإن الرب الذي فعل ما تقول بك لا يتعذر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا وآية لك على نبوتك وصدق مقاتلك].

[٨] ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ﴾ عليهم فيأتونهم ويشاهدونهم ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو العذاب الذي قضى به الله على المكذبين بالرسول ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فالله تعالى أنزل القرآن الكريم وهو يحفظه من كل من بغى له كيداً.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ من قبلك في شيع الأولين ﴿فِي فِرْقٍ وَطَوَائِفِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ﴾.

[١١] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كما يفعل مشركو قريش.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي: التكذيب والشرك ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين، فهم لا يؤمنون بما أنزل الله.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالذكر المنزل ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ قد مضت السنة فيهم من هلاكهم، وزهوق باطلهم، ونصر الرسل وجنود المؤمنين عليهم. [١٤] ﴿لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاء المستهزين ﴿بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا﴾ فصاروا طول نهارهم ﴿فِيهِ يَعْزُجُونَ﴾ يصعدون مستوضحين لما يرونه فيها من العجائب.

[١٥] ﴿لَقَالُوا: إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أي: حُيرت أو حُبست من الإبصار، وما نراه شيء نتخيله لا حقيقة له ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ جمع : برج ، والمراد في الآية : النجوم ومنازل الشمس المعروفة ﴿وَزَيْنَّاها﴾ وزينا السماء بتلك البروج ﴿لِلنَّاطِرِينَ﴾ المستدلين بها على قدرة خالقها ووحدانيته .
 [١٧] ﴿وَحَفِظْنَاها مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مطرود من رحمة الله .
 [١٨] ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ﴾ اختلس ﴿السَّمْعَ﴾ من الشياطين الذين يسترقون السمع من الملائكة الساوية ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ تبعه ولحقه ﴿شَهَابٌ مُبِينٌ﴾ هب محرق ظاهر ، فيرجع أو فيحترق .
 [١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي﴾ جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ وزن بميزان الحكمة ، وقدر بمقدار لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان .
 [٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ ما تعيشون به من الطعام والملابس مما تقتضيه ضرورة الحياة ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بُرَاقِينَ﴾ من الأنعام والدواب وما أشبهها .
 [٢١] ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ وزنا بميزان الحكمة ، وقدر بمقدار لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان .
 [٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ تلقح السحاب ، أي : تجعلها حوامل بالماء ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُفَّوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ بقادريين على إيجاده وإنزاله .

[٢٣] ﴿وَأَنَا لَنْحَنُ نَحِيٍّ وَنُحْمٍ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ الباقون بعد هلاك الخلق كله .

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَّقِينَ﴾ أي : من تقدم ولادة وموتاً ، ومن تأخر من الأولين والآخرين . أو : من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر .

[٢٥] ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يحشر الأولين والآخرين على كثرتهم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ يدبر أمرهم في الحشر على وفق الحكمة ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل ما فيهم من خفايا الصفات الذميمة .

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ من طين يابس مصوّت : يُسمع له صلصلة إذا نُقر ﴿مِنْ حَمٍ﴾ من طين متغير مسود مسنون ﴿مَصُورٍ﴾ أو : مصبوب ، أي : مفرغ على هيئة الإنسان .

[٢٧] ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل الإنسان ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ من نار الريح الشديدة الحرّ .

[٢٨] ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي : خالق البشر من صلصال من حمٍ مسنون ﴿- ورد تفسير هذه الألفاظ في الآية رقم ٢٦ السابقة -﴾

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ عدلت خلقته وأكملتها ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ تحية له وتعظيماً .

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ بلا استثناء ، وهم الذين لا يعصون الله قط .

[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ رفض وعصى وتمرد ، وهو ليس من الملائكة ﴿أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ .

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاها لِلنَّاطِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاها مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بُرَاقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُفَّوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَأَنَا لَنْحَنُ نَحِيٍّ وَنُحْمٍ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَّقِدِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُتَّقِينَ خَيْرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٧﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٤﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤١﴾ ابْتَغُوا الْيُسْرَى وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٤٢﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٥﴾ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٧﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٨﴾

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَا إِبْلِيسُ﴾ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٣﴾ وقد أمرتك بذلك ؟

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمٍ مَسْنُونٍ﴾ يعني : وقد خلقتني من نار ، فأنا خير منه ، لأن النار خير من الطين .

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ من زمرة الملائكة المعززين ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود من كل خير وكرامة .

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ وهو يوم القيامة .

[٣٦] ﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ أمهلني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يوم القيامة .

[٣٧] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ كما طلبت .

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو يوم البعث .

[٣٩] ﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ بسبب غوايتي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ولأغويَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك وجردتهم بالتوجه إليك .

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي : هذا طريق مرجعه إلي فأجازي كلاً بأعمالهم .

[٤٢] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة على الإغراء والإغواء أي : أن لا سلطان لك على عبادي

المخلصين ، إلا الذين يناسبونك في الغواية والبعد عن صراطي ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ المطبوعين على الغواية .

[٤٣] ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فجهنم جزاء عادل لمن قدم الغواية على الهدى .

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [روى ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال : أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلئ الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث حتى تملأ كلها] ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ حزب معين مفرز من غيره ، حسبما يقتضيه استعداده .

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من أهل الإيثار والطاعة ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

[٤٦] ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ يقال لهم : ادخلوها ﴿بِسَلَامٍ﴾ سالمين ، أو مُسَلِّماً عليكم ﴿آمِينَ﴾ من الآفات والزوال .

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ من كل حقد كان في الدنيا ، لبعضهم على بعض ﴿إِخْوَانًا﴾ يدخلونها إخواناً متحابين ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ مراتب عالية ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لتساوي درجاتهم وتقارب مراتبهم .

[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ يقيمون في الجنة إلى الأبد .

[٤٩] ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً . [٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ لمن لم يتب من كفره أو من عصيانه . [٥١] ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ والضيف : يقع على الواحد والجمع [قال ابن جرير : وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف إبراهيم ، يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم] .



[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : سَلَامًا ، قَالَ : إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون ، وذلك لما رأى أيديهم لا تمتد إلى طعامة ، وكان ذلك يعني عندهم أن الضيف سيغدر بصاحب البيت .

[٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نَبْشُرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ بشروه ، بعدما يتنوا له أنهم ملائكة على صورة البشر .

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿أَبَشِّرْهُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ والكبر من قبل الزوج والزوجة - بالإضافة إلى أن الزوجة عقيم كما في سورة الذاريات (٢٩) - مانع من الحمل ﴿فِيمَ تُبْشِرُونَ﴾ استغرب البشري وكأنه قال : ما هذه البشري ؟

[٥٥] ﴿قَالُوا : بَشْرُنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ الآيسين من ذلك .

[٥٦] ﴿قَالَ : وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ يعني : لم أستنكر ذلك قنوطاً من رحمته ، ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله تعالى ، وهو أن يلد للعجوزين الكبيرين ولد .

[٥٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم بعد أن ذهب عنه الروح ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أمركم الخطير ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ وما الذي أرسلتم لأجله .

[٥٨] ﴿قَالُوا : إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ أرسلنا الله لإهلاكهم ، يعنون : قوم لوط .

[٥٩] ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلا لوط ومن آمن معه فإنهم ناجين .

[٦٠] ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ أي : امرأة لوط ﴿قَدَرْنَا﴾ والله تعالى هو الذي قدر ودبر ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين مع الكفار من قومه لتهلك معهم .

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ لتنفيذ أمر الله بإهلاك قومه .

[٦٢] ﴿قَالَ : إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ قال لهم لوط : لا أعرفكم ولا أدري من أي الأقوام أنتم وما غايتكم .

[٦٣] ﴿قَالُوا : بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ جئناك بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به ، ويكذبونك لأجله .

[٦٤] ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين مع هلاكهم ﴿وَأِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ .

[٦٥] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فاذهب بهم في الليل ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ في فترة منه وهي آخرة ﴿وَاتَّبِعْ أَزْوَاجَهُمْ﴾ وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لينظر ما وراءه ، فيرى من الهول ما لا يطيقه ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ .

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ قضينا : حكمنا ﴿أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ لا يصبح عليهم الصباح حتى يُسْتَأْصَلُوا عن آخرهم .

[٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة لوط ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بضيوفه طمعاً بهم .

[٦٨] ﴿قَالَ﴾ لوط عليه السلام ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونْ﴾ بالإساءة إليهم بفحشائكم .

[٦٩] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنْ﴾ الخزي : العار .

[٧٠] ﴿قَالُوا﴾ أي : قوم لوط ﴿أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أن تجير أحداً من الناس أو تدافع عنه ، وكانوا لعنهم الله لا يتركون أحداً من شرهم .

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مَقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِأَمَامٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَيْنَهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَيْسَبِيلٌ مَقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِبِأَمَامٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَيْنَهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

[٧١] ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ أي : عرض عليهم الزواج من بناته ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ .

[٧٢] ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم بحياة النبي ﷺ ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ غفلتهم التي ذهبت معها أحلامهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون فلا يفهمون ما يقال لهم .

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ أي : صيحة العذاب ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس .

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا﴾ من تلك الصيحة ﴿عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ انقلبت المدينة رأساً على عقب بأهلها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ طين متحجر ، لرحمهم على لواطهم .

[٧٥] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الناظرين في الآيات . [٧٦] ﴿وَإِنَّهَا﴾ يعني : مدينة قوم لوط المدمرة ﴿لَيْسَبِيلٌ مَقِيمٌ﴾ في طريق يسلكه الناس فيتعظون بهم . [٧٧] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إن في هلاكهم لعبرة لهم .

[٧٨] ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام ، كانوا يسكنون أيكة ، وهي بقعة كثيرة الأشجار ﴿لَظَالِمِينَ﴾ بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان .

[٧٩] ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بعذاب الظلة ، وهي سحابة أظلتهم بنار تقاذفت منها فأحرقتهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني قرى قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴿لِبِأَمَامٍ مُبِينٍ﴾ طريق واضح ، وقد كانوا قريباً من قوم لوط ، بعدهم في الزمان ومجاورين لهم في المكان .

[٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ يعني : ثمود ، والحجر : واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه ﴿الْمُرْسِلِينَ﴾ كذبوا صالحاً عليه السلام ، ومن كذب واحداً من الأنبياء ، فقد كذب الجميع . [٨١] ﴿وَءَايَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ وهي الدلائل على صدق دعوى نبيهم ، كالناقاة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء . [٨٢] ﴿وَكَانُوا يُنَجِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ من حوادث الدهر . [٨٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح من اليوم الرابع لعقرهم الناقة . [٨٤] ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بها عنها عن الناقة ، حتى عقروها لثلا تضيق عليهم في المياه . [٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ والحكمة الثابتة التي لا تقبل التغير ، وهي الاستدلال بها على الصانع وصفاته ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي : فيجزي كلاً بما كانوا يعملون ﴿فَاصْصَبْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [قال قتادة : كان هذا قبل أن ينزل الجهاد - ابن جرير] . [٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ وإنه تعالى قادر على إقامة الساعة .

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ السبع المثاني : هو القرآن كله كما قاله ابن عباس في رواية طاوس ، والسبع : يراد بها الكثرة ، والمثاني : جمع مثني بمعنى الثنية أو الشاء . [٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار متمنياً لها ، فإنه مستحق بالنسبة إلى ما أوتيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لعدم إيمانهم ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم .

[٨٩] ﴿وَقُلْ : إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ المنذر المظهر للعذاب لمن لم يؤمن . [٩٠] ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ مثل ما أنزلنا من العذاب على أصحاب صالح عليه السلام ، الذين تقاسموا بالله لُبَيْتَتَهُ وأهله ، فأخذتهم الصيحة فالانقسام من : القسم ، لا من القسمة .

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أي : أجزاء ، جمع : عِصَّة ، والمعنى : كفار مكة ، قالوا : سحر ، وقالوا : كهانة ، وقالوا : أساطير الأولين .
 [٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كُلٌّ بحسب ذنبه .
 [٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التقسيم فيجازهم عليه [قال ابن جرير : فورك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عِضِينَ في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا ، فيما أمرناهم به ، وفيما بعثناك به إليهم من أي كتابي الذي أنزلته إليهم ، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدني والبراءة من الأنداد والأوثان] .
 [٩٤] ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الصدع : بمعنى الإظهار والجهر ، أي : افرق بين الحق والباطل ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين يرومون صدك عن التبليغ ، فلا تبال بهم .
 [٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ إنا حفظناك من شرهم ، فلا ينالك منهم سوء .
 [٩٦] ﴿الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ والشرك جريمة عظيمة وهي أكبر الكبائر ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم ومصيرهم .
 [٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من كذبهم وافتراءهم عليك وعلى دعوتك .
 [٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ من المصلين ، من باب إطلاق الجزء على الكل .
 [٩٩] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ اليقين : الموت ، والمعنى : دُم على العبادة ما دمت حيًّا .



الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

[سورة النحل]

سميت هذه السورة بالنحل لورود قصته فيها ، الآية : ٦٨ . وهي مكية ، واستثنى ابن عباس آخرها ، وآياتها ١٢٨ آية . وعن قتادة : تُسمى سورة النعم ، وذلك لما عدد الله فيها من النعم على عباده .
 [١] ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي : الساعة ، وجاء بصيغة الماضي لتحقيق وقوعه ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وكان المشركون يستعجلون العذاب من باب الاستهزاء ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من الأنداد والشركاء التي يدعون أنها ستشفع لهم .
 [٢] ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ الروح : هو الوحي ، الذي من جلته القرآن ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ .
 [٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي : بالحكمة ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره .
 [٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هيئة ضعيفة ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ بعد تكامله بشراً ﴿خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ مخاصم لخالفه مجادل يجحد وحدانيته ويحارب رسله .
 [٥] ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ وهي الأزواج الثمانية المفصلة في سورة الأنعام ، قال الزمخشري : وأكثر ما تقع على الإبل ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لمصالحكم ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما بقي البرد من الصوف أو الوبر أو الشعر ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ من نسلها ولبنها وركوبها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ اللحم المباح .
 [٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي : زينة ﴿حِينَ تُرْجَوْنَ﴾ حين تردونها من مراعيها إلى مُراحها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تخرجونها إلى المراعي .

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ فِي السَّيْلِ وَالتَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أمثالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ لم تكونوا بالغيه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث سخرها لمنافعكم .
 [٨] ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ خلقها وسخرها لكم ، وقد ورد في حل أكل لحوم الخيل أحاديث منها ما في الصحيحين وغيرهما من حديث أساء قالت : نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه . وأخرج أبو عبيد وابن أبي شيبة والترمذي وصححه والنسائي وغيرهم عن جابر قال : أطعنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمير الأهلية ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ كالأنعام ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المخلوقات في القفار والبحار .
 [٩] ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي : حق عليه سبحانه وتعالى ، بموجب رحمته ووعدته المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد ، بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه ﴿ومنها جائرٌ﴾ وبعض السبل مائل عن الحق منحرف عنه ، لا يوصل سالكه إليه ، وهو طريق الضلالة التي لا يكاد يحصى عددها ﴿ولو شاء﴾ لهداكم أجمعين ﴿لم يلزم سبحانه أحداً بطريق يطرقة ، لا بطريق الاستقامة ولا بطريق الضلالة ، وجعل لكل إنسان مكلف إرادة حرة في اختيار سبيله ، ليهلك من هلك عن بينة وينجو من نجا عن بينة .
 [١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي : من السحاب ﴿مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ يسكن حرارة العطش ﴿ومنه شجرٌ﴾ والمراد به كل ما ينبت من الأرض بسبب المطر ﴿فيه تسيمون﴾ ترعون أنعامكم .

[١١] ﴿يُنْبِتُ﴾ الله عز وجل ﴿لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾ الذي فيه قوت الإنسان ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ الذي فيه إدامه ﴿وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾ اللذين فيها غذاء ولذة ﴿ومن كل الثمرات﴾ يخرجها بهذا الماء الواحد ، على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في إنزال الماء وإنبات النبات المختلف الألوان والطعم كما ورد ﴿لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لَدَلَالَةً وَحُجَّةً عَلَىٰ وَحْدَانِيَةِ تَعَالَى .
 [١٢] ﴿وَسَخَّرَ﴾ بمعنى : نفع ، لأن النفع من لوازم التسخير ﴿لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لئلا يفتقر لكم الليل والنهار ، ولتستخرجوا من الليل والنهار ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ .
 [١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ وما خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من حيوان ونبات ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾ مختلفاً لونه من الدواب ، ومن الشجر والثمار ، نعم من الله مظاهراً فاشكروها لله - ابن جرير .
 [١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وتستخرجون منه حليّة﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ أي : تلبسها نسائككم ﴿وترى الفلك مَوَازِيرَ﴾ السفن ﴿مَوَازِيرَ فِيهِ﴾ تجري في البحر ﴿وليتبتغوا من فضله﴾ ليتنفعوا من سعة رزقه ، ببركوبها للتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ فتصرفون ما أنعم به عليكم إلى ما خلق لأجله .

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَأَجْرَمَ أَتَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالَوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمُ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

بعثها ، وقد روي أنها بُعثت ، ويُجعل فيها حياة ، فتبرأ من عابديها ، ثم يؤمر بها وبهم جميعاً إلى النار .

﴿٢٢﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الشُّرَكِيِّينَ لَوْحَدَانِيَّتُهُ تَعَالَى ، جاحدة لها ﴿٢٢﴾ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ تَعَالَى .

﴿٢٣﴾ لَأَجْرَمَ أَي : حقاً ﴿٢٣﴾ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلَنُونَ ، إنه لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ التَّوْحِيدِ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ .

﴿٢٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَي : لم ينزل شيئاً ، إنما هذا الذي يُتلى علينا أحاديثُ الأولين استمدَّها منها .

﴿٢٥﴾ قَالَ قَتَادَةُ : أحاديثُ الأولين وباطلهم ، قال ذلك قوم من مشركي العرب كانوا يقعدون بطريق من أتى نبي الله ﷺ ، فإذا مر بهم أحد من المؤمنين يريد نبي الله ﷺ ، قالوا لهم : أساطير الأولين ، يريد : أحاديث الأولين وباطلهم - ابن جرير .

﴿٢٥﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَي : قالوا ذلك ليحملوا أوزارهم الخاصة بهم ، وهي أوزار ضلالهم في أنفسهم ، وبعض أوزار من أضلَّوهم ﴿٢٥﴾ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ أَلَا بُسَّ مَا يُحْمِلُونَ ، وفيه وعيد وتهديد .

﴿٢٦﴾ قَدْ مَكَرَ الْمَكْرُ : الكيد السيئ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ فَهَدَمَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَهْلَكَهُمْ ﴿٢٦﴾ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ أَي : الهلاك والدمار ﴿٢٦﴾ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَحْتَسِبُونَ .

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَى أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

خَيْرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا ﴿٢٧﴾ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ وَهِيَ جَنَّةُ عَدْنٍ .

﴿٣١﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴿٣١﴾ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴿٣١﴾ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ [قال ابن جرير : كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاءهم به في الدنيا والآخرة ، كذلك يجزي الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه] .

﴿٣٢﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ أَي : طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي وكل سوء ﴿٣٢﴾ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [يعني جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين وهي تقول لهم : سلام عليكم صيروا إلى الجنة ، بشارة تبشرهم بها الملائكة - ابن جرير] .

﴿٣٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ بِالْعَذَابِ ﴿٣٣﴾ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ أَي : العذاب المستأصل ، أو يوم القيامة وما يعاينونه من الأهوال ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ ﴿٣٣﴾ مَثَلُ فَعَلَ هَؤُلَاءِ مِنَ الشُّرِكِ وَالِاسْتِهْزَاءِ ﴿٣٣﴾ فَعَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٣٣﴾ فَتَمَادَوْا فِي ضَلَالِهِمْ حَتَّى دَاقُوا بِأَسِّ اللَّهِ ﴿٣٣﴾ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ لَأَنَّهُ تَعَالَى أَعْدَرُ إِلَيْهِمْ وَأَقَامَ حُجَجَهُ عَلَيْهِمْ بِإِزْسَالِ رُسُلِهِ وَإِنْزَالِ كُتُبِهِ ﴿٣٣﴾ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ .

﴿٣٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴿٣٤﴾ جَزَاءُ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الشُّرِكِ وَإِنْكَارِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَعَاصِي ﴿٣٤﴾ وَحَاقَ بِهِمْ أَحَاطَ بِهِمْ ﴿٣٤﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي تَوَعَّدْتَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ .

﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ ﴿٢٧﴾ يُذْهِمُ وَيُخْزِيهِمْ بِعَذَابِ الْخِزْيِ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُ : أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ أَي : تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ﴿٢٧﴾ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿٢٧﴾ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ أَوْ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْحَقِّ فَيُشَاقِقُونَهُمْ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ أَي : الفضيحة والعذاب ﴿٢٧﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الْمُشْرِكِينَ بِهِ تَعَالَى مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ .

﴿٢٨﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَى أَنْفُسِهِمْ ﴿٢٨﴾ هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ طَالِمَى أَنْفُسَهُمْ بِتَبْدِيلِ فَطْرَةِ اللَّهِ ، عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ وَجِيءَ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِمْ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ ﴿٢٨﴾ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ ﴿٢٨﴾ يَنْقَادُونَ وَيَسْأَلُونَ وَيَتَرَكُونَ الْمَشَاقَّةَ وَيَقُولُونَ ﴿٢٨﴾ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴿٢٨﴾ يَنْكُرُونَ أَعْمَالَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَتُجِيبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴿٢٨﴾ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ [في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه غدرته ، فيقال : هذه غدره فلان بن فلان) - ابن كثير] .

﴿٢٩﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴿٢٩﴾ فَلْيَنسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ بُسَّ الْمَقَامَ لِمَنْ كَانَ مُتَكَبِّراً عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَاتَّبَاعِ رُسُلِهِ .

﴿٣٠﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴿٣٠﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا : خَيْرٌ ﴿٣٠﴾ أُنْزِلَ رَحْمَةً وَبَرَكَاتٍ لِمَنْ آتَبَهُ وَأَمِنْ بِهِ ﴿٣٠﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

[٣٥] وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴿ غروراً وطعناً في الرسالة ﴾ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ﴿ وهذا تفسير خاطيء لمعنى القضاء والقدر قائم على الظن مما ابتدعه واخترعه من التشريع والتحريم والتحليل ﴾ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ من الشرك والتحريم ، متمسكين بمثل هذه الشبهة ﴾ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿ ليس الأمر كما تزعمون من أنه لم ينكره عليكم ، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ونهاكم عنه وبعث في كل أمة رسولا يدعو إلى عبادة الله وينهى عن عبادة ما سواه .

[٣٦] وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ، أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿ وهو ما يعبد من دونه سبحانه ﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ ﴿ لأنهم آمنوا به كما قال تعالى في سورة التغابن ﴾ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴿ والاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة ، باتفاق كل ذي عقل ودين ، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (يا معاذ بن جبل ، أتدري ما حقُّ الله على عباده ؟ حقه على عباده أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . أتدري ما حقُّ العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ حقهم عليه أَنْ لَا يَعَذِّبَهُمْ) ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ لأنهم كما أوضح سبحانه اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

[٣٧] إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴿ أي : من يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره ﴾ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿ ينصرونهم في الهداية ، أو يدفعون العذاب عنهم .

[٣٨] وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿ جاهدين فيها ﴾ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴿ لا يعيده إلى الحياة يوم القيامة ﴾ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ أنهم يبعثون للحساب يوم القيامة ﴾ قَالَ قَتَادَةُ : إِنَّ النَّاسَ صَارُوا فِي الْبَعْثِ فَرِيقَيْنِ : مَكْذِبٌ وَمَصْدُقٌ ، ذَكَرْنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّ نَاسًا بِهَذَا الْعِرَاقِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا مَبْعُوثٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَذَبَ أَوْلَئِكَ ، إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَةُ لِلنَّاسِ عَامَةً ، وَلِعَمْرِي لَوْ كَانَ عَلِيٌّ مَبْعُوثًا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا أَتَيْنَاهُ نِسَاءً وَلَا قِسْمًا مِيرَاثَهُ - ابن جرير .

[٣٩] لَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴿ وهو الحق ، وأنهم كانوا على الضلالة قبله ﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿ في باطلهم لا سبيل في فهمهم الخاطيء لمعنى القدر وفي إنكارهم البعث .

[٤٠] إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ﴿ إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له : احدث ، فهو يحدث مباشرة .

[٤١] وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴿ مخلصين لوجهه ، أو في حقه ، وهم إما مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة فأذن لهم النبي ﷺ بالمهاجرة إلى الحبشة ، أو هم مهاجرة المدينة ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿ أي : أودوا وأريد فتنتهم عن الدين ﴾ لَنَنْبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴿ يعني : بالغلبة على من ظلمهم ﴾ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ مضطهدينهم وظالمهم .

[٤٢] الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿ على ما أودوا في سبيل الله ﴾ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ فلا يخشون أحداً إلا الله .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا لَا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْ لَعَمْرُؤُا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْا ظِلَالَهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

رَبِّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿ حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم بالعقوبة .

[٤٨] أَوْ لَعَمْرُؤُا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿ من جسم قائم له ظل ﴾ يَنْفِيوْا ظِلَالَهُ ﴿ يرجع شيئاً فشيئاً ﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴿ عن جانبي كل واحد منها ، بكرة وعشيّاً ﴾ سُجَّدًا لِلَّهِ ﴿ منقاداً له على حسب مشيئته في الامتداد والتقلص وغيرهما ﴾ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿ صاغرون .

[٤٩] وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ، وَالْمَلَائِكَةُ ، وَهُمْ ﴿ أي : الملائكة ، مع علو شأنهم ، وكذلك المتقين ﴾ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ عن عبادته والسجود له . [٥٠] يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴿ العلماء متفقون على أنه علو بلا تشبيه ولا تمثيل ﴾ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ من الطاعات والتدبير . [٥١] وَقَالَ اللَّهُ : لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿ خصص هذا العدد لأنه الأقل ، فيعلم انتفاء ما فوقه بالدلالة ﴾ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿ لا إله إلا هو ﴾ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿ مبالغة في الترهيب . [٥٢] وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴿ أي : العبادة لازمة له وحده ، وذلك يقتضي تخصيصه تعالى بالرهبة والخشية ﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿ وهو مالك النفع والضرر .

[٥٣] وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴿ فمن فضله وإحسانه ﴾ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿ لا تتضرعون إلا إليه ، لعلمكم أنه لا يقدر على كشفه إلا هو سبحانه ، والجوار : رفع الصوت . وجار : أفرط في الدعاء والتضرع .

[٥٤] ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ ﴿ استجابة منه لدعائكم ﴾ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿ نسبته النعمة إلى غيره ورؤيتها منه ، وكذا بنسبة الضر إلى الغير ، وإحالة الذنب في ذلك عليه .

[٤٣] ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ يعني : أهل الكتاب أو علماء الأخبار ، وفي الآية دليل على وجوب الرجوع إلى العلماء فيما لا يُعلم [قال ابن جرير : يقول لمشركي قريش : وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد ﷺ وقتلتم : هم ملائكة - أي : ظننتم أن الله كلمهم قبلاً - فاسألوا أهل الذكر ، وهم الذين قد قرأوا الكتب من قبلهم : التوراة والإنجيل ، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عبادہ] .

[٤٤] ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾ أرسلناهم بالآيات المبرهنة على صدقهم والكتب المرشدة إلى مصالح الخلق ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ القرآن ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ما أمروا به وما نهوا عنه وما وعدوا به أو أوعدوا ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يتأملون ما فيه من العبر فيحترزون عما أصاب الأولين .

[٤٥] ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ من جهة لا يعلمون بها .

[٤٦] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ ﴾ أي : في سعيهم في المعاش واشتغالهم بها ﴿ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ لا يعجزون ربهم على أية حال كانوا .

[٤٧] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ توقع للهلاك وخافة له ، أو تنقص في أبدانهم وأمواهم وثارهم حتى يهلكوا ، يقال : تخوفه : تنقصه وأخذ من أطرافه ﴿ فَإِنَّ

[٥٥] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ في الحياة الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ذلك الكفر في الآخرة.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي : لأهتهم التي لا علم لها لأنها جاد ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الزرع والأنعام وغيرهما تقرباً إليها ﴿تَاللَّهِ لَنُتَسَّأَلَنَّ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ﴾ ممن أنها آلهة يتقرب إليها ، والافتراء : الكذب .

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ الملائكة الذين هم عباد الرحمن ﴿سُبْحَانَهُ﴾ وذلك تنزيه له سبحانه عن هذه الفرية ﴿وَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ وهم لا يرضونها لأنفسهم لأنهم يشتهون الذكور .

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ﴾ صار أو دام النهار كله ﴿مُسْوَدًّا﴾ متغيراً مائلاً إلى السواد والاحتقان من الغم والحزن والغيط والكراهة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مشد الغيط على امرأته .

[٥٩] ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ يستخفي منهم ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ من أجله وخوف التعبير به ﴿أَيُّمَسْكِهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ محدثاً نفسه مُتَفَكِّراً في أن يتركه - أي مولوده الأنثى - على هوان وذلل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ يدفنه حياً على عادتهم في وأد البنات ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون مخلوق الله الأنثى بهذه الحقارة والذل والهوان عندهم الله ، تعالى وتقدس .

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ مثل الذين ذكرت مساوئهم ﴿مِثْلُ السَّوْءِ﴾ صفات الذل من الحاجة إلى الأولاد الذكور ، وكراهة الإناث ووأدهن ﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الوصف العالي الشأن ، والكمال المطلق ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَنُتَسَّأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُّمَسْكِهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَاجِرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وِلِيُّهُمْ أَلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

[٦١] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي : بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ لأهلك كل ما على وجه الأرض بسبب ظلم الظالمين ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت معين تقتضيه الحكمة ، يستغفر منهم من يستغفر فيغفر له ، ويصّر من يصّر فيزداد عذاباً ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ المسمى - المحدد - ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي : يموتون في الوقت الذي كتبه الله بدون تقديم أو تأخير . [٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾ ينسبون إليه ﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات ومن الشركاء ، وهم يأنفون من الأولى كما يكرهون مشاركة أحد لهم في ما لهم ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ يجعلون لله ذلك ، مع دعواهم أن لهم العاقبة الحسنى عند الله ، إن كان ثم معاد ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ أي : مُعْجَلُونَ إليها ومُقدّمون . من : الفرط ، وهو السابق إلى الورد . أو : متروكون منسيون في النار ، من : أفرطته ، بمعنى تركته ونسيته .

[٦٣] ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِيقَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ من الكفر والتكذيب والعناد ﴿فَهُوَ وِلِيُّهُمْ أَلْيَوْمَ﴾ أي : قرينهم ، يُغويهم أو المراد باليوم : يوم القيامة ، والولي بمعنى : الناصر ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فالقرآن هو الفرقان الفاصل بين الحق والباطل ﴿وَهُدًى لِّلْقُلُوبِ﴾ ورحمة لقوم يُؤْمِنُونَ .

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من المزن ، أي : السحاب ﴿مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات والزرع ، بعد جدها ويسسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ هذا التذكير ويعقلونه .

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا بُطُونُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ وهو ما في الكرش من النفل ﴿وَقَدْ لَبِئْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ أي : سهل المرور في حلقهم .

[٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ السَّكْر : مصدر سُمِّيَ به الخمر ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالزبيب والتمر وما أشبهها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي بَيِّنَاتٍ﴾ لقوم يعقلون ﴿فَالْعَقْلُ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ﴾ ، ولهذا حَرَّمَ الله المسكرات صيانة للعقول .

[٦٨] ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ المراد من الوحي : الإلهام والهداية ﴿إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ثم كُلِّي ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ فاسلُكي سُبُلَ رَبِّكَ ﴿فَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي بَيِّنَاتٍ﴾ لقوم يعقلون ﴿فَالْعَقْلُ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ﴾ ، ولهذا حَرَّمَ الله المسكرات صيانة للعقول .

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من كل ثمرة تشتهيها ، حلوها ومزها ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ الطرق التي أهلك وأفهمك في عمل العسل ﴿ذُلُّهُ﴾ مذلة ذللها الله لك وسهلها ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ سمي العسل شراباً ، لأنه يُشرب مع الماء وغيره ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ فمته أبيض وأصفر وأحمر ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ لأنه من جملة الأدوية في بعض الأمراض ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون ويستدلون

على وحدانيته سبحانه ، وانفراده بالوحيته . [قال البخاري رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شربة حِجَم ، أو شربة عسل ، أو لدعة بنار توافق الدواء ، وما أحب أن أكتوي) - ابن كثير .]

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم من العدم ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بالمولوت ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ أي : أضعفه وأردته وهو الهرم ﴿لَكِنِّي لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِ شَيْئٍ﴾ حيث يصير جاهلاً بعدما كان عالماً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ .

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ أي : جعلكم متفاوتين فيه ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا﴾ في الرزق ﴿بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فالملأك لا يعطون عبيدهم ما لهم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ فيستوون مع عبيدهم في الرزق . والآية مثل ضرب للذين جعلوا له تعالى شركاء ، أي : أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ، ولا تجعلونهم فيه شركاء ، ولا ترضون ذلك لأنفسكم ، فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء في الألوهية والتعظيم ؟ ﴿أَفَسِنَعِمَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ فيشركون معه غيره ، وهو المنعم عليهم ؟ .

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ من جنسكم وشكلكم إنساناً أزواجا لتأنسوا بها وتحصل المودة والألفة والرحمة ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد وأولاد أولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الطيبات أفعال باطل يؤمنون ﴿وَهُوَ مِنْفَعَةُ الْأَصْنَامِ وَشِفَاعَتُهَا﴾ وبنعمة الله هم يكفرون ﴿فِي إِضَافَةِ نِعْمَةِ إِلَى الْأَصْنَامِ﴾ ، أو في تحريم ما أحل لهم .

على وحدانيته سبحانه ، وانفراده بالوحيته . [قال البخاري رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شربة حِجَم ، أو شربة عسل ، أو لدعة بنار توافق الدواء ، وما أحب أن أكتوي) - ابن كثير .]

[٧٣] وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا * مِنْ مَطَرٍ أَوْ نَبَاتٍ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * لَا اسْتَطَاعَةَ لَهُمْ أَصْلًا .

[٧٤] * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ * فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ أُنْدَادًا وَأَمْثَالَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ قُبْحَ مَا تُشْرِكُونَ * وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ولو علمتموه لما جراتم عليه .

[٧٥] * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا * يعني : أن مثل هؤلاء في إشرافهم * عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا * مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف ، وبين حرٍّ مالك يتصرف في ماله كيف يشاء * هَلْ يَسْتَوُونَ * مع أنها سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وتعالى * الحمد لله * على ما هدى أوليائه وأنعم عليهم من التوحيد * بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هذه الحجة بهذا المثل مع ظهورها ووضوحها . [قال ابن عباس رضي الله عنهما : هذا مثل ضرب به الله للكافر والمؤمن ، وكذا قال قتادة ، واختاره ابن جرير ، فالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر ، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرًّا وجهراً هو المؤمن . وقال مجاهد : هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى ، فهل يستوي هذا وهذا ؟ - ابن كثير .]

[٧٦] * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا * آخر ، يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح * رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا ابْنُ كُفْرٍ * أحرس * لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ * مما يقدر عليه المتكلم الفصيح * وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ * ثقل على من يلي أمره * أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ * حيث يرسله في أمر لا ينجح في عمله لعاهته * هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ * ومن هو بليغ ذو كفاية ورشد لينفع الناس * وَهُوَ * في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * على سيرة صالحة ودين قويم ، كأنه قال : لا تسووا بين الصنم الكَلِّ وبين الخالق جل جلاله .

[٧٧] * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه ، أو المقصود علم يوم القيامة * وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ * الساعة : الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، واللمح : النظر بسرعة ، أي : كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها * أَوْ هُوَ أَقْرَبُ * من ذلك ، أي : أسرع زمانًا * إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

[٧٨] * وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا * من حق النعم وغيره ، بل أنتم لا تعلمون شيئاً أصلاً * وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ * فتدركون به الأصوات * وَالْأَبْصَارَ * فتحسبون المرئيات * وَالْأَفْئِدَةَ * أي : العقول * لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لتصرفوها فيما خلقت له من التوحيد والاعتبار بها والمشى على السنن الكونية .

[٧٩] * أَلَمْ يَرْوُا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ * مُذَلَّلَاتٍ * في جوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ * فهو سبحانه جعل فيها خاصية الطيران في الجو من غير تعلق بهادة ولا اعتماد على جسم ثقل * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرْوُا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

عليهم يا محمد بك ، ثم ينكرونك ويحذون نبوتك ، وأكثر قومك الجاحدون نبوتك لا المقرون بها .

[٨٤] * وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا * وهو نبيها ، يشهد عليها بما أجابته من إيمان وكفر فيما بلغها * ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا * في الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه * وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * لا يُطلب منهم إزالة عتب ربهم وغضبه ، والعتبى : بالضم : الرضا وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب ، فإذا لم يطلب العتاب منه ، دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه .

[٨٥] * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * لا يؤخرون [لأن وقت التوبة والإنابة قد فات ، فليس ذلك وقتاً لها ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة - ابن جرير .]

[٨٦] * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ * يعني : أوثانهم التي عبدوها * قَالُوا : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ * أي : نعبدوها * فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ : إنكم لكاذبون * أجابوهم بالتكذيب في تسميتهم شركاء وآلهة ، تنزيهاً لله عن الشرك ، أو بالتكذيب في دعواهم أنهم حملوهم على عبادتهم .

[٨٧] * وَالْقَوْمَ * وألقى الذين ظلموا * إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ * الاستسلام لحكمه بعد إبانهم في الدنيا * وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * من أن لله شركاء ، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى .

[٨٠] * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ * وهي الخيام والفساطيط والقباب المتخذة من الجلود نفسها ، أو من الوبر والصوف * تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ * تجدونها خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً * وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا * أي : الأنعام : أئنا ومثاعاً إلى حين * الْأَثَاثَ : ما يُتخذ للاستعمال بلبس أو فرش ، والمتاع : ما يتخذ للتجارة .

[٨١] * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ * من الشجر والجبال والأبنية وغيرها * ظِلَالًا * تستظلون بها من حر الشمس * وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا * ومعامل وحصوناً تستترون بها * وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ * جمع سربال : وهو كل ما يلبس من القطن والكتان والصوف ونحوها . وخص الحر ، اكتفاء بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر * وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْبَرْدَ * كالدرع من الحديد والزرذ ونحوها ، التي يتقى بها سلاح العدو في الحرب * كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ * وجوهكم إليه تعالى ، وتؤمنوا به وحده .

[٨٢] * فَإِنْ تَوَلَّوْا * بعد هذا البيان وهذا الامتنان * فَإِنَّمَا عَلَيْكَ * يا محمد ﷺ * الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * .

[٨٣] * يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ * التي عُدَّت * ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا * بعبادتهم غير المنعم بها ، وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعته أهتنا * وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ * [قال ابن جرير : معنى الآية : يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله

عليهم يا محمد بك ، ثم ينكرونك ويحذون نبوتك ، وأكثر قومك الجاحدون نبوتك لا المقرون بها .

[٨٤] * وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا * وهو نبيها ، يشهد عليها بما أجابته من إيمان وكفر فيما بلغها * ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا * في الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه * وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * لا يُطلب منهم إزالة عتب ربهم وغضبه ، والعتبى : بالضم : الرضا وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب ، فإذا لم يطلب العتاب منه ، دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه .

[٨٥] * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * لا يؤخرون [لأن وقت التوبة والإنابة قد فات ، فليس ذلك وقتاً لها ، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة - ابن جرير .]

[٨٦] * وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ * يعني : أوثانهم التي عبدوها * قَالُوا : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ * أي : نعبدوها * فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ : إنكم لكاذبون * أجابوهم بالتكذيب في تسميتهم شركاء وآلهة ، تنزيهاً لله عن الشرك ، أو بالتكذيب في دعواهم أنهم حملوهم على عبادتهم .

[٨٧] * وَالْقَوْمَ * وألقى الذين ظلموا * إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ * الاستسلام لحكمه بعد إبانهم في الدنيا * وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * من أن لله شركاء ، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى .

[٨٨] الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

الذين كفروا بكم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتكم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴿٩٤﴾ ولا تشترُوا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٩٥﴾ وما عند الله باقي ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٦﴾ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٧﴾ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٩٨﴾ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٩٩﴾ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿١٠٠﴾ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴿١٠١﴾ قل نزل الروح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴿١٠٢﴾

الذين كفروا بكم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتكم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴿٩٤﴾ ولا تشترُوا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٩٥﴾ وما عند الله باقي ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٦﴾ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٧﴾ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٩٨﴾ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٩٩﴾ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿١٠٠﴾ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴿١٠١﴾ قل نزل الروح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴿١٠٢﴾

الذين كفروا بكم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتكم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴿٩٤﴾ ولا تشترُوا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٩٥﴾ وما عند الله باقي ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٦﴾ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٧﴾ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٩٨﴾ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٩٩﴾ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿١٠٠﴾ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴿١٠١﴾ قل نزل الروح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴿١٠٢﴾

[٩٤] وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلْ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزول قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتكم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴿٩٤﴾ ولا تشترُوا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿٩٥﴾ وما عند الله باقي ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٦﴾ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٧﴾ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٩٨﴾ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٩٩﴾ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿١٠٠﴾ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴿١٠١﴾ قل نزل الروح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴿١٠٢﴾

وعند الصلاة ﴿الرجيم﴾ الملعون المرجوم باللعنة ، أو المطرود .

[٩٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي الشيطان ﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ بصبرهم على المكروه ، وعدم مبالاتهم بما يلقون في سبيل الجهاد بالحق من العثرات .

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي : بسبب إغواء الشيطان لهم وغروره ووسوسته هم مشركون .

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ المعنى : تبديل آية من آيات الأنبياء المتقدمين ، كآية موسى وعيسى وغيرهما من الآيات الكونية الآفاقية ، بآية أخرى نفسية علمية كالقرآن الكريم ، وهي كون المنزل هدى ورحمة وبشارة يدركها العقل إذا تنبه لها وجرى على نظامه الفطري ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ﴾ وذلك لاستعداد الإنسان وقبض ، لأن يخاطب عقله ويستصرخ فهمه ولبه ، فلم يؤت من قبل الخوارق الكونية ويدهش بها كما كان لمن سلف ﴿قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ وما ذاك إلا لجهلهم المتناهي ، إذ حسبوا أن المعجزة لا تكون عقلية وإنما مادية فقط ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أكثر الكفار جاهلون وفي ذلك توبيخ للكفار وتنبية على فساد رأيهم .

[١٠٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿نَزَّلَهُ﴾ أي : القرآن الكريم ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني : جبريل عليه السلام . أضيف إلى : القدس ، وهو الطهر ، والمقدس : المطهر من الأدناس البشرية ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ بالحق الثابت الموافق للحكمة التي اقتضاها دور عصره ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الحق وينذ وسائوس الشياطين ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ .

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّاتِ
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُبِينٌ ۚ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
ۚ ۝١٠٤ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ ۝١٠٥
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۚ ۝١٠٦
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۚ ۝١٠٧ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ۚ ۝١٠٨ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۚ ۝١٠٩

بالإيمان بالله ورسوله ﷺ ، فإنه إذا وافق المشركين بلفظ ، لإيلاء قوي وإيذاء شديد أو تهديد بقتل ، فلا جناح عليه . وروى ابن عباس أنها نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بالنبي ﷺ فوافقهم مكرهاً ، ثم جاء معتذراً ، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال له : (كيف تجد قلبك ؟) قال : مطمئناً بالإيمان ، قال ﷺ : (إن عادوا فعد) ولكن من شرّ بالكفر صدراً أي : طاب به نفساً واعتقده استحباباً للحياة الدنيا الفانية ، أي إثاراً لها على الآخرة الباقية فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم .

[١٠٧] ﴿ ذَلِكُمْ سَبَبُ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَدُخُولِهِمْ الْعَذَابَ الْعَظِيمَ ﴾ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ فَبَاعُوا دِينَهُمْ بِدَنِيَاهُمْ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ﴾ فَهُمْ لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا فِي فِهْمِ الْحَقِّ كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُ ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ عَنْ الْحَقِّ وَطَرِيقِهِ .

[١٠٩] ﴿ لَا جَرَمَ لَهُمْ ﴾ حَقًّا أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ لِأَنَّ الْعَذَابَ مِثْلَهُمْ .

[١١٠] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ﴾ الَّذِينَ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ ، مَهَانِينَ فِي قَوْمِهِمْ ، وَافْقُوهُمْ عَلَى الْفِتْنَةِ ظَاهِرًا ، ثُمَّ أَمَكْنَهُمُ الْخِلَاصَ بِالْهَجْرَةِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، فَتَرَكُوا بِلَادَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَغُفْرَانِهِ ﴿ ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ﴾ وَجَاهَدُوا الْكَافِرِينَ وَصَبَرُوا عَلَى مَشَاقِّ الْجِهَادِ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ ۝١١١ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ
الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۚ ۝١١٢ وَلَقَدْ
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ
ظَالِمُونَ ۚ ۝١١٣ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَأَشْكُرُوا أَنْعَمَتِ اللَّهُ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۚ ۝١١٤
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِيزِ وَمَا
أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ ۝١١٥ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السُّنْتُكُمْ
الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۚ ۝١١٦ مَتَاعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ ۝١١٧ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۚ ۝١١٨



[١١١] ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ تَحَاجُّ وَتَسْعَى فِي خِلَاصِهَا لَا يَهْمُهَا إِلَّا ذَاتُهَا وَشَأْنُهَا ﴿ وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فِي ذَلِكَ .

[١١٢] ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : هَذَا مِثْلُ أُرَيْدَ بِهِ أَهْلَ مَكَّةَ ﴿ كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ لَا يَزَعُجُهَا خَوْفٌ ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾ وَاسْعًا ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ الْأَنْعَمُ : جَمْعُ نِعْمَةٍ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ جَحَدَتْ آيَةَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَأَعْظَمُهَا بَعْثَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ ﴾ بَعْدَ أَنْ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسُنَنِ كَسْنِي يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ [وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اسْتَعْصَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبَوْا إِلَّا خِلَافَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَيِ سَبْعِ السَّنَاتِ الْعَجَافَ - فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ أَذْهَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا الْعِلْهَازَ - وَهُوَ طَعَامٌ مِنَ الدَّمِ وَالْوَبَرِ كَانَ يَتَخَذُ فِي الْمَجَاعَةِ - ابْنُ كَثِيرٍ] ﴿ وَالْخَوْفُ ﴾ مِنْ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ وَغَزَوَاتِهِ ﴿ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ بِسَبَبِ صَنِيعِهِمْ بِالرَّسُولِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَكَفَرَهُمْ بِدَعْوَتِهِ .

[١١٣] ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَعْرِفُونَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ وَهُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ وَأَنْكَرُوا نَبُوَّتَهُ ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ [فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْجُوعِ وَالْخَوْفِ وَالْقَتْلِ] ﴿ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ لِأَنفُسِهِمْ بِكُفْرِهِمْ .

[١١٤] ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ ﴾ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ ﴿ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾ فَإِنَّهُ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضِّلُ بِذَلِكَ وَحْدَهُ ﴿ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ أَيِ : إِنْ كُنتُمْ تَرِيدُونَ عِبَادَتَهُ فَاسْتَحْلُوا .

[١١٥] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِيزِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ مَا ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ سَبْحَانَهُ ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ أَيِ : غَيْرَ مُتَعَدٍّ قَدْرَ الضَّرُورَةِ وَسَدِّ الرَّمَقِ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لَا يُوَاخِذُهُ بِذَلِكَ .

[١١٦] ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السُّنْتُكُمْ الْكُذِبَ : هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادِ ذَلِكَ الْوَصْفِ إِلَى وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَتَمَرَّنَهُمْ عَلَى الْكُذْبِ ، اجْتَرَوْا عَلَى الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ ، فَنَسَبُوا مَا حَلَّلَهُ أَوْ حَرَّمَهُ إِلَيْهِ ﴿ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ ، إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ : وَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلٌّ مِنْ ابْتِدَاعِ بَدْعَةٍ لَيْسَ فِيهَا مُسْتَنْدٌ شَرْعِي ، أَوْ حَلَلِ شَيْئًا مَحْرَمًا أَوْ حَرَمِ شَيْئًا مَّا أَبَاحَ اللَّهُ بِمَجْرَدِ رَأْيِهِ وَتَشْبِيهِهِ] .

[١١٧] ﴿ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿ وَلَهُمْ ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[١١٨] ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴾ الْيَهُودَ ﴿ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ ﴾ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ الْآيَةِ : ١٤٦ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ فِيمَا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فَاسْتَحَقُّوا ذَلِكَ التَّحْرِيمَ . وَفِي الْآيَةِ تَنْبِيهُ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ فِي التَّحْرِيمِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَمْ يَحْرَمْ عَلَيْهَا إِلَّا مَا فِيهِ مَضَرَّةٌ لَهَا ، وَغَيْرِهِمْ قَدْ يَحْرَمْ عَلَيْهِمْ مَا لَا ضَرَرَ فِيهِ ، عَقُوبَةُ لَهُمْ بِالْمَنْعِ ، كَالْيَهُودِ .

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْهُ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ فيما بينهم وبين ربهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً يقتدى به أو كان أمة وحده بها اجتمع فيه من صفات الكمال ﴿قَانِتاً لِلَّهِ﴾ خاشعاً مطيعاً له ، قائماً بأمره ﴿حَنِيفاً﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

[١٢١] ﴿شَاكِراً لِنِعْمِهِ﴾ قائماً بشكر نعم الله عليه ، مستعملاً لها على الوجه الذي ينبغي ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اختاره واصطفاه للنُّبُوَّةِ ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

[١٢٢] ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ من الذكر الجميل ومن الصلاة والسلام عليه ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ في عالم الأرواح ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العليا في الجنة .

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ في التوحيد وأصول الدين التي لا تتغير في الشرائع ﴿حَنِيفاً﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يعني اليهود ، فرض عليهم تقديس يوم السبت وإراحة أنفسهم ودوابهم فيه من الأعمال ، فاعتذروا فيه واحتالوا لحله ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيما كانوا فيه يَخْتَلِفُونَ يعني : إفسادهم وزيفهم عن طريق الحق .

[١٢٥] ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ بالدليل الموضح للحق ، الزيج للشبهة ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ العبر اللطيفة والوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ جادل المعاندين بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة ، من الرفق واللين وحسن الخطاب ، من غير عنف ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ عليك البلاغ والدعوة بالصفة المبينة فلا تذهب نفسك على مَنْ ضلَّ منهم حسرات ، فإنه ليس عليك هدايتهم والله أعلم بحال من لا يرعوي وبحال من يهتدي .

[١٢٦] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ﴾ أي : الزموا سيرة العدالة ، لا تجاوزوها ، فإنها أقل درجات كمالكم ﴿وَلَنْ صَبْرُكُمْ هُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ فتركوا الانتقام ممن جنى عليكم وعارضوه بالعفو مع القدرة ، واصبروا على الجناية . ويقال : إنها نزلت بعد أخذ حين قُتل حمزة رضي الله عنه ومُثل به ، فأقسم ﷺ أن يُمَثَّلَنَّ بثلاثين رجلاً من المشركين ، فأنزل الله هذه الآية ، فكفر النبي ﷺ عن يمينه ، وقال ابن كثير بتضعيف هذه الروايات .

[١٢٧] ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بمعونته وتوقيفه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي : على الكافرين ، لكفرهم وعدم هدايتهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من فنون المكائد .

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فإنه تعالى كافيك وناصرك ومؤيدك ، لأنه تعالى مع المتقين والمحسين .

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْهُ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
شَاكِراً لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾
وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَنْ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾
وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

سُورَةُ الْاِنشَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾
وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُئَرُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

نوح في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ لمعرفته بنعم الله واستعمالها على الوجه الذي ينبغي . [قال ابن كثير: وفي الحديث (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي] .

[٤] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ وحكمتنا على بني إسرائيل في اللوح المحفوظ ﴿لُتُفْسِدُنَّ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ يعني : أرض - فلسطين - بيت المقدس التي بارك الله حولها ﴿وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى ، أو لتظلمن الناس .

[٥] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ يعني : وعد المؤاخذه على أولى المفسدين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي قوة وبطش في الحرب ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ ترددوا خلال أماكنكم ومحالكم للقتل والسبي والنهب ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ أي : مقضيًا لا صارف له .

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ عند توبتكم ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ جمع : نفر ، وأصله : مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ قَوْمِهِ .

[٧] ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي فعلنا ذلك لتعلموا أنكم إن أحسنتم تصير لكم الغلبة وإن أسأتم فإساءتكم ضارة لكم بغلبة الأعداء وسلب الأموال والبنين والنفير ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي : مؤاخذه المرة الآخرة وعقوبتها ﴿لِيَسُئَرُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي : بعثناهم ليسوؤاً وجوهكم بالإذلال والقهر ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ الأقصى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يدمروا ﴿مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ تدميراً عظيماً فظيعاً .

[سورة الإسراء]

وتسمى : سورة بني إسرائيل ، وسورة سبحان ، وهي مكية ، وآياتها (١١١) آية .

[١] ﴿سُبْحَانَ﴾ يمجّد تعالى نفسه ، وينزه ذاته العلية عما لا يليق بجلاله ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ الإسراء : سير الليل ، بعبدته :

خاتم أنبيائه محمد ﷺ ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني : مسجد مكة المكرمة ، سمي حراماً لكونه لا يحل انتهاكه بقتال فيه ، ولا بصيد صيده ، ولا بقطع شجره أو عشبه

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ مسجد بيت المقدس ، والأقصى : بمعنى الأبعد : سمي بذلك لبعده عن مكة ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ أي : جوانبه بركات الدين والدنيا ، وهو أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين ، لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ لكي نري محمدًا ﷺ من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فالله تعالى لا يخفى عليه شيء .

[٢] ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام ، وبين ذكر التوراة والقرآن ﴿وجعلناه﴾ الضمير للكتاب أو لموسى ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ ولياً

معبوداً تكلون إليه أموركم .

[٣] ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فيه تنبيه على المنّة والإنعام عليهم في إنجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع

[قال ابن كثير: وفي الحديث (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي] .

[٤] ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ وحكمتنا على بني إسرائيل في اللوح المحفوظ ﴿لُتُفْسِدُنَّ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ يعني : أرض - فلسطين - بيت المقدس التي بارك الله حولها ﴿وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى ، أو لتظلمن الناس .

[٥] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ يعني : وعد المؤاخذه على أولى المفسدين ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي قوة وبطش في الحرب ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ ترددوا خلال أماكنكم ومحالكم للقتل والسبي والنهب ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ أي : مقضيًا لا صارف له .

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ عند توبتكم ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ جمع : نفر ، وأصله : مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ قَوْمِهِ .

[٧] ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي فعلنا ذلك لتعلموا أنكم إن أحسنتم تصير لكم الغلبة وإن أسأتم فإساءتكم ضارة لكم بغلبة الأعداء وسلب الأموال والبنين والنفير ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي : مؤاخذه المرة الآخرة وعقوبتها ﴿لِيَسُئَرُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي : بعثناهم ليسوؤاً وجوهكم بالإذلال والقهر ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ الأقصى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يدمروا ﴿مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ تدميراً عظيماً فظيعاً .

[٨] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ في التوحيد وأصول الدين التي لا تتغير في الشرائع ﴿حَنِيفاً﴾ مائلاً عن الباطل إلى الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

[٩] ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ بالدليل الموضح للحق ، الزيج للشبهة ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ العبر اللطيفة والوقائع المخيفة ليحذروا بأسه تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ جادل المعاندين بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة ، من الرفق واللين وحسن الخطاب ، من غير عنف ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ عليك البلاغ والدعوة بالصفة المبينة فلا تذهب نفسك على مَنْ ضلَّ منهم حسرات ، فإنه ليس عليك هدايتهم والله أعلم بحال من لا يرعوي وبحال من يهتدي .

[١٠] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ﴾ أي : الزموا سيرة العدالة ، لا تجاوزوها ، فإنها أقل درجات كمالكم ﴿وَلَنْ صَبْرُكُمْ هُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ فتركوا الانتقام ممن جنى عليكم وعارضوه بالعفو مع القدرة ، واصبروا على الجناية . ويقال : إنها نزلت بعد أخذ حين قُتل حمزة رضي الله عنه ومُثل به ، فأقسم ﷺ أن يُمَثَّلَنَّ بثلاثين رجلاً من المشركين ، فأنزل الله هذه الآية ، فكفر النبي ﷺ عن يمينه ، وقال ابن كثير بتضعيف هذه الروايات .

[١١] ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بمعونته وتوقيفه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي : على الكافرين ، لكفرهم وعدم هدايتهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ من فنون المكائد .

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فإنه تعالى كافيك وناصرك ومؤيدك ، لأنه تعالى مع المتقين والمحسين .

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ إذا أخلصتم وأحسنتهم الأعمال ﴿وإن عذبتهم﴾ بعد هذه التوبة والإنابة إلى الاستكبار ﴿عذنا﴾ إلى تسليط الأعداء وسلب الأموال والأولاد في الدنيا ﴿وجعلنا﴾ يوم القيامة ﴿جهنم للكافرين حصيراً﴾ حبساً وسجناً يحصرهم في العذاب والحرمان عن الثواب ، وقيل : حصيراً ، أي : بساطاً كما ييسط الحصير .

[٩] ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ للطريقة التي هي أقوم الطرق ﴿ويبشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ في الدنيا والآخرة .

[١٠] ﴿وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي : بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿أعدنا لهم عذاباً أليماً﴾ في الآخرة وهو عذاب النار .

[١١] ﴿ويدع الإنسان بالشِّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ مثل دعائه بالخير ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ غير متبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه .

[١٢] ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ علامتين تدلان على أنهما خالفاً حكياً ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ بجعلها مظلمة ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مضيئة لتمييز الأشياء المحسوسة ﴿لِتَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لتطلبوا في النهار رزقاً منه سبحانه بالعمل والسفر ﴿ولتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ الحساب المتعلق بها في ضمن السنين من الأشهر والليالي والأيام ، أو الحساب الجاري في المعاملات ، كالبيع والإيجارات ، أي لتعرف الأجل المضروب لذلك ﴿وكل شيء﴾ بما تفقرون إليه في دينكم ودنياكم .

[١٣] ﴿وكل إنسان ألزمناه طائفةً في عُقْبِهِ﴾ ألزمناه عمله الصادر منه باختياره خيراً وشرّاً ، بحيث لا يفارقه أبداً كالطوق في العنق ﴿ونخرج له﴾ أي : نظهر له ﴿يوم القيامة﴾ يوم البعث للجزاء على الأعمال ﴿كتاباً يلقاه منشوراً﴾ يجده مفتوحاً فيه حسناته وسيئاته .

[١٤] ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي : شهيداً بما عملت .

[١٥] ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾ فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه ، لا تتخطاه إلى غيره من لا يهتدي ﴿ومن ضل﴾ عن الطريقة التي يهديه إليها ﴿فإنما يضل عليها﴾ وبالضلاله عليها ، لا على من عدها من لم يباشره ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ لا تحمل نفس حاملة للوزر - الإثم - ، وزر نفس أخرى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسلاً﴾ يهديهم إلى الحق ، ويردعهم عن الضلالة ، لإقامة الحجة وقطعاً للعذر .

[١٦] ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ إذا أردنا أن نعذب قومًا عذاب استئصال ﴿أمرنا مترفياً﴾ أي : متنعماً بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إليهم ﴿ففسقوا فيها﴾ بمخالفة أمره تعالى والخروج عن طاعته ﴿فحق عليها القول﴾ فوجب عليها ، بمعصيتهم وفسقهم وطغيانهم ﴿فدمرناها تدميراً﴾ وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً هائلاً .

[١٧] ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ القرون ، جمع : قرن ، يطلق على الزمن المعين وعلى أهله المقترنين فيه ، وعلى كل أمة ، ففيه تهديد وإنذار للمشركين ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ لا يخفى عليه شيء منها .

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عَذَبْتُمْ عَذَابًا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِفَةً فِي عَقْبِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ مَنْ بَسَطَ الدُّنْيَا - العاجلة - عليه ، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل به ذلك ، أو من إهلاكه بما يشاء تعالى من عقوباته المعجلة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا ﴿مَطْرُودًا مِنَ الرَّحْمَةِ ، مُبْعَدًا مَقْصِيًا فِي النَّارِ .

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ بحسن الجزاء .

[٢٠] ﴿كُلًّا نُمِدُّ﴾ كل واحد من الفريقين ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ فيرزقهما جميعاً من رزقه إلى بلوغهما الأمد ، ثم تختلف بهما الأحوال بعد

المات ، ففريق مريدي العاجلة ، إلى جهنم مصيرهم ، وفريق مريدي الآخرة مآبهم إلى الجنة ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً ، لا يمنعه من عاصٍ لعصيانه .

[٢١] ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق في الدنيا ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا﴾ لأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

[٢٢] ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ لا تجعل معه شريكاً في عبادته فتصير مذمومة ملومة على الشرك ، مخذولة من الله ، يكلك إلى ذاك الشريك ولا ينصرك .

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي : أمر أمراً مقطوعاً به ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وبأن تحسنا

إلى الوالدين إحساناً ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾ هو أن يكبرا ويعجزا ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا : أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ لا تزجرهما عما لا يعجبك بغلظة ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ حسناً كما يقتضيه حسن الأدب معهما .

[٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ تذلل لهما وتواضع ﴿وقُلْ : رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ أي : رب تعطف عليهما برحمتك ومغفرتك كما تعطف عليّ صغري ، فرحاني وربيتني صغيراً حتى استقلت بنفسي واستغنيت عنهما .

[٢٥] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما في ضمائرهم من قصد البر إلى الوالدين والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ قاصدين للصالح والبر دون العقوق ﴿فإنه كان للأوابين﴾ التوابين الرجاعين إليه تعالى بالندم عما فرط منهم ﴿غَفُورًا﴾ لذنوبهم .

[٢٦] ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ من صلته وحسن المعاشرة ، والبر له بالإنفاق عليه ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾ الفقير من الأبعد والأقارب ، مع الصدقة صلة رحم ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر المنقطع ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بوجه من الوجوه ، بالإنفاق في محرم أو مكروه ، أو على من لا يستحق ، فتحسبه إحساناً إلى نفسك أو غيرك .

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي : أمثالهم في كفران نعمة المال بصرفه فيما لا ينبغي ، أو هم قرواؤهم في النار ﴿وكان الشيطان لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ مبالغاً في كفران نعمته تعالى .

[٢٨] ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ وإن أعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ ترجوها ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْ رَبِّكَ﴾ ترجوها أن يأتيتك فتعطيه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْ رَبِّكَ﴾ عذمتهم وعداً جميلاً .

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ لا تمسك يدك عن النفقة والعطية لمن له حق ممن تقدم ذكرهم ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ بالتبذير والإسراف ﴿فَتَقْعَدَ﴾ فتبقى ﴿مَلُومًا﴾ يلومك الفقراء وذوو القرابة ﴿مُحْسُورًا﴾ نادماً ، أي منقطعاً بك لا شيء عندك تنفقه .

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي : يوسعه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ويضيقه حسب مشيئته وحكمته ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ .

[٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ نهى عما كانوا يفعلونه من وأد بناتهم - دفنهن في الحياة - على أيام الجاهلية ﴿خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ كانوا يتدوّنهن خشية الفقر ، بالإنفاق عليهن ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ إن قتلهم كان خطأ كبيراً ﴿وَأَيُّ إِثْمٍ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ والخطف : كالإثم ، لفظاً ومعنى .

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّئْيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ فعلة قبيحة متناهية في القبح ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ .

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ، وهي نفس الإنسان - مطلق إنسان - ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا بحكم الشرع كالقود بالنفس - قتل القاتل - ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ بغير حق ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ﴾ الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه ﴿سُلْطَانًا﴾ أي : تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ فلا يقتل غير القاتل ، كعادة الجاهلية ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ حسبته أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص ، فلا يستزد على ذلك .

[٣٤] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لا تصرفوا في ماله إلا بالطريقة التي هي أحسن ، وهي حفظه عليه وتشميره وإصلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل وتدبير ماله وصالح حاله في دينه ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ بالعقد الذي تعاقدون به الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام ، وفيما بينكم أيضاً ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ مطلوباً .

[٣٥] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ أَتَمْتُمْ﴾ إذا اكتمتم لغيركم ولا تبخسوه ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ فِي مَعَاشِكُمْ لَا تَنْظِمَ أُمُورَكُمْ بِالْعَدْلِ﴾ وأحسن تأويلاً ﴿عَاقِبَةً وَمَالًا﴾ إذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة .

[٣٦] ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ولا تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ تسنده إلى سمع أو بصر أو عقل ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ كان صاحبها مسؤولاً عما نسب إليها يوم القيامة ، أو تُسأل نفس الأعضاء لشهد على صاحبها .

[٣٧] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ مشية المعجب المتكبر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها ، وشدة وطأتك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ لن تحاذيها بتطولك ومدّ قامتك .

[٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المنهي عنه ، المذكور في الآيات السابقة ﴿كَانَ سَيِّئًا عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ .

وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْ رَبِّكَ ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعَدَ مَلُومًا مُحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّئْيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ أَتَمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئًا عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٢٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٣١﴾ قُلْ لَّوْكَانَ مَعَهُ ءِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَّا بُغْوًا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٣٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٣٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَعْلَمْتُمْ أَنَّكُمْ لَأَنْتُمْ نَجْوَىٰ ﴿٣٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٣٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا ءَآذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفْنَا ءَآذَا لَّامْبَعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٩﴾

[٣٩] ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ مما يحكم العقل بصحته ، وتصلح النفس بأسوته ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ بالجهل العظيم ﴿مَدْحُورًا﴾ مُبْعَدًا مطروداً من الرحمة .

[٤٠] ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾ خطاب للذين قالوا من مشركي العرب : الملائكة بنات الله ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ بإضافة الأولاد إليه ، وما كان لله والد ولا ولد ، ثم بإيثاركهم أنفسهم عليه ، حيث تجعلون له ما تكرهون .

[٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ كررنا للناس البيان بوجه كثيرة ، وبيننا فيه من كل مثل ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ ليتعظوا ويعتبروا ويطننوا إلى ما يُحْتَجُّ به عليهم ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ التصرف المذكور ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق وبُعداً عنه .

[٤٢] ﴿قُلْ : لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَّا بُغْوًا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ لو كان الأمر كما تقولون ، وأن معه آلهة تُعبد لتقرب إليه وتشفع لديه ، لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ، ويتبعون الزلفى والطاعة لديه ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبدونه من دونه .

[٤٣] ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تعظم عن ذلك - ما يقولون - تعظماً كبيراً .

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ وإن من شيء إلا يُسَبِّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تَسْبِيحَهُمْ ﴿لَأَنَّهُمْ بَخْلَافٍ لِّغَاتِكُمْ﴾ وقال ابن كثير :

وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ لم يعاجلهم بالعقوبة ، مع كفرهم وقصور نظرهم ، ولو تابوا لغفر لهم ذنوبهم . [٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ على هؤلاء المشركين ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ لا يصدقون بالبعث ولا يقرون بالشواب والعقاب جزاء على الأعمال ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ من الجهل وعمى القلب ، فيحجب قلوبهم على أن يفهموا ما تقرؤه عليهم فيتنفعوا به .

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ جمع : كنان ، أي : أغطية كثيرة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفقهوه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً يمنعهم من استماعه ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ غير مشفوع بذكر شيء من آلهتهم ﴿وَلَوْ أَعْلَمْتُمْ أَنَّكُمْ لَأَنْتُمْ نَجْوَىٰ﴾ هرباً من استماع التوحيد .

[٤٧] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ أي : بسببه أو لأجله من الهزء والاستخفاف واللغو ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ يتناجون فيما بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ : إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي : سحراً ، فجئنا فاختلط كلامه .

[٤٨] ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي : مثلولك بالشاعر والساحر والمجنون ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الحق والهداية بك ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه وبعدهم منه .

[٤٩] ﴿وَقَالُوا : إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفْنَا﴾ وهو ما يلي وتفتت ﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [قال الطبري : قالوا إنكاراً منهم للبعث بعد الموت ، أنبعث بعد تحولنا في القبور إلى رفات ثم تراب ، ونعاد كما كنا قبل الممات ؟] .

[٥٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.

أي: يعظم في نفوسكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياءه، فإنه يُحييكم ولا يعجزه بعثكم، فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوثة وقد كانت موصوفة بالحياة قبل؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ بعد لزوم الحجة عليهم ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾ قُل: الذي فطركم أول مرة، فسيُغضون إليك رؤوسهم ﴿أي: يحركونها برفع وخفض، تعجباً واستهزاء﴾ ويقولون: متى هو؟ أي: ما ذكرته من الإعادة ﴿قُلْ﴾ عسى أن يكون قريباً.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ يوم يبعثكم فتنبعثون، والمقصود: الإحضار للمحاسبة والجزاء بحمده ﴿وله الحمد على إحضاركم للمحاسبة وتحقق وعده الصدق﴾ وتظنون إن ليشتم إلا قليلاً ﴿تستقصرون مدة لبثكم في القبور والمضاجع، لذهولكم عن ذلك الزمان﴾.

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ الذين آمنوا معك، يا محمد ﴿يَقُولُوا﴾ في النصيحة، وفي الحوار والجدال الكلمة التي هي أحسن ﴿فلا يخاشنوا أحداً ولا يغفلوا له بالقول﴾ إن الشيطان ينزع بينهم ﴿يفسد ويهيج الشر والمراء، لتقع بينهم المضارة﴾ إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً.

[٥٤] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ الخطاب لمشركي قريش ﴿إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ إذا لم تستجيبوا فتموتوا على الشرك فيعذبكم عليه يوم القيامة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: موكلاً إليك أمرهم، وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً تبليغهم الرسالة.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه شيء فيها ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ لاقتضاء علمه وحكمته ذلك فاتى موسى التوراة وكلمه، وعيسى الإنجيل، وداود الزبور، وفضلهم بما آتاهم على غيرهم، وقد أتى محمداً ﷺ القرآن ففضله به على الأنبياء كافة ﴿وَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ يشتمل على الحكمة وفصل الخطاب، ففضلناه به.

[٥٦] ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله من خلقه ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾، ادعوا من زعمتموهم أرباباً وآلهة من دونه، عند ضرر ينزل بكم، وانظروا هل يقدر على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعونهم آلهة؟ ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ فإنهم لا يقدر على ذلك ولا يملكونه وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم.

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يدعونهم آلهة ﴿يتبعون إلى ربهم الوسيطة﴾ القربة والطاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إشارة إلى أن العبادة لا تتم إلا بالرجاء والخوف، فبالرجاء تكثر الطاعات وبالخوف تقل السيئات ﴿إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ينبغي أن يُحذر منه ويُخاف من حلوله، عباداً بالله منه. [٥٨] ﴿وَأَنْ تَعْلَمَ أَهْلُهَا عَلَى نَبِيِّهِمْ﴾ لا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة إلا ويبيدهم الله ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بسبب ذنوبهم وخطيئاتهم وعدم استجابتهم لنبيهم ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ إخبار بأنه حتم وقضاء.

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي يقترحها مشركو قريش ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ كعاد وثمود ﴿وَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ أعطينا قوم صالح الناقة بسؤالهم ﴿مُبْصِرَةً﴾ بينة، تبصر الغير برهانها ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ فكفروا بها وظلموا أنفسهم بسبب عقرها، فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وما نرسل الآيات المقترحة إلا تخويفاً للناس ليعلموا السنّة الإلهية مع العاتين، فيتذكروا ويتوبوا.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علماً، فلا يخفى عليه شيء من كفرهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ يعني: ما رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء من الآيات، فلما ذكرها ﷺ للناس، أنكر بعضهم ذلك وكذبوا، وجعل الله ذلك ثباتاً وقيناً للمخلصين، فكانت فتنة، أي: اختباراً وامتحاناً ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ شجرة الزقوم المذكورة في سورة الصافات: ٦٢-٦٥ ﴿ونخوفهم﴾ بذلك وبظائره من الآيات ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ تمادياً فيما هم فيه من الضلال والكفر.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ تحية وتكريماً ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ: أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا﴾ يعني أن النار خير من الطين، وأنه خير من آدم.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ جراً على الله سبحانه وكفراً به ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له، لِمَ كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ؟

﴿لَنْ أَخْرُجَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأهلكهم بالإغواء، إلا المخلصين.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿أَذْهَبْ﴾ امض لشأنك الذي اخترته ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ أي: جزاء مكتملاً وافراً.

[٦٤] ﴿وَاسْتَفْزِرْ﴾ واستخف وأزعج ﴿من استطعت منهم﴾ أن تستفزه فتخذه ﴿بصوتك﴾ بدعائك إلى الفساد ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ من الجلبة وهي الصياح، والخيل: الخيالة، أي: ركب الخيل، والرجل: اسم جمع للرجال وهو خلاف الفارس، والمراد: الأتباع والأعوان مطلقاً ﴿وشاركهم في الأموال﴾ بحمله إياهم على إنفاقها في المعاصي وجمعها من حرام والأولاد بالتفاخر فيهم وتضليلهم بصبغهم غير صبغة الدين ﴿وعذهم﴾ المواعيد الباطلة والأمانى الكاذبة من سلامة العاقبة ودوام الغلبة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو تزيين الباطل بزينة الحق.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط بالإغواء ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ كفيلاً لهم يتوكلون عليه ولا يلجؤون في أمورهم إلا إليه.

[٦٦] ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾ يُسِّرُ لكم السفن في البحر ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ من رزقه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ حيث سهّل لكم أسباب ذلك.

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَجَدُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۖ﴾ [٦٧] أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۖ﴾ [٦٨] أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَاهُ يَتَّبِعَا ۖ﴾ [٦٩] وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۖ﴾ [٧٠] يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا ۖ﴾ [٧١] وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۖ﴾ [٧٢] وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَا بِأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِنَ عَلَيْكَ غَيْرُهُ وَإِذَا تَلَّخَدُوكَ خَلِيلًا ۖ﴾ [٧٣] وَلَوْ لَا أَنْ تَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كَدَتِ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ﴾ [٧٤] إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا ۖ﴾ [٧٥]

وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما بجدوا إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً أي : ذهب عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه وتعبدهونه ، إلا إياه وحده ، فإنكم لا تذكرون سواه : فطرة فطر الله الخلق عليها فلما نجاكم من الغرق إلى البر أعرضتم عن التوحيد وكان الإنسان كفوراً بأنعم الله . [٦٨] أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر يغوره بكم أو يرسل عليكم حاصباً أي : ريحاً ترمي بالحصباء يرحمكم بها ، فيكون أشد عليكم من الغرق ثم لا تجدوا لكم وكيلاً من يتوكل بصرف ذلك عنكم . [٦٩] أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى أي : يقوي دواعيكم لركوب البحر فيرسل عليكم قاصفاً من الريح ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته ، فتكسر السفينة وسط البحر فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالباً بما فعلناه . [٧٠] ولقد كرمنا بني آدم بالعقل والمعرفة والصورة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به وحملناهم في البر والبحر أي : يسرنا لهم أسباب المعاش والمعاد بالسير في طلبها فيها ورزقناهم من الطيبات التي لم يرزقها غيرهم من المخلوقات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ميزناهم عنهم .

[٧١] يوم ندعوا كل أناس بإمامهم بمن ائتموا به من نبي ، أو مقدم في الدين ، أو كتاب ، أو دين ، ورجح ابن كثير القول بأن الإمام هو كتاب الأعمال فمن أوتي من هؤلاء المدعوين كتاب أعماله بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم فرحاً وابتهاجاً بما فيه من العمل الصالح ولا يظلمون فتيلاً أو ما تقتله بين أصبعيك ، أو هو أدنى شيء .

[٧٢] ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن الاهتداء إلى الحق ، فهو في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة ، وأضل سبيلاً منه في الدنيا .

[٧٣] وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك فإن المشركين ، لكثرة تفننهم في ضروب الأذى وشدة تعنتهم وقوة شكيמתهم ، كادوا أن يفتنوك لتفتري علينا غيره ، وإذا لاتخذوك خليلاً أي : لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك صاحباً وأظهروا للناس أنك موافق لهم على كفرهم ، وراض بشركهم . والخليل : الصاحب المقرب .

[٧٤] ولولا أن تبنيك على الحق بعصمتنا إياك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً غلب إليهم ، ولكن عناية الله وحفظه ، ثبت قدمه في مقام لا يثبت فيه أحد غيره ، وعن قتادة : لما نزلت هذه الآية ، قال النبي ﷺ : (اللهم لا تكن لي نفسي طرفة عين) رواه ابن جرير .

[٧٥] إذا لأذناك ضعف الحياة ، وضعف الممات أي : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الآخرة ثم لا تجد لك علينا نصيراً ينصرك .

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ [٧٦] سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۖ﴾ [٧٧] أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۖ﴾ [٧٨] وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ۖ﴾ [٧٩] وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۖ﴾ [٨٠] وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۖ﴾ [٨١] وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۖ﴾ [٨٢] وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۖ﴾ [٨٣] قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۖ﴾ [٨٤] وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ [٨٥] وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۖ﴾ [٨٦]

٢٨٩

[٧٦] ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ أي : أهل مكة ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ليزعجونك بمعاداتهم ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ من مكة ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا قليلاً إلا زماناً قليلاً .

[٧٧] ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ يعني : إن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم ، فسنة الله أن يهلكهم ولا تجد لسنتنا تحويلاً تغييراً .

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي : لزوالها إلى غسق الليل وهو اجتماع الليل وظلمته ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ، سميت قرآناً لأنه ركنها ، كما سميت ركوعاً وسجوداً ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهده ملائكة الليل والنهار .

[٧٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أمر له ﷺ بصلاة الليل ، والتهجد : القيام إلى الصلاة من النوم ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ عيادة زائدة لك على الصلوات الخمس ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ والمشهور أنه مقام الشفاعة العظمى .

[٨٠] ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ﴾ مدخلا حسناً مرضياً بلا آفة الرياء والعجب ﴿وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مخرجاً حسناً مرضياً من غير آفة الميل إلى النفس ، ولا الضلال بعد الهدى ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ عزاً ناصر للإسلام على الكفر .

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ استبشراً بقرب الظفر والنصر ، وترهيباً للمشركين ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهو الوعد بالسلطان

النصير والإسلام ودولته ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ذهب الشرك وهلك ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلاً غير ثابت في كل وقت .

[٨٢] ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ما يستشفى به من الجهل والضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بيان الحقائق وإقامة البراهين للمؤمنين به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي : إهلاكاً ، لأنهم كلما جاءهم أمر من الله أو نهي ، كفروا به ، فزادهم خساراً إلى ما كانوا فيه .

[٨٣] ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالرزق والصحة والغنى في الحياة الدنيا ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله وعبادته إن كان من الضالين المنصرين للدنيا ، المعرضين عن شكر المولى سبحانه ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ النأي بالجانب : أن يلوي عنه عطفه ويولييه ظهره ، أو أراد الاستكبار ، لأن ذلك من عادة المستكبرين ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ واليأس عند الشدة مما يناهز الإيمان .

[٨٤] ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ على مذهبه وطريقته وخليقته وملكنه الغالبة عليه ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ .

[٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ فلا يمكنكم إدراكه أيها المحجوبون بالكون ، لقصور إدراككم وعلمكم ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هو علم المحسوسات . ويرجح القاسمي أن المراد بالروح : الوحي بالقرآن ، لقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى : ٥٢] ولقوله : ﴿يُلْقِي الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر : ١٥] .

[٨٦] ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي : من يتوكل علينا برده .

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ [٧٦] سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۖ﴾ [٧٧] أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۖ﴾ [٧٨] وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ۖ﴾ [٧٩] وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ۖ﴾ [٨٠] وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۖ﴾ [٨١] وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۖ﴾ [٨٢] وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۖ﴾ [٨٣] قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۖ﴾ [٨٤] وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ [٨٥] وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۖ﴾ [٨٦]

[٨٧] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً ﴿إِنْ فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ أي : تفضله بالإحياء والتعليم الرباني ، والاصطفاء للرسالة ثم حفظ القرآن .

[٨٨] ﴿قُلْ : لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ أي : اتفقت ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي : مُعِينًا . [ذكر ابن جرير أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن ، وسألوه أن يأتيهم بآية غيرها شاهدة له نبوته ، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به] .

[٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ رَدَدْنَا وَكَرَّرْنَا وَبَيَّنَّا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل معنى ، هو كالمثل في غرابته وحسنه ، ليتقرر ويرسخ في نفوسهم ، ويزدادوا تدبراً وإدعائاً ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي : جحوداً .

[٩٠] ﴿وَقَالُوا : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ أي : تشقق لنا من أرض مكة عيوناً .

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ أي : بستان منها ﴿فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ على غرار ما يروونه في بلاد الشام والعراق .

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ قطعاً بالعذاب ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ - نعاينهم معانية : أو - كفيلاً بما تقول ، شاهدة بصحته .

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ﴾ من ذهب ﴿أَوْ تَرُقَى فِي السَّمَاءِ﴾ تصعد إلى السماء ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وحده ﴿حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾ أي : كتاباً من السماء فيه تصديقك [قال عبد الله بن أمية المخزومي ، وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمه النبي ﷺ : لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيتها ، وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول . فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزناً بما فاتته من متابعة قومه ، ولما رأى من مبادعتهم منه ، فأنزل تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الآيات - النيسابوري] ﴿قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تنزيهاً له ، والمراد به التعجب من اقتراحاتهم ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ كسائر الرسل ، وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره عليهم من الآيات حسب ما يلائم حال قومهم .

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ الذين تعنتوا في مسألة الإيذان ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا : أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ بمعنى : إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر .

[٩٥] ﴿قُلْ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ على أقدامهم كما يمشي الإنسان ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين في الأرض ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ من جنسهم ، ولما كنتم أنتم بشرًا ، بعثنا فيكم رسلاً منكم .

[٩٦] ﴿قُلْ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أي بلغت ما أرسلت به إليكم وإنكم كذبتهم وعاندتم ﴿إِنَّهُ كَانَ بَعَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالماً بأحوالهم ، فهو مجازيهم ، وهذا تثبيت لرسول الله ﷺ ووعد للكفار .

إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَّيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرُقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بَعَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتْ أَعْقَابُنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مُتَّبِعًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ إلى الحق ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره ، كهؤلاء المعاندين ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي : أنصاراً يهدونهم ويحفظونهم من قهره ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أي : يُسحبون عليها ﴿عُمِيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ كما كانوا في الدنيا لا يُبصرون ولا ينطقون بالحق ، ويتصامون عن استماعه ﴿وَمَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ كلما سكن لهيبها ، بأن أكلت جلودهم ولحومهم ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ توفداً ، بأن نبذل جلودهم ولحومهم ، فتعود ملتته مستعرة .

[٩٨] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب المذكور ﴿جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ بسبب كفرهم بآيات الله ﴿وَقَالُوا : أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتْ أَعْقَابُنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ لَمُخَيَّوْنَ خَلْقًا جَدِيدًا ، بإعادة الروح فينا ، إذا تلف لحمنا وبقينا عظاماً ، بل رقت عظامنا فصارت رفاتاً .

[٩٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يوم القيامة . والمعنى : قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض ، فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس ، لأنهم ليسوا بأصعب خلقاً منهم ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ جعل لبعثهم وإقامتهم من قبورهم مدة مقدرة لا بد من انقضائها ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ بعد قيام الحجة عليهم ووضوح الدليل ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ أي : جحوداً وتمادياً في باطلهم .

[١٠٠] ﴿قُلْ : لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أي : رزقه وسائر نعمه على خلقه ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ لبخلتم بها مخافة نفادها بالإنفاق ، مع أنها لا تنفد أبداً ، وهذا البخل من طباعكم وسجاياكم ﴿وَكَانَ الْإِنْسُ قَتُورًا﴾ أي : بخيلاً .

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالة على صحة ما أرسله الله به - راجع سورة الأعراف ، الآية ١٣٣ - ﴿فَأَسْأَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ عنها ، فإنهم يعلمونها مما لديهم من التوراة ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ : إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ بمعنى : سُحْرَتٌ : فحولت عقلك ، أو بمعنى : ساحر .

[١٠٢] ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ﴾ يا فرعون ﴿مَا أُنْزِلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات التسع الواردة ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾ بَيِّنَاتٍ مكشوفات لا سحر ولا تخيل ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مُتَّبِعًا﴾ هالكا .

[١٠٣] ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفْرِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يفرعهم ويزعجهم بما يحملهم على خفة الهرب فرقا - خوفاً - منه ، أو ينفهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستصال ، والأرض المقصودة : أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ فدمره الله تعالى وجنوده بالإغراق .

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد إغراقه ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اأَسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ وهي أرض كنعان ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي : قيام الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جمعاً مختلطين أنتم وعدوكم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم .

[١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي : القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ وهو ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ومحاسن الأخلاق وكل ما خالف الباطل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

[١٠٦] ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ نزله مفروقاً منجماً ﴿لِتَقْرَءَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ على مهل وتؤدة وتثبت ، فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم ﴿وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ من لدننا على حسب الأحوال والمصالح .

[١٠٧] ﴿قُلْ : آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أمر بالإعراض عنهم ، واحتقارهم والازدراء بشأنهم ، وأن لا يكثر بهم ويأبى بهم وبامتناعهم عنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ أي : سقطوا على الوجوه سجداً لله .

[١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه .

[١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كناية عن وضع وجوههم على الأرض ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ .

[١١٠] ﴿قُلْ : ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ سُمِّيَ بهذا الاسم « الله » أو « الرحمن » ﴿أَيَّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ومعنى كونها أحسن الأسماء ، أنها مستقلة بمعاني الحمد والتقدير والتعظيم ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ أي : بقرأة صلاتك [وقيل بدعائك] ﴿وَلَا تُخَافَتْ بِهَا﴾ ولا تُسر وتُخفي ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ بين الجهر والمخافتة ، أمراً وسطاً ، فإن خير الأمور أوسطها .

[١١١] ﴿وَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ لم يكن له شريك في الملك ، يساويه في قوة القهر والمملكة من الشريك في الملك ، وإلا لكانا مشتركين في وجوب الوجود والحقيقة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾ لم يوال أحداً من أجل مذلة به ، ليدفعها بمولاته ﴿وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عن أن يلحقه شيء من هذه النقائص تعظيماً جليلاً .

[سورة الكهف]

ويقال لها : سورة أصحاب الكهف ، لاشتغالها على قصتهم الجامعة فوائد الإيمان بالله ، وهي مكية ، وقيل إلا الآيات : ١ - ٨ و ٢٨ و ١٠٧ - ١١٠ فمدنية ، وآياتها ١١٠ آيات . وقد روي في فضلها أحاديث كثيرة .

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ الرسول ﷺ ﴿الكِتَابَ﴾ وهو جميع القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ باختلال في نظمه وتناف في معانيه .

[٢] ﴿فَيَمَّا يَصْرِفُ الْعِبَادَ وَمَا لَئِبْ لَهُمْ مِنْهُ مِنَ الشَّرَائِعِ﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ خالفه ولم يؤمن به ﴿بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ البأس : القهر والعذاب ، وخصَّصه بقوله : من لدنهُ ، إشارة إلى زيادة هوله ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ من الخيرات والفضائل ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنة . [٣] ﴿مَا كُنَّ فِيهِ أَبَدًا﴾ فهم خالدون في الجنة لا يُخرجون منها .

[٤] ﴿وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم مشركو العرب في قولهم : الملائكة بنات الله ، والنصارى في دعواهم المسيح ابن الله .

سُورَةُ الْكَهْفِ

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ : آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ : ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾
فَيَمَّا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مَنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

[٥] ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ ما لهم بالولد ، أو باتخاذ ، أو بالقول ، من علم ﴿وَلَا لِبَابِهِمْ﴾ فقولهم إن الله اتخذ ولداً توهم كاذب وتقليد للآباء ، لا عن علم يقين ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ ما أكبرها كلمة ﴿تُخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ وذلك لأن الولد مستحيل في حق الله تعالى الذي ليس كمثل شيء ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ .

[٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ أي : مهلك ﴿نَفْسِكَ﴾ على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴿يعني القرآن﴾ أسفاً : الأسف : فرط الحزن والغضب .

[٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن ﴿زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الناس ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ .

[٨] ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أي : تراباً مستويلاً نبات فيه ، بعدما كان يبهج النظر .

[٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ الرقيم : اسم كلبهم أو الوادي . قيل : لوح رقم فيه حديثهم وجعل على باب الكهف ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي : أنهم من بين آياتنا آية عجيبة .

[١٠] ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ خوفاً من إيذاء الملك لهم على تركهم عبادة الأوثان ﴿فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿وَهِيَ لَنَا مِنْ آمْرِنَا رَشَدًا﴾ وهو توحيدك وعبادتك .

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي : أمانهم نومة ثقيلة سنين كثيرة أو معدودة في الكهف الذي أووا إليه .

[١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم إيقاظاً يشبه بعث الموتى ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ المختلفين في مدة لبثهم ، أشد إحصاء ﴿أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي : إحاطة وضبطاً لغاية مدة لبثهم فيعلموا قدر ما حفظهم الله بلا طعام ولا شراب ، وأمنهم من العدو .

[١٣] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الحق : الأمر المطابق للواقع ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أي : بوحدانيته إيماناً يقينياً علمياً ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ بترجيح جانب الله على جانب أنفسهم . قال ابن كثير : الفتية - وهم الشباب - أقبل للحق وأهدى للسبيل ، من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل .

[١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي : قويناها بالصبر على المجاهدة فهي ثابتة راسخة مطمئنة إلى الحق الذي عرفت ، والقيام بكلمة التوحيد ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي الملك الجبار غير مباينين به ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿بَحِثْ يَدْخُلُ تَحْتَ رَبْوَيْتِهِ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ﴾ لَنْ نَدْعُوهُ ﴿أَي : نَعْبُدُ﴾ مِنْ دُونِهِ إلهاً ﴿فَهُوَ وَاحِدٌ بِلَا شَرِيكَ﴾ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿أَي : قولاً بعيداً عن الحق ، مفرطاً في الظلم﴾ .

[١٥] ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إلهًا﴾ وفي الإشارة تحقير لهم ﴿لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ فهذا هو طريق الاعتقاد : أن يكون للإنسان دليل قوي يستند إليه ، وبرهان له سلطان على النفوس والعقول ، وإلا فهو الكذب الشنيع ، لأنه الكذب على الله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ .

[١٦] ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وإذا أعرضنا عنهم وما يعبدون إلا الله ، فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، وإذا كانت الدعوة إلى الدين الحق تعرض على الناس من غير إكراه ، فإن في أصحاب دعوات الكفر والشرك من يكرهون الناس عليه ، فما على صاحب العقيدة الصحيحة إلا الهروب بعقيدته ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا﴾ أي : ما تنتفعون به .

[١٧] ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ﴾ إذا صعدت عند طلوعها ﴿تَازُورُ﴾ تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ عن بابه ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ يمين الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ﴾ هبطت للغروب ﴿تَقْرُضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ تقطعهم وتعديل عن سمت رؤوسهم إلى جهة الشمال ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي : سعة من الكهف يصل إليهم الهواء من كل جانب دون أذى الشمس ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي : إرشادهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء ، وشعاع الشمس والرياح تدخل عليهم فيه ، لتبقى أبدانهم ، آية من آياته الدالة على عنايته وتوفيقه للمخلصين ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ إلى الحق بالتوفيق له ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ومن يضلل ﴿أَي : يخلق فيه الضلال لصرف اختياره إليه﴾ فلن تجد له ولياً ناصرأ يلى أمره فيحفظه من الضلال ﴿مُرْشِدًا﴾ يهديه إلى ما ذكر .

[١٨] ﴿وَنَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ تظنهم أيقاظاً لانفتاح أعينهم ، وهم رقود مستغرقون في النوم ، بحيث لا ينبههم الصوت ﴿وَنُقَلِّبُهمْ﴾ في رقدتهم ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لثلاث تلاف الأرض أجسادهم بركتهم كلبهم ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فنظرت إليهم ، مع غاية قوتك ورباطة جأشك ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ أي : خوفاً يملأ صدرك ، لما ألبسوا من الهيبة ، فلا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم وخافهم .

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ وكما أنماهم تلك النوم ، بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم ، لم يفقدوا من هيأتهم وأحوالهم شيئاً ، اذكراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي : ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم ، فيعتبروا ، ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ، ويزدادوا يقيناً ، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ أي : رقدتم ﴿قَالُوا﴾ لبئنا يوماً أو بعض يوم ، قالوا : ربكم أعلم بما لبئتم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمِدَّةِ لَبِئْتُمْ﴾ فابتنوا أحدكم بوزنكم هذه الورق : الفضة إلى المدينة التي فررت منها ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيْهَا أَرْكَى طَعَامًا﴾ أي : أطيب ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في المبايعة واختيار الطعام ، أو في أمره بالتخفي ، حتى لا يشعر بحالكم ودينكم ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ .

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي أهل المدينة الكافرون ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يطلعوا على مكانكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي : يقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يدخلوكم فيها بالإكراه والعنف ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا وَإِذَا أَبَدًا﴾ إذا صرتم إلى ملتهم .

وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِّبُوا رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُذِّبُوا قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ لا تسأل أحداً منهم عن نبئهم ، إذ لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه رجماً بالغيب .

[٢٣] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ فلا ينبغي الجزم والبت على فعل أمر مستقبل مجهول ، لأن المستقبل بيد الله تعالى .

[٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فالمعنى : لا تقولن إلا وقت أن يشاء الله بأن يأذن لك في القول ، فتكون قائلاً بمشيئته ، فالمشيئة على هذا بمعنى الإذن ، أو المعنى : لا تقولن لما عزمتم عليه من فعل : إني فاعل ذلك غداً إلا قائلاً معه : إن شاء الله ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي : نسي ما وصى به ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي : خيراً ومنفعة ، والإشارة : للنبا المتحاور فيه .

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ على الحالة الموصوفة في الآيات السابقة ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ .

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ له غيب السموات والأرض هو وحده العالم به ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي : ما أبصره لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه شيء ولا يحجب بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي : أهل السموات والأرض في خلقه ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ أي : قضائه ﴿أَحَدًا﴾ هو المنفرد بالحكم والقضاء في الوجود كله .

[٢٧] ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ بتبليغ ما فيه ، ومنه ما أوحى إليك من نبا الفتية ، فإنه الحق الذي لا يحتاج معه إلى استفتاء فيه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي : ملجأ .

وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِّبُوا رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُذِّبُوا قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ لا تسأل أحداً منهم عن نبئهم ، إذ لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه رجماً بالغيب .

[٢٣] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ فلا ينبغي الجزم والبت على فعل أمر مستقبل مجهول ، لأن المستقبل بيد الله تعالى .

[٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فالمعنى : لا تقولن إلا وقت أن يشاء الله بأن يأذن لك في القول ، فتكون قائلاً بمشيئته ، فالمشيئة على هذا بمعنى الإذن ، أو المعنى : لا تقولن لما عزمتم عليه من فعل : إني فاعل ذلك غداً إلا قائلاً معه : إن شاء الله ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي : نسي ما وصى به ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي : خيراً ومنفعة ، والإشارة : للنبا المتحاور فيه .

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ على الحالة الموصوفة في الآيات السابقة ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ .

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ له غيب السموات والأرض هو وحده العالم به ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي : ما أبصره لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه شيء ولا يحجب بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي : أهل السموات والأرض في خلقه ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ أي : قضائه ﴿أَحَدًا﴾ هو المنفرد بالحكم والقضاء في الوجود كله .

[٢٧] ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ بتبليغ ما فيه ، ومنه ما أوحى إليك من نبا الفتية ، فإنه الحق الذي لا يحتاج معه إلى استفتاء فيه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي : ملجأ .

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ أطلعنا عليهم أهل المدينة حتى دخلها من بعثوه للطعام ، وأخرج ورقهم النقود التي كانت بحوزتهم المتقدمة العهد ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي : ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم ﴿أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ أن وعد الله بالبعث حق ، لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ الموعود فيها بالبعث آتية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ إذ لا بد من الجزاء بمقتضى الحكمة ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ فقالوا ابنوا عليهم بُيُوتًا ﴿عَلَى بَابِ كَهْفِهِمْ﴾ ، بنياناً عظيماً ﴿رُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ ، قال الذين غلبوا على أمرهم ﴿مِنَ الْمُنَازِعِينَ﴾ ، وهم أرباب الغلبة ونفوذ الكلمة ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ نصلي فيه ، تبركاً بهم وبمكانهم . وفي الحديث : (لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه الشيخان .

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي : الخاضعون في قصتهم على عهد النبي ﷺ من أهل الكتاب الذين لا علم لهم بالحقيقة ﴿ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا وَيَقُولُونَ﴾ أي : بعض آخر منهم ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِّبُوا رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي : رمية وتلفظاً بالذي غاب عنهم ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُذِّبُوا﴾ حكاية لقول فريق آخر ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من أطلع الله عليه ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي : لا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف ، إلا جدالاً ظاهراً ليلاً غير متعمق فيه ، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ﴿وَلَا تَسْأَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ عَنْ نَبَأِهِمْ﴾ إذ لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه رجماً بالغيب .

[٢٣] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ فلا ينبغي الجزم والبت على فعل أمر مستقبل مجهول ، لأن المستقبل بيد الله تعالى .

[٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فالمعنى : لا تقولن إلا وقت أن يشاء الله بأن يأذن لك في القول ، فتكون قائلاً بمشيئته ، فالمشيئة على هذا بمعنى الإذن ، أو المعنى : لا تقولن لما عزمتم عليه من فعل : إني فاعل ذلك غداً إلا قائلاً معه : إن شاء الله ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي : نسي ما وصى به ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي : خيراً ومنفعة ، والإشارة : للنبا المتحاور فيه .

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ على الحالة الموصوفة في الآيات السابقة ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ .

[٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ له غيب السموات والأرض هو وحده العالم به ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي : ما أبصره لكل موجود ، وأسمعه لكل مسموع ، لا يخفى عليه شيء ولا يحجب بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي : أهل السموات والأرض في خلقه ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾ أي : قضائه ﴿أَحَدًا﴾ هو المنفرد بالحكم والقضاء في الوجود كله .

[٢٧] ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ بتبليغ ما فيه ، ومنه ما أوحى إليك من نبا الفتية ، فإنه الحق الذي لا يحتاج معه إلى استفتاء فيه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي : ملجأ .

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَلَا تَنْطَعُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ لَا تَجَاوزَ نَظْرَكَ إِلَى غَيْرِهِمْ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ * تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * تَطْلُبُ مَجَالِسَةَ الْأَشْرَافِ وَالْأَغْنِيَاءِ تَأَلَّفًا لِقُلُوبِهِمْ * وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا * جَعَلْنَاهُ غَافِلًا لِبَطْلَانِ اسْتِعْدَادِهِ لِلذِّكْرِ بِالْمَرَّةِ ، وَذَلِكَ لِئَلَّا يُوَدِّيكَ إِلَى الْغَفْلَةِ عَنْهُ * وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا * لَا تَطْعَمُهُمْ فِيمَا يَطْلُبُونَ مِنْ تَمْيِيزِ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَ الْفُقَرَاءِ . وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا . . . فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ * وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ * سورة الأنعام ، الآية ٥٢ .

[٢٩] * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ * أَي : جَاءَ الْحَقُّ ، وَهُوَ مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مِنْهُ تَعَالَى * فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ * فِيهِ الْحُرِيَّةُ الْفَكْرِيَّةُ لِمَنْ أَرَادَ الْإِيَّانَ ، وَهِيَ الْحُرِيَّةُ الْفَكْرِيَّةُ لِمَنْ لَمْ يَقْتَنِعْ ، فَإِنَّمَا عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ وَعَلَى اللَّهِ الْحِسَابُ * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ * أَي : هَيْئًا لِلْكَافِرِينَ بِالْحَقِّ ، بَعْدَ مَا جَاءَ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ * نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُورَادُهَا * أَي : فَسْطَاطُهَا ، وَهِيَ الْخِيْمَةُ ، شَبَّهَ بِهَا مَا يَحِيطُ بِهِمْ مِنَ النَّارِ * وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا * مِنَ الظُّمَأِ * يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ * كَالْحَدِيدِ الْمَذَابِ وَكَعْكَرِ الزَّيْتِ ، وَالْمَقْصُودُ : الْمِيَاهُ الْمُتَعَفِّنَةُ الَّتِي تَسِيلُ مِنْ أَبْدَانِ أَهْلِ النَّارِ * يَشْوِي الْوُجُوهَ * إِذَا قَدِمَ إِلَيْهِ لِيَشْرَبَ ، مِنْ فُرْطِ حَرَارَتِهِ * بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ * أَي : النَّارُ * مُرْتَفَقًا * أَي : مُتَكَأً .

[٣٠] * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * .

[٣١] * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُخَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ * وَهُوَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيَاجِ * وَإِسْتَبْرَقٍ * وَهُوَ مَا كَثَفَ مِنْهُ * مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ * أَي : السَّرْرِ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَنَعِّمِينَ * نِعْمَ الثَّوَابُ * أَي : الْجَنَاتُ الْمَذْكُورَةُ * وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا * أَي : مُتَكَأً ، وَقِيلَ الْمُرْتَفَقُ : الْمَنْزِلُ وَالْمُسْتَقَرُّ .

[٣٢] * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا * لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ * رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ * وَهِيَ أَعَزُّ مَا يُوْثِرُهُ أَوْلُوكُ فِي تَأْزِيرِ كَرْمِهِمْ بِالْأَشْجَارِ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا * بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ ، أَوْ بَيْنَ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ * زُرْعًا * فَحَصَلَ مِنْهَا الْفَوَاكِهُ وَالْأَقْوَاتُ ، فَكَانَتَا مَنَشَأَ الثَّرْوَةِ وَالْجَاهِ .

[٣٣] * كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا * أَي : ثَمَرَهَا كَامِلًا * وَلَمْ تَغْلِمْ * وَلَمْ تَنْقُصْ * مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا * فِيهَا بَيْنَهُمَا * نَهْرًا * يَسْقِي الْأَشْجَارَ وَالزَّرْعَ ، وَيَزِيدُ فِي بَهْجَةِ مَرَامِهَا ، تَتِمِّمًا لِحُسْنِهَا .

[٣٤] * وَكَانَ لَهُ * أَي : لِصَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ * ثَمَرٌ * أَنْوَاعٌ مِنَ الْمَالِ غَيْرِ الْجَنَّتَيْنِ مِنْ : ثَمَرٌ مَالِهِ ، إِذَا كَثُرَ * فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُجَاوِرُهُ * يَرِاجِعُهُ الْكَلَامَ ، تَعْيِيرًا لَهُ بِالْفَقْرِ ، وَفَخَرًا عَلَيْهِ بِالْمَالِ وَالْجَاهِ * أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * أَي : أَنْصَارًا وَحُشَمَاءً .

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحُ مَاؤها غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا *

[٤١] * أَوْ يُصْبِحُ مَاؤها غُورًا * أَي : غَائِرًا فِي الْأَرْضِ * فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا * أَي : حِيلَةَ تَدْرِكِهِ بِهَا ، بِالْحَفْرِ أَوْ بغيره .

[٤٢] * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ * بِإِهْلَاكِهِ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ فِيهِ شَيْءٌ * فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا * فَيَعْرِثُ نَفْسَهُ أَكْثَرَ مِنْ تَعْيِيرِهِ صَاحِبَهُ وَتَعْيِيرِ صَاحِبِهِ إِيَّاهُ ، وَتَقْلِيبُ الْكَفَيْنِ : كَنَايَةُ عَنِ النَّدَمِ وَالتَّحَسُّرِ * وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا * سَاقِطَةٌ عَلَيْهَا ، وَالْعُرُوشُ : جَمْعُ عَرْشٍ ، وَهُوَ مَا يُصْنَعُ لِيُوضَعَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ فَإِذَا سَقَطَ سَقَطَ مَا عَلَيْهِ ، وَالْمَعْنَى : سَقَطَتْ عُرُوشُهَا عَلَى الْأَرْضِ وَسَقَطَتْ فَوْقَهَا الْكُرُومُ * وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * فَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ مُشْرِكًا حَتَّى لَا يَهْلِكَ اللَّهُ بُسْتَانَهُ .

[٤٣] * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ * قَوْمٌ * يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ * أَي : يَقْدِرُونَ عَلَى نَصْرَتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَمَا افْتَخَرُوا بِهِمْ وَاسْتَعَزَّ عَلَى صَاحِبِهِ * وَمَا كَانَ مُنْصِرًا * أَي : مَمْتَنِعًا بِنَفْسِهِ وَقُوَّتِهِ عَلَى انْتِقَامِ اللَّهِ .

[٤٤] * هُنَالِكَ * فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ وَتِلْكَ الْحَالِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْإِهْلَاكُ * الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ * النُّصْرَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ * هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * لِأَوْلِيَائِهِ ، فَلَا يَنْقُصُ لِمُؤْمِنٍ دَرَجَةٌ لِدَعَايَتِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا يَتْرِكُ لِكَافِرٍ عَقُوبَةَ لَشْرَفِهِ ، بَلْ يِعَاقِبُهُ بِذَنْبِهِ وَيُظْهِرُ فَضْلَ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهِ .

[٤٥] * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * أَذْكَرَ لَهُمْ مَا تَشَبَّهُهُ فِي زَهْرَتِهَا وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا * كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ * فَالْتَفَتْ بِسَبَبِهِ وَتَكَانَفَتْ ، حَتَّى خَالَطَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَشَبَّ وَحَسَنَ وَعَلَاهُ الزَّهْرُ وَالنُّورُ وَالنُّصْرَةُ * فَأَصْبَحَ * بَعْدَ ذَلِكَ الزَّهْوِ * هَشِيمًا * جَافًا يَابِسًا مَكْسُورًا * تَذْرُوهُ الرِّيحُ * تَفَرَّقَتْ ذَاتُ الْيَمِينِ وَذَاتُ الشِّمَالِ * وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * أَي : قَادِرًا عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالْإِفْنَاءِ .

[٣٥] * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ * أَي : دَخَلَ الْجَنَّةَ بِصَاحِبِهِ يَطُوفُ بِهِ فِيهَا وَيُفَاخِرُهُ بِهَا * وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ * بِالْكَفْرِ وَالْعِجْبِ * قَالَ : مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ * أَنْ تَهْلِكَ وَتَفْنَى * هَذِهِ * الْجَنَّةُ * أَبَدًا * لِأَعْتِقَادِهِ أَبَدِيَّةِ الدَّهْرِ .

[٣٦] * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً * أَي : كَائِنَةً ، آتِيَةً * وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * تَطْمَعًا وَغَنِيًّا عَلَى اللَّهِ ، وَادِّعَاءَ لِكِرَامَتِهِ عَلَيْهِ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَهُ ، وَإِنَّهُ مَا أَوْلَاهُ الْجَنَّتَيْنِ إِلَّا لَاسْتِحْقَاقَهُ وَاسْتِثْنَاءَهُ .

[٣٧] * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ * الَّذِي عَيَّرَهُ بِفَقْرِهِ ، تَعْيِيرًا لَهُ عَلَى كَفَرِهِ * وَهُوَ يُجَاوِرُهُ أَكْثَرُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ * بِجَعْلِ التُّرَابِ نَبَاتًا ثُمَّ جَعَلَهُ غِذَاءً يَتَوَلَدُ مِنَ النُّطْفَةِ * ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا * .

[٣٨] * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * مَعَهُ مِنَ الْعُلُوبَاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ .

[٣٩] * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ : مَا شَاءَ اللَّهُ * أَي : هَلَّا قُلْتَ عِنْدَ دُخُولِهَا ذَلِكَ ، اعْتِرَافًا بِأَنَّهَا وَكُلُّ خَيْرٍ فِيهَا ، إِنَّمَا حَصَلَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ * لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ * إِقْرَارًا بِأَنَّ مَا قَوِيَتْ بِهِ عَلَى عِمَارَتِهَا وَتَدْبِيرِ أَمْرِهَا ، إِنَّمَا هُوَ بِمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ * إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * .

[٤٠] * فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا * فِي الدُّنْيَا أَيْضًا * خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا * أَي : مَقْدَارًا قَدَرَهُ اللَّهُ وَحَسَبَهُ ، وَهُوَ الْحُكْمُ بِتَدْمِيرِهَا مِنْ صَوَاقِعِ وَأَفَاتِ * مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا * أَي : تَرَابًا أَمْلَسَ لَا تَثْبِتَ فِيهَا قَدَمٌ لِمَلَاَسَتِهَا .

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وذلك لإعانتها فيها ، ووجود الشرف بها ﴿والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيراً أملاً﴾ .

[٤٧] ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ أي : اذكر يوم نقلها من أماكنها ونسبها في الجو ، أو نسب أجزاءها بعد أن نجعلها هباءً منبثاً ﴿وترى الأرض بارية﴾ لبروز ما تحت الجبال حتى تبدو للعيان سطحاً مستوياً ، لا بناء ولا شجر ولا معلّم ولا ما سوى ذلك ﴿وحشرتناهم﴾ وجمعناهم إلى موقف الحساب ﴿فلم نغادر﴾ فلم نترك منهم أحداً ﴿لا صغيراً ولا كبيراً﴾ .

[٤٨] ﴿وعرضوا على ربك صفاً﴾ مصطفين مرتبين في المواقف ، لا يحجب بعضهم بعضاً ، كل في رتبته ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ بلا مال ولا بنين ، أو لقد بعثناكم كما أنشأناكم ﴿بل زعمتم﴾ بإنكاركم البعث ﴿ألن نجعل لكم موعداً﴾ أي : وقتاً لإنجاز ما وعدناكم من البعث والنشور والحساب والجزاء .

[٤٩] ﴿ووضع الكتاب﴾ أي : صحائف الأعمال بين يدي الله بحضرة الخلائق ﴿فترى المجرمين مشفقين﴾ خائفين أن يفتضحوا ﴿مما فيه﴾ من أعمالهم السيئة المستورة ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ أي : يا هلكتنا ويا حسرتنا على ما فرطنا في أعمارنا ﴿مال هذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ أي شأن حصل له ، فلا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً إلا ضبطه وحفظه ، والاستفهام مجاز عن التعجب في إحصائه كل

المعاصي وعدم تسامحه في شيء منها ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ مكتوباً في الصحف تفصيلاً ، من خير وشر ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ فيكتب عليه ما لم يعمله ، أو يزيد في عقابه .

[٥٠] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ المردة الشياطين العتاة ﴿فسق عن أمر ربّه﴾ أي : خرج عن طاعته ﴿أفستخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي ، وهذا تقريع وتوبيخ لهم ﴿بئس للظالمين﴾ الواضعين الشيء في غير موضعه ﴿بدلاً﴾ بئس البديل من الله إبليس ، لمن أطاعه بدل طاعته الله .

[٥١] ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض﴾ أي : ما أحضرت إبليس وذريته خلق السموات والأرض ، حين خلقتها ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ أي : وما أشهدتهم بعضهم أيضاً خلق بعض منهم ﴿وما كنتم متخذين المصلين عضداً﴾ وما كنتم متخذهم أعواناً لخلق ما ذكر ، بل تفردت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير ، وإذا لم يكونوا عضداً في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء في العبادة ؟

[٥٢] ﴿ويوم يقول﴾ أي : الحق تعالى ﴿نادوا شركائهم الذين زعمتم﴾ في دار الدنيا أنهم شركاء لينقذوكم مما أنتم فيه ، يقال لهم ذلك على رؤوس الأشهاد تقريعاً لهم وتوبيخاً ﴿فدعواهم فنادوهم للإعانة﴾ فلم يستجيبوا لهم ﴿فلم يعينوهم﴾ لعجزهم ﴿وجعلنا بينهم﴾ أي : بين الكفار وأهلهم ﴿موبقاً﴾ أي : مهلكاً يشتركون فيه ، وهو : النار ، أو عداوة هي في الشدة نفس الهلاك . [٥٣] ﴿ورأى المجرمون النار﴾ أي : جهنم المحيطة بأنواع الهلاك ﴿فظنوا أنهم مواقعوها﴾ أيقنوا بأنهم واقعون فيها ﴿ولم يحيدوا عنها مصرفاً﴾ أي : معدلاً ينصرفون إليه .

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً ﴿٤٧﴾ وَعَرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِي الْمُضِلِّينَ عِصْدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَوَّلَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَبُحْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ صرّفنا : نوعنا ، في هذا القرآن ، من كل مثل ينبه على مراقبي السعادات ومهاوي الضلالات لينذروا به ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ أي : مجادلة ومخاصمة ومعارضة للحق بالباطل .

[٥٥] ﴿وما منع الناس﴾ أي : مشركي مكة وكل من كان على شاكلتهم ﴿أن يؤمنوا﴾ بالله تعالى ويتركوا الشرك ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ أي : القرآن والحق الواضح النير ﴿ويستغفروا ربهم﴾ عن المعاصي السالفة ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولى﴾ وهي عذاب الاستئصال ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ يروونه عياناً ومواجهة ، وهو عذاب الآخرة .

[٥٦] ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ وما نرسلهم قبل إنزال العذاب إلا لتبشير من آمن ، وإنذار من كفر ﴿وبُحْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كافتراح الآيات ﴿ليُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليزيلوا بالجدال ، الحق الثابت عن مقره وليس ذلك بحاصل لهم ﴿واتخذوا آياتي وما أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ اتخذوا آيات الله ، والذي أُنذروا به من العقاب استهزاء وسخرية ، وهو أشد التكذيب .

[٥٧] ﴿ومن أظلم من ذكر بآيات ربّه فأعرض عنها﴾ كناية عن عدم تدبرها والاعتاظ بها ﴿ونسي ما قدمت يده﴾ ما عمله من الكفر والمعاصي وصرف ما أنعم به ، إلى غير ما خلقت له ، فلم يتفكر في عاقبة ذلك ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ جعلنا على قلوبهم حجاباً وأغطية كثيرة ، كراهة أن يقفوا على كنه ما خلقت النعم من أجله ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ وفي آذانهم قواصم ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً﴾ .

[٥٨] ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿لعجل لهم العذاب بل لهم موعد﴾ هو يوم بدر ، أو الفتح المشار إليه في كثير من الآيات ، أو يوم القيامة ﴿لن يحيدوا من دونه مؤثلاً﴾ المؤثّل : الملجأ والمنجى ، أي : ليس لهم عنه محيص ولا مفر .

[٥٩] ﴿وتلك القرى﴾ قرى عاد وثمود وأصحاب الأيكة وأضرابهم ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ بالكفر والطغيان ﴿وجعلنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي : وقتاً معيناً لا محيد لهم عنه . [قال ابن جرير : فكَذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يا محمد الذين لا يؤمنون بك أبداً موعداً إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم ، سنتنا في الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم] . [٦٠] ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ اذكر وقت قول موسى لخادمه ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ حتى أبلغ مجمع البحرين وهو مكان ملتقاهما فأجد فيه الخضر ﴿أو أمضي حُقُبًا﴾ أو أسير زماناً طويلاً إن لم أجده حتى أتيقن عدم لقائه . [٦١] ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي : البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾ الحوت مطلق السمك صغيراً كان أم كبيراً - وتفقد أمره ، وكانا تزوداه ﴿فاتخذ سبيله﴾ طريقه ﴿في البحر سرباً﴾ مثل السرب - النفق الطويل الذي لا مخرج له - في الأرض ، واضح المسلك ، معجزة جعلت علامة للمطلوب . [وفي الحديث (ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره . ثبت مكان الحوت الذي فيه ، فانجاب كالكوّة ، حتى رجع إليه موسى ، فرأى مسلكه ، فقال : ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ - رواه ابن جرير) .

[٦٢] ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ء إِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [٦٣] ﴿ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ أي : أمراً عجيباً ، إذ صار الماء عليه سرباً .

[٦٤] ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ ذَلِكَ ﴾ المكان الذي اتخذ فيه الحوت سبيله هرباً ﴿ مَا كُنَّا نَبْعُ ﴾ أي : نطلب فيه الخضر ، لأنه أمانة المطلوب ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا ﴾ رجعاً ماشيين على آثار أقدامهما يتبعانها ﴿ قَصَصًا ﴾ اتباعاً لثلاث يفوتها الموضع ثانية .

[٦٥] ﴿ فَوَجَدَا ﴾ فأتيا الموضع المنسي فيه الحوت فوجدا ﴿ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ والجمهور على أنه الخضر ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ آتيناه رحمة لدنية ، اختصصناه بها ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ أي : علماً جليلاً أثرناه به ، وهو علم لدني - غيبي - يكون بتأييد رباني .

[٦٦] ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ أصبحك ﴿ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي بِمَا عَلَّمْتُ ﴾ من لدن ربك ﴿ رُشْدًا ﴾ أي : علماً ذا هدى وإصابة خير .

[٦٧] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر لموسى ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ بوجه من الوجوه .

[٦٨] ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ من أمور سترها ، إن صحبتني ، ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها علمك .

[٦٩] ﴿ قَالَ ﴾ موسى للخضر ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ لا أخالفك في شيء .

[٧٠] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر ﴿ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي : لا تفاتحنني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ، ولم تعلم وجه صحته ، حتى أبتدئك ببيانه .

[٧١] ﴿ فَانْطَلَقَا ﴾ على ساحل البحر يطلبان سفينة ﴿ حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ بقلع بعض ألواحها من جهة الماء ﴿ قَالَ ﴾ موسى عليه السلام ﴿ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ أي : عظيماً من إتلاف السفينة وقتل الجماعة الكثيرة بغير ذنب ، وإنكار الجميل بعد أن حملنا أهلها من دون مُقابل .

[٧٢] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ يعني : هذا الصنيع فعلته قصداً ، وهو من الأمور التي اشترطت معك أن لا تنكر علي فيها ، لأنك لم تحط بها خبراً إذ لها سر لا تعلمه أنت .

[٧٣] ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ من الشرط ﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ لا تعسر علي متابعتك ، بل يسرها علي ، بالإغضاء وترك المناقشة .

[٧٤] ﴿ فَانْطَلَقَا ﴾ بعد أن خرجا من السفينة إلى الساحل ﴿ حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ قال ﴿ مُوسَى ﴾ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴿ طَاهِرَةً غَيْرَ مَذْنُوبَةٍ ﴾ بغير نفس ﴿ أَي : أَنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلْ نَفْسًا فَتَقْتُلْ ﴾ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿ مُنْكَرًا ، أَوْ أَنْكَرَ مِنَ الْأَوَّلِ .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ء إِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [٦٣] ﴿ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [٦٣] ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [٦٤] ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [٦٥] ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ [٦٦] ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [٦٧] ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [٦٨] ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ أَتَّبِعُكَ أَصْحَبَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي بِمَا عَلَّمْتُكَ مِنْ لَدُنْ رَبِّكَ ﴾ [٦٧] ﴿ رُشْدًا ﴾ [٦٨] ﴿ أَي : عَلِمًا ذَا هَدًى وَإِصَابَةً خَيْرَ .

[٦٩] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر لموسى ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [٦٩] ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [٦٨] ﴿ مِنْ أُمُورِ سِتْرَاهَا ، إِنْ صَحِبْتَنِي ، ظَوَاهِرُهَا مَنَاقِيرُ وَبَوَاطِنُهَا لَمْ يَحِطْ بِهَا عِلْمُكَ .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [٧٥] ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ [٧٦] ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴾ [٧٦] ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [٧٧] ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [٧٨] ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [٧٩] ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [٨٠] ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا كَفَرُوا وَاقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [٨١] ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [٨٢] ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [٨٣]

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ تأكيد في التذكير بالشرط الأول .

[٧٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ بعد هذه المرة ﴿ فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ أي : وجدت من جهتي عُذراً فخالفتك ثلاث مرات . [ذكر ابن جرير أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية فقال (استحيا في الله موسى)] .

[٧٧] ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ اختلف في تسميتها ﴿ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ أي : امتنعوا من أن يطعموهم الطعام الذي هو حق ضيافتها عليهم ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ يكاد أن ينهدم ﴿ فَأَقَامَهُ ﴾ عمّره الخضر وأصلحه ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أي : لأمه على ترك الأجرة ، مع مسيس الحاجة إليها .

[٧٨] ﴿ قَالَ ﴾ الخضر ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ﴾ أي بتفسير ﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص أبوي الغلام من شره ، مع الفوز بالبدل الأحسن ، واستخراج اليتيمين للكنز .

[٧٩] ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ ﴾ التي خرقتها ﴿ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ أي : لفقراء يحترفون العمل في البحر ، لنقل الناس من ساحل إلى آخر ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ ثم بين الله السبب ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ إنها خرقتها لأعيبها .

[٨٠] ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا ﴾ لو تركناه ﴿ أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ أي : ينزل بهما طغيانه وكفره ويلحقه بهما ، فيجعل حياتهما شقاء .

[٨١] ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾ بقتله ﴿ أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا كَفَرُوا ﴾ أي : طهارة عن الكفر والطغيان ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ أي : رحمة بأبويه ، وبراً .

[٨٢] ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ [قال الحسن : لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : عجب لمن يؤمن كيف يحزن ، وعجب لمن يوقن بالموت كيف يفرح ، وعجب لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله - رواه ابن جرير] ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ أي : قوتها بالعقل وكمال الرأي ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ﴾ ليتصرفا فيه بعقل وحكمة ومصالحة ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي : تفضل بها عليهما ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ما فعلت كل ذلك باجتهادي ورأيي ، وإنما فعلته بأمر الله تعالى ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ من الأمور التي رأيتها ، وتسطع : تخفف تستطع ، بحذف التاء .

[٨٣] ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ ﴾ أي : اليهود يسألون رسول الله ﷺ ﴿ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ﴾ [قيل] هو الإسكندر الكبير المقدوني ، وهذا اللقب من الكناية عن كل ذي قوة وبأس وسلطان ، لأن ذا القرون من المواشي أقواها وأشدّها ، والكناية بالقرن عن القوة والسلطان معروفة عند اليهود ، الذين هم السائلون ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي : نبأً مذكوراً معجزاً ، أنزله الله علي .

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ بالقوة والرأي والتدبير والسعة في المال والاستظهار بالعدد وعظم الصيت وكبر الشهرة ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي : طريقاً موصلاً إليه ، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة .

[٨٥] ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ فاتبع سبباً سبباً آخر ، أو فاتبع أمره سبباً .

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي : أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب ، وهو مغرب الأرض ﴿وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ﴾ أي : ذات حمأة وهو الطين الأسود ﴿وَوَجَدَ عَنْهَا قَوْمًا﴾ أي : أمة ﴿فَلَنَّا بِهَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ﴾ بالقتل وغيره ﴿وَأِنَّمَا أَنْتَ تُنْجِذُ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالعفو .

[٨٧] ﴿قَالَ : أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالبغي والفساد في الأرض ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ﴾ فيعذِّبُهُ عَذَاباً نُكَرًا ﴿أي : منكرًا لم يُعهد مثله .

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ﴾ في الدارين ﴿جِزَاءٌ الْحُسْنَىٰ﴾ أي : فله جزاء الخصلة الحسنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَائِسِرًا﴾ .

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي : طريقاً راجعاً من مغرب الشمس ، موصلاً إلى مشرقها .

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا﴾ من المباني والجبال .

[٩١] ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي : علماً ، نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه ، لا يخفى علينا منها شيء .

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي : طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب .

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ أي : بين الجبلين اللذين سدا ما بينهما ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ وجد من ورائهما أمة من الناس ﴿لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لكون لغتهم غريبة مجهولة ولقلة فطنتهم .

[٩٤] ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ﴾ قال أبو البقاء : يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان وقال الرازي : واختلفوا في أنها من أي الأقوام ؟ فقليل إنهما من الترك . . . ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي : في أرضنا بالقتل والإضرار ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي : ندفع لك مالاً لجعلنا نخرجه من أموالنا ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزاً يمنع خروجهم علينا .

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ما جعلني فيه مكيناً من المال والملك أجل مما تريدون بذله ، فلا حاجة بي إليه ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي : بِعَمَلَةٍ وَصَنَاعٍ وَأَلَاتٍ ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي : حاجزاً حصيناً .

[٩٦] ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ ناولوني قطعته ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بين جانبي الجبلين ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ في الأكوار والحديد ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ أي : كالنار بالإحماء ﴿قَالَ : آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي : نحاساً مذاباً ليلصق بالحديد ويتدعم البناء به ويشدد .

[٩٧] ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ لثخنه وصلابته .

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ ﴿٨٦﴾

وَوَجَدَ عَنْهَا قَوْمًا لَّغُلَايَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنْجِذُ ﴿٨٧﴾

فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٨﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ

فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ

الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَائِسِرًا ﴿٩٠﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩١﴾ حَتَّىٰ

إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ

دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٢﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩٣﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ

سَبَبًا ﴿٩٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا

لَا يَكَادُونَ يُفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٥﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ

مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ

سَدًّا ﴿٩٦﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٧﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ

قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٨﴾

فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٩﴾

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي إِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي

حَقًّا ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿١٠٩﴾

فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿١١٠﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١١١﴾

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمْعًا ﴿١١٢﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي

أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١١٣﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَالًا ﴿١١٤﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ

فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ

جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٨﴾ خَالِدِينَ

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١٩﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٢٠﴾ قُلْ

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٢١﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَذَا﴾ السد ﴿رحمة من ربِّي﴾ على القاطنين عنده لأنهم من شر

يأجوج ومأجوج ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بدحره وخرابه ﴿جَعَلَهُ دُكَّاءً﴾ أي : أرضاً

مستوية ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي : كائنًا لا محالة .

[٩٩] ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ﴾ يوم خروجهم ﴿فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخ في الصور : تمثيل لبعث الله الناس يوم

القيامة بسرعة لا يمثلها إلا نفخة في بوق ، فإذا هم قيام ينظرون ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ فجمعناهم يوم

القيامة للجزاء والحساب جمعاً عجيباً .

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي : أظهرناها وأبرزناها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم جمعنا الخلائق كافة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يرونها

ويسمعونها لها تغيطاً وزفيراً ﴿عَرْضًا﴾ فظيماً هائلاً .

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ لتعاميهم عن الآيات الدالة على توحده ، أو عن القرآن

وتأمل معانيه وتبصرها ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ لتصاميمهم عن الحق واتباع الهدى .

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أي : أفحسبوا اتخاذهم العباد بدل الله

نافعاً لهم ؟ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ شيئاً يتمتعون به عند ورودهم ، والنزل : ما يقام

للنزول أي الضيف ، وفيه استعارة تهكمية ، إذ جعل ما يُعذَّبون به في جهنم كالزقوم والغسلين ضيافة لهم .

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

[١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي : ضاع وبطل ﴿وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ .

[١٠٥] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ بالبعث والحساب والجزاء ﴿فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ لكفرهم المذكور ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي : فنزيدهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً .

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الأمر ذلك ﴿جَزَاءُ لَهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي : مهزوءاً بها .

[١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ وسط الجنة وأعلاها ﴿نُزُلًا﴾ أي : منزلاً .

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ لا يسأمون ولا يملون ولا يختارون عن مقامهم متحولاً .

[١٠٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي لكتابتها ﴿لَنَفَدَ الْبَحْرُ﴾ مع كثرته ، ولم يبق منه شيء ﴿قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ لكونها غير متناهية ، فلا تنفذ ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي : بمثل البحر عوناً وزيادة ، لنفد أيضاً .

[١١٠] ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين والكافرين من أهل الكتاب ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي : خُصِّصْتُ بِالوَحْيِ وَتَمَيَّزْتُ عَنْكُمْ بِهِ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَثَوَابَهُ﴾

نفسه ، وهو ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .

[سورة مريم]

سُميت سورة مريم لاشتغالها على نبئها الخارق ، وهي مكية ، واستثنى بعضهم الآيتين ٥٨ و ٧١ ، وآياتها ٩٨ آية .

[١] ﴿ كَهَيْعَصَ ﴾ وتلفظ : كاف . ها . يا . عين . صاد ، وقد سلف في أول سورة البقرة الكلام على هذه الأحرف ، المبتدأ بها .

[٢] ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ وزكريا : والد يحيى عليها السلام .

[٣] ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ والمراد بالنداء الدعاء . وقد راعى أدب الدعاء ، وهو إخفاؤه لكونه أبعد عن الرياء ، وأدخل في الإخلاص .

[٤] ﴿ قَالَ ﴾ زكريا ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أي : ضعف ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ شبه حال الشيب بحال النار في بياضه وانتشاره ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ ولم أكن بدعائي إياك خائباً في وقت لم أعوذ منك إلا الإجابة في الدعاء ، ولم تردني قط ، وهذا توسل منه إلى الله تعالى بما سلف له معه من الاستجابة .

[٥] ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾ الذين يلون أمر رهطي - قومي - ﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾ من بعد موتي لعدم صلاحية أحد منهم لأن يخلفني في القيام بما كنت أقوم به من الإرشاد ووعظ العباد وحفظ آداب الدين ﴿ وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا ﴾ لا تلد من حين شبابها ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ أي : هب لي ولداً .

[٦] ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ يرث مني العلم ، ومن آل يعقوب النبوة ، بمعنى أن يصلح للنبوة ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ أي : مرضياً عندك قولاً وفعلاً .

[٧] ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ [قال ابن جرير : كان قتادة يقول : إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان] ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ أي : مثيلاً وشبيهاً [قال ابن جرير : معنى الكلام : لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحداً مسمى باسمه] .

[٨] ﴿ قَالَ ﴾ زكريا ﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ لا تلد ﴿ وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ أي : حالة لا سبيل في إصلاحها ومداوتها [قال ابن جرير : أبان تقويني على ما ضعفت عنه من ذلك ، وتجعل زوجتي ولوداً ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر؟ يستثبت ربه الخبر ، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد الذي بشر الله به ، لا إنكاراً منه ﷺ حقيقة كون ما وعده الله من الولد] .

[٩] ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ أي : أن يلد لك غلام هو أهون من خلقك من لا شيء . [١٠] ﴿ قَالَ ﴾ زكريا ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ أي : علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحمل ، ليطمئن قلبي ﴿ قَالَ ﴾ تعالى ﴿ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ أي : أن لا تقدر على تكليمهم ، بلا مرض في بदनك ، ولا في لسانك .

[١١] ﴿ فَخَرَجَ ﴾ زكريا ﴿ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ من مُصلَّاه أو غرفته ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ﴾ أشار إليهم رمزاً لعدم تمكنه من الكلام ﴿ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي : صلوا لله طرفي النهار .

سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

٣٠٥

سُورَةُ مَرْيَمَ

سُورَةُ مَرْيَمَ

يَسْحَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَهٗ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ فَسَاقِطٌ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

٣٠٦

[١٢] ﴿ يَسْحَى ﴾ أي : قلنا : يا يحيى ﴿ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ تعلم التوراة بجِدٍّ وحرص واجتهاد ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ أي : الحكمة وفهم التوراة والعلم والاجتهاد في الخير وهو صبي .

[١٣] ﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ وآتيناه حناناً : وهو التحنن والتعطف والشفقة ، أو حناناً من الله عليه ﴿ وَزَكَاةً ﴾ طهارة من الذنوب ، وعصمة بليغة منها ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ .

[١٤] ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ أي : متكبراً عاقلاً لها ، أي عاصياً لربه .

[١٥] ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ ﴾ من الله ﴿ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ والسلام : بمعنى السلامة والأمان من الآفات ، وفيه معنى التحية والتشريف .

[١٦] ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ ﴾ القرآن ﴿ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ ﴾ إذ اعتزلت وانفردت ﴿ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ شرقي بيت المقدس ، لثلاثين يغفلوها عن العبادة .

[١٧] ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ أي : جبريل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا ﴾ فنصوّر لكي تراه في هيئة البشر ﴿ بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ سوي الخلق ، كامل الصورة .

[١٨] ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ ﴾ اعتصم به منك ﴿ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴾ تقى الله تعالى ، وتبالي بالاستعاذة به .

[١٩] ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ لا تخافي ولا تتوقعي ما توهمت ، فإني رسول ربك بعثني إليك ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ لأكون سبباً في هبته ، والزكي : الطاهر من الذنوب أو النامي على الخير .

[٢٠] ﴿ قَالَتْ ﴾ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ الْمَسَّ : عبارة عن النكاح الحلال ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ البغي : الفاجرة التي تبغي الرجال . أي : تَعَجَّبْتُ مِنْ هَذَا وَقَالَتْ : كيف يكون لي غلام ، ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور .

[٢١] ﴿ قَالَ ﴾ جبريل ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ : هُوَ عَلَيَّ هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَهٗ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ برهاناً يستدلون به على كمال قدرة بارئهم وخالقهم ، فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ عليك هذه الكرامة ، وعلى قومك بالهداية ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيتته . [٢٢] ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ أي : لما حملت به اعتزلت بسببه مكاناً بعيداً من قومها ، فراراً من القالة .

[٢٣] ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أي : فأجأها ألم الولادة إلى الاستناد بالجذع لتعتمد عليه وتستتر به . ومخضت المرأة : إذا تحرك الولد في بطنها للخروج ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ الحمل ﴿ وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴾ أي : شيئاً منسياً لا يخطر على بال أحد ، لما عرفت أنها ستبلى وتمتنح بهذا المولود إذا بهتوها وهي عارفة ببراءة ساحتها .

[٢٤] ﴿ فَنَادَاهَا ﴾ جبريل ، وقيل عيسى ﴿ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي ﴾ ، قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿ أَي : نهرأ أو ساقية ماء يسري .

[٢٥] ﴿ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ فَسَاقِطٌ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ الرُّطْب : البلح إذا حضر أو أن اجتثاته . والمقصود بالسري والرطب أنها معجزتان ثريان الناس أنها من أهل العصمة والبعد من الرزية .

[٢٦] ﴿ فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ أي : وطبسي نفساً ولا تغتمي ﴿ فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ أي : من المحبوبين عن الحقائق لظواهر الأسباب ، الذين لا يفهمون قولك ولا يصدقون بحالك ، فإذا سألك ﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ أي : صمتاً ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ لا تكلمهم في أمرك شيئاً .

[٢٧] ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ تحمل ولدها عيسى عليه السلام بعد ولادته ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أي : عظيماً منكراً .

[٢٨] ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ وهو النبي المشهور صلوات الله عليه ، يعنون أنها مثله في الصلاح ، لأن الأخ والأخت يستعمل بمعنى : المشابهة ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ ﴾ أي : لم يكن زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴾ أي : زانية ، فمن أين لك هذا الولد ؟

[٢٩] ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ إلى عيسى صلوات الله عليه ﴿ قَالُوا ﴾ منكبين لجوابها ﴿ كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ولم يُعْهَد تكلم عاقل لصبي في المهد .

[٣٠] ﴿ قَالَ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ أنطقه الله بذلك تحقيقاً للحق في شأنه وتنزيهاً لله تعالى عن الولد ، ردّاً على من يزعم ربوبيته ونبوته وتنزيهاً لأمه البتول ﴿ أَنَا فِي الْكِتَابِ الْإِنْجِيلِ ﴾ وجعلني نبياً .

[٣١] ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ أي : كثير الخير حيثما وجدت ، أبلغ وحي ربي لتقويم النفوس وكبح الشهوات ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ أي : أمرني بالعبادة وإنفاق المال مدة حياتي .

[٣٢] ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أي : مستكبراً عن طاعته وأمره .

[٣٣] ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ وقد ورد ذلك في الآية ١٥ السابقة بحق يحيى عليه السلام .

[٣٤] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الذي فصلت صفاته الجليلة ﴿ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، قَوْلَ الْحَقِّ ﴾ وهو تكذيب للنصارى فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني ، حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ﴿ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي : يختلفون .

[٣٥] ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ، إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ ، فَيَكُونُ ﴾ ومن هذا شأنه ، كيف يتوهم أن يكون له ولد ؟ .

[٣٦] ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ من اتبعه رشد وهدى ، ومن خالفه ضلّ وغوى . والصراط : الطريق .

[٣٧] ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ أي : اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله ، وأنه عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فأصرت اليهود منهم على بهت أمه واتهامه بالسحر ، وانقسمت النصارى في أمره انقساماً يفوق الحصر ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني : المختلفين في عيسى ابن مريم من اليهود والنصارى ﴿ مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ في شهودهم هول الحساب والجزاء إلى يوم القيامة ، أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف ، أو من وقت الشهود .

[٣٨] ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ بعد أن كانوا في الدنيا صماً عمياً ﴿ لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ ﴾ في الدنيا ﴿ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ لإغفالهم الاستماع والنظر ، يطلب منهم الهدى فلا يهتدون .

[٣٩] ﴿ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي : فرغ من الحساب وفصل بين أهل الجنة والنار ، وصار كل إلى ما صار إليه مخلداً فيه ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ وهم اليوم مستغرقون في غفلة عما يفعل بهم في الآخرة ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون به اليوم وسيعاينونه يوم القيامة .

[٤٠] ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ تأكيد ﴿ نَرْثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة للجزاء .

[٤١] ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ﴾ الكامل في الصدق وبلغ التصديق بما يجب لله من الوجدانية والتزنية ﴿ نَبِيًّا ﴾ .

[٤٢] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ متطعاً في دعوته إلى التوحيد ونهيه عن عبادة الأصنام ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ فلا يدفع ضرراً ولا يجلب نفعاً .

[٤٣] ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ معتدلاً لا إفراط فيه بعبادة من لا يستحق ، ولا تفريط بترك عبادة من يستحق ، وكذا في باب الأخلاق والأعمال .

[٤٤] ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ مستعص على ربك الذي أنعم عليك بشئ النعم ، ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص .

[٤٥] ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ لكونك عصيته وواليت عدوه ، فيقطع رحمته عنك ، كما قطعها عن الشيطان ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ أي : مقارناً له ومشاركاً معه في عذابه .

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ أبوه ، مُصِرّاً على عناده لفرط غلوه في الضلال ﴿ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ أَهْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ أي : أ معرض ومنصرف أنت عنها ؟ ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ لئن لم تنته عن القول فيها وعن نصحك لأرجمك بالحجارة ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ أي : ابتعد عني زماناً طويلاً .

[٤٧] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم لأبيه ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ وفي جوابه هذا ، مقابلة السيئة بالحسنة ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ أي : مبالغاً في اللطفي .

[٤٨] ﴿ وَأَعْتَرَلُكُمْ ﴾ ابتعد عنكم ، أهجرك أنت وقومك ﴿ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من أصنامكم ، والمراد بالدعاء : العبادة ﴿ وَادْعُوا رَبِّي ﴾ أي : أعبدوه وحده ﴿ عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ أي : خائفاً ضائع السعي .

[٤٩] ﴿ فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وذلك بالهجرة إلى الشام ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ أي : جعلنا له بنين وحفدة أنبياء قرت عينه بهم في حياته بدل الذين فارقه من أقاربه الكفار . [٥٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ﴾ ما عرّف فيهم من النبوة والذرية وسعة الرزق ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ أي : فهم من أسرة الصدق من إبراهيم إلى يوسف عليهم السلام .

[٥١] ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ أي : أخلصه الله : اصطفاه ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرْثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابَت إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابَت لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابَت إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ أَهْتِي يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

الرحمن ﴿ لكونك عصيته وواليت عدوه ، فيقطع رحمته عنك ، كما قطعها عن الشيطان ﴾ فتكون للشيطان ولياً ﴿ أي : مقارناً له ومشاركاً معه في عذابه .

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ أبوه ، مُصِرّاً على عناده لفرط غلوه في الضلال ﴿ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ أَهْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ أي : أ معرض ومنصرف أنت عنها ؟ ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ لئن لم تنته عن القول فيها وعن نصحك لأرجمك بالحجارة ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ أي : ابتعد عني زماناً طويلاً .

[٤٧] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم لأبيه ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ وفي جوابه هذا ، مقابلة السيئة بالحسنة ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ أي : مبالغاً في اللطفي .

[٤٨] ﴿ وَأَعْتَرَلُكُمْ ﴾ ابتعد عنكم ، أهجرك أنت وقومك ﴿ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ من أصنامكم ، والمراد بالدعاء : العبادة ﴿ وَادْعُوا رَبِّي ﴾ أي : أعبدوه وحده ﴿ عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ أي : خائفاً ضائع السعي .

[٤٩] ﴿ فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ وذلك بالهجرة إلى الشام ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ أي : جعلنا له بنين وحفدة أنبياء قرت عينه بهم في حياته بدل الذين فارقه من أقاربه الكفار . [٥٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ﴾ ما عرّف فيهم من النبوة والذرية وسعة الرزق ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ أي : فهم من أسرة الصدق من إبراهيم إلى يوسف عليهم السلام .

[٥١] ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ أي : أخلصه الله : اصطفاه ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هَذُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

[٥٢] ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ من جانبه الأيمن [قال ابن جرير: يمين موسى، لأن الجبل لا يمين له ولا شمال] حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا﴾ إذ كلمناه بلا واسطة .

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ ليشد أزره في أداء الرسالة .

[٥٤] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ وهو ابن إبراهيم عليها السلام ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ وفيه تنبيه بعظم هذه الخلقة - الصدق - ، ولذا كان ضدها نفاقاً كما صرحت به الأخبار ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ .

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أي : كان يبدأ أهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ .

[٥٦] ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ كان قبل نوح ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ .

[٥٧] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فالعلو معنوي وهو شرف النبوة والزلفى عنده تعالى .

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس عليهم السلام ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بالنعم الدينية والدنيوية ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ ومن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ ﴿وَإِسْرَائِيلَ هُوَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ومن هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴿أَيَ : هَدَيْنَاهُمُ لِلْحَقِّ وَاجْتَبَيْنَاهُمُ لِلنَّبُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ﴾ إِذَا تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿فِي آيَةِ اسْتِحْبَابِ السُّجُودِ وَالْبُكَاءِ عِنْدَ سَمَاعِ التَّلَاوَةِ .

[٥٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ من الانهالك في المعاصي التي هي بريد الكفر ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ أي : شرًّا .

[٦٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عن ترك الصلوات واتباع الشهوات ﴿وَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ .

[٦١] ﴿جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي : غائبة عنهم غير حاضرة ، أو غائبين عنها لا يرونها ، وإنما آمنوا بها بمجرد الأخبار ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ لا يُخْلَفُهُ .

[٦٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ لا يسمعون في الجنات فضول كلام لا طائل تحته ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ أي : تسليماً ، وهو تسليم الملائكة عليهم ، أو تسليم بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ بُكْرَةٍ وَعَشِيًّا﴾ أي : على قدرهما في الدنيا ، فليس في الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبداً .

[٦٣] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ وهم المتصفون بشعب الإيمان ، المسرودة في مواضع شتى من أي القرآن .

[٦٤] ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ فعدم نزول جبريل بالوحي لعدم الأمر به من الله ، وليس لتركه تعالى لمحمد ﷺ وتوديعه إياه ، وذلك ردّاً لما زعمه المشركون من أنه كان يقلّوه فلا يزوره ﴿لَهُ﴾ سبحانه ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فالله لا ينسى شيئاً ما ، بل يفيض علماً ولا ينزل ملكاً إلا لحكمة .

وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ بُكْرَةٍ وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلْقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي : اثبت لها على السدوم ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي : مثلاً وكفوفاً ، والجملة تقرير لوجوب عبادته وحده .

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ أي : يقول الإنسان المنكر للبعث بطريق الاستبعاد : أأخرج حياً بعدما لبثت في القبر مدة ؟

[٦٧] ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي : من قبل جعله تراباً ونطفة ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ كان عدماً صرفاً لا وجود له في الأعيان ، فلا تبعد إعادته .

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي :

لنحشر المنكرين للبعث مع الشياطين الذين أغوهم وأضلّوهم عن الحق ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ جمع : جاث ، من : جثا ، إذا قعد على ركبتيه ، وذلك هول المطلع ، فلا يستطيعون قياماً .

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ لنخرج إلى النار من كل فرقة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا﴾ أي : جرأة ، بإيثار الشهوات على أمره وعدم مبالاته به .

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ وهم المنتزعون ، إذ ضلّوا وأضلّوا ، لأجل لذات الدنيا وشهواتها ، فصاروا أولى بالصلي بها ، فيخصّصون بعذاب مضاعف .

[٧١] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ أي : حكماً جزماً مقطوعاً به .

[٧٢] ﴿ثُمَّ﴾ بعد الورد والإحضار للتعريف ، يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوي فيها الكفار .

[٧٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ قال الذين كفروا للذين آمنوا : أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ﴿وَمَكَانًا﴾ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿أَيَ : مجتمعاً للقوم ، والمعنى : إن هؤلاء الكفرة إذا تليت عليهم آياته تعالى بينة الحجة ، أعرضوا وأخذوا يحتجون على فضل ما هم عليه بكونهم أوفر حظاً من الدنيا ، لذلك يتساءلون : كيف نكون ونحن بهذه المثابة على الباطل ، وأولئك الذين محتفون في دار الأرقم بن أبي الأرقم - وهم المسلمون الأوائل - على الحق ؟

[٧٤] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا﴾ أي : متاعاً ﴿وَرِئًا﴾ أي : منظراً وهيئة ، من عظم الجاه ، فما أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً .

[٧٥] ﴿قُلْ: مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي : من كان مغموراً بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ يمدّ له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال ، وقيل المراد به : الدعاء بالممد والتنفيس والإمهال ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أي : فأمهله الله فيما هو فيه حتى يلقي ربه وينقضي أجله ، إما بعذاب يصيبه ، وإما الساعة بغتة .

[٧٦] ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ، والباقيات الصالحات﴾ أي : الأعمال التي تبقى فوائدها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ أي : مرجعاً .

[٧٧] أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بَيْنَانَا وَقَالَ لَا أُوتِينُ مَا لَا وُلْدًا الْآخِرَةَ ﴿٧٧﴾ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٨﴾ أَي : أنظر إلى هذا القائل المجترى على الغيب ، ما أكفره .

[٧٨] أَطْلَعَ الْغَيْبَ ، أم اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ بِذَلِكَ ، لأنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين .

[٧٩] كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴿٧٩﴾ أَي : نحفظه عليه للمؤاخظة به ﴿٨٠﴾ وَنُمَدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٨٠﴾ بمضاعفته له ، جزاء لاستهزائه .

[٨٠] وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴿٨٠﴾ أَي : ننزع عنه ما آتينا من مال وولد ، فلا يبقين له حتى يمكنها قطع العذاب عنه ﴿٨١﴾ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨١﴾ أَي : في الحشر ، لا يصحبه مال ولا ولد .

[٨١] وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ أَي : ليتعززوا بهم ، بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل ، وشفعاء عنده .

[٨٢] كَلَّا ﴿٨٢﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا ﴿٨٢﴾ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴿٨٢﴾ أَي : ستجدد الآلهة المزعومة استحقاتهم للعبادة ويكونون عليهم ضِدًّا ﴿٨٣﴾ يَرِيدُونَ إِهْلَاكَهُمْ إِذْ أَوْفَعُوهُمْ فِي هَلَاكٍ دَعَا الشَّرَّ .

[٨٣] أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ بِأَنْ سَلَطْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ وَمَكَّنَّاهُمْ مِنْ إِضْلَالِهِمْ ﴿٨٤﴾ تَوَزَّوْهُمْ أَرَأَيْتَ تَغْرِيبُهُمْ وَتَبْجِيعُهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي بِالتَّسْوِيلَاتِ وَتَجْبِيبِ الشَّهَوَاتِ ، تَبْجِيعًا شَدِيدًا .

[٨٤] فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴿٨٤﴾ بِوَقْعِ الْعَذَابِ بِهِمْ لَتَطْهَرِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴿٨٥﴾ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٥﴾ أَي : إنها تؤخرهم لأجل معدود مضبوط .

[٨٥] يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ أَي : وافدين عليه .

[٨٦] وَنَسُوقُ الْبُجُورَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ أَي : عطاشًا ، كأنهم نَعَمَ عَطَاشٌ تُسَاقُ إِلَى الْمَاءِ .

[٨٧] لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ الضمير في يملكون يعود لأصنامهم المتقدم ذكرها ، أي : لكن من آمن وعمل صالحًا فإنه يشفع للعصاة على ما وعد الله تعالى . والعهد بمعنى الإذن . والمقصود : لا يشفع إلا المأذون له بالشفاعة .

[٨٨] وَقَالُوا ﴿٨٨﴾ أَي : النصراري ﴿٨٩﴾ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٩﴾ يعنون : المسيح عليه السلام .

[٨٩] لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ عَظِيمًا مُنْكَرًا ﴿٩٠﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ﴿٩٠﴾ أَي : يتشققن ﴿٩١﴾ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩١﴾ .

[٩١] أَنْ ﴿٩١﴾ لَأَنَّهُمْ ﴿٩٢﴾ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ وذلك لغيرة الجبال على المقام الرباني الأحدي أن ينسب له ما ينزه عنه .

[٩٢] وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ .

[٩٣] إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ مملوكًا له بأوي إليه بالعبودية والذل .

[٩٤] لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ حصرهم وأحاط بهم إحاطة لا يخرج بها أحد عن حيطته علمه وقبضته قدرته .

[٩٥] وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ منفردًا مجردًا من الأنباغ والأنصار ، وعمن زعم أنه له من الشفعاء .

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بَيْنَانَا وَقَالَ لَا أُوتِينُ مَا لَا وُلْدًا الْآخِرَةَ ﴿٧٧﴾ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٨﴾ أَي : أنظر إلى هذا القائل المجترى على الغيب ، ما أكفره .

﴿٧٨﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ ، أم اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ بِذَلِكَ ، لأنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين .

﴿٧٩﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ بمضاعفته له ، جزاء لاستهزائه .

﴿٨٠﴾ وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴿٨٠﴾ أَي : ننزع عنه ما آتينا من مال وولد ، فلا يبقين له حتى يمكنها قطع العذاب عنه ﴿٨١﴾ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨١﴾ أَي : في الحشر ، لا يصحبه مال ولا ولد .

﴿٨١﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ أَي : ليتعززوا بهم ، بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل ، وشفعاء عنده .

﴿٨٢﴾ كَلَّا ﴿٨٢﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا ﴿٨٢﴾ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴿٨٢﴾ أَي : ستجدد الآلهة المزعومة استحقاتهم للعبادة ويكونون عليهم ضِدًّا ﴿٨٣﴾ يَرِيدُونَ إِهْلَاكَهُمْ إِذْ أَوْفَعُوهُمْ فِي هَلَاكٍ دَعَا الشَّرَّ .

﴿٨٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ بِأَنْ سَلَطْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ وَمَكَّنَّاهُمْ مِنْ إِضْلَالِهِمْ ﴿٨٤﴾ تَوَزَّوْهُمْ أَرَأَيْتَ تَغْرِيبُهُمْ وَتَبْجِيعُهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي بِالتَّسْوِيلَاتِ وَتَجْبِيبِ الشَّهَوَاتِ ، تَبْجِيعًا شَدِيدًا .

﴿٨٤﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ﴿٨٤﴾ بِوَقْعِ الْعَذَابِ بِهِمْ لَتَطْهَرِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴿٨٥﴾ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٥﴾ أَي : إنها تؤخرهم لأجل معدود مضبوط .

﴿٨٥﴾ يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ أَي : وافدين عليه .

﴿٨٦﴾ وَنَسُوقُ الْبُجُورَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ أَي : عطاشًا ، كأنهم نَعَمَ عَطَاشٌ تُسَاقُ إِلَى الْمَاءِ .

﴿٨٧﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ الضمير في يملكون يعود لأصنامهم المتقدم ذكرها ، أي : لكن من آمن وعمل صالحًا فإنه يشفع للعصاة على ما وعد الله تعالى . والعهد بمعنى الإذن . والمقصود : لا يشفع إلا المأذون له بالشفاعة .

﴿٨٨﴾ وَقَالُوا ﴿٨٨﴾ أَي : النصراري ﴿٨٩﴾ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٩﴾ يعنون : المسيح عليه السلام .

﴿٨٩﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ عَظِيمًا مُنْكَرًا ﴿٩٠﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ﴿٩٠﴾ أَي : يتشققن ﴿٩١﴾ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ، وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا ﴿٩١﴾ .

﴿٩١﴾ أَنْ ﴿٩١﴾ لَأَنَّهُمْ ﴿٩٢﴾ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ وذلك لغيرة الجبال على المقام الرباني الأحدي أن ينسب له ما ينزه عنه .

﴿٩٢﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ .

﴿٩٣﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ مملوكًا له بأوي إليه بالعبودية والذل .

﴿٩٤﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ حصرهم وأحاط بهم إحاطة لا يخرج بها أحد عن حيطته علمه وقبضته قدرته .

﴿٩٥﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ منفردًا مجردًا من الأنباغ والأنصار ، وعمن زعم أنه له من الشفعاء .

[٩٦] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ أَي : يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة .

[٩٧] فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ ﴿٩٧﴾ أَي : سهَّلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ بِلِغَتِكَ ﴿٩٨﴾ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴿٩٨﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِقَابَ اللَّهِ ، بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ، بِالْجَنَّةِ ﴿٩٩﴾ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٩﴾ نُخَوِّفُ بِهِ هَذَا الْقُرْآنَ عَذَابَ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ بَنِي قُرَيْشٍ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ لُذْدٍ وَجَدَلٍ بِالْبَاطِلِ ، لَا يَقْبَلُونَ الْحَقَّ ، وَاللُّذْدُ : شِدَّةُ الْخُصُومَةِ .

[٩٨] وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ﴿٩٨﴾ أَي : قوم لُدٍّ ، مثل هؤلاء ، إِهْلَاكًا عَظِيمًا ﴿٩٩﴾ هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴿٩٩﴾ أَي : تشعر به وتراه ﴿١٠٠﴾ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿١٠٠﴾ أَي : صوتًا خفيًا . والمعنى : أنهم بادوا وهلكوا وخلت منهم دُورُهُمْ وَأَوْحِشَتْ مِنْهُمْ مَنَازِلَهُمْ ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ صَائِرُونَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَوْلَئِكَ ، إِنْ لَمْ يَتَذَكَّرُوا الْعَذَابَ بِالتَّوْبَةِ .

[٩٩] وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ﴿٩٩﴾ أَي : قوم لُدٍّ ، مثل هؤلاء ، إِهْلَاكًا عَظِيمًا ﴿١٠٠﴾ هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴿١٠٠﴾ أَي : تشعر به وتراه ﴿١٠١﴾ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿١٠١﴾ أَي : صوتًا خفيًا . والمعنى : أنهم بادوا وهلكوا وخلت منهم دُورُهُمْ وَأَوْحِشَتْ مِنْهُمْ مَنَازِلَهُمْ ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ صَائِرُونَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَوْلَئِكَ ، إِنْ لَمْ يَتَذَكَّرُوا الْعَذَابَ بِالتَّوْبَةِ .

[١٠٠] أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿١٠٠﴾ أَي : صوتًا خفيًا . والمعنى : أنهم بادوا وهلكوا وخلت منهم دُورُهُمْ وَأَوْحِشَتْ مِنْهُمْ مَنَازِلَهُمْ ، وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ صَائِرُونَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ أَوْلَئِكَ ، إِنْ لَمْ يَتَذَكَّرُوا الْعَذَابَ بِالتَّوْبَةِ .

[سورة طه]

سوره طه ، مكِّيَّة ، وآياتها ١٣٥ آية .

[١] طه ﴿١﴾ وَتَلَفَظَ طَاهَا . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنْ الْحَقَّ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ الَّتِي افْتَتَحَتْ بِهَا سُورَتُهَا ، أَنَّهَا أَسَاءُ لَهَا ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا مُؤَلَّفَةٌ مِنْهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي عَجْزِهِمْ عَنْ مَحَاكَاتِهَا أَبْلَغُ آيَةٍ عَلَى صِدْقِهَا .

[٢] مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ أَي : لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم ، وتَحْسِرُكَ عَلَى أَنْ يَوْمُوا .

يؤمنوا . والشقاء : في معنى التعب . [٣] إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ أَي تذكيرا له .

[٤] تَنْزِيلًا ﴿٤﴾ أَي الْقُرْآنَ ﴿٤﴾ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾

[٥] الرَّحْمَنُ ، عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : عَلَا وَارْتَفَعَ . وَقَدْ ذَهَبَ الْخَلْفُ إِلَى جَعْلِ ذَلِكَ مَجَازًا عَنْ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ ، كَقَوْلِهِمْ : اسْتَوَى فُلَانٌ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ ، وَإِنْ لَمْ يَقْعِدْ عَلَى السَّرِيرِ أَصْلًا . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ : ٥٤ .

[٦] لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ كَلِمَاتُهَا تَحْتَ مَلِكِهِ وَقَهْرُهُ وَسُلْطَانُهُ وَتَأْثِيرُهُ ، لَا تَوْجِدُ وَلَا تَحْرُكُ وَلَا تَسْكُنُ وَلَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَنْتَبِثُ إِلَّا بِأَمْرِهِ . [٧] وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ عِلْمُهُ نَافِذٌ فِي الْكُلِّ ، يَعْلَمُ ظَوَاهِرَهَا وَبَوَاطِنَهَا وَالسِّرَّ وَسِرَّ السِّرِّ .

[٨] اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ أَي : الْفَضْلُ ، لِدَلَالَتِهَا عَلَى مَعَانِي التَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ وَالتَّعْظِيمِ وَالرَّبُوبِيَّةِ .

[٩] وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ لَحْمِلَهُ ﷺ عَلَى النَّاسِ بِمُوسَى فِي الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ ، لَكُونِهِ ابْتِلَاءً فَصْبَرَ وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لَهُ .

[١٠] إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴿١٠﴾ أَي : أَبْصَرْتُهَا أَبْصَارًا بَيِّنًا لَا شَبْهَةَ فِيهِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴿١١﴾ بِشَعْلَةٍ ﴿١٢﴾ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٢﴾ أَي : هَادِيًا يَدُلُّنِي عَلَى الطَّرِيقِ . [١١] فَلَمَّا آتَاهَا ﴿١١﴾ أَي : النَّارَ ﴿١٢﴾ نُونِي : يَا مُوسَى ﴿١٢﴾

[١٢] إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ فِيَجِبُ فِيهِ رِعَايَةُ الْأَدَبِ ، بِتَعْظِيمِهِ وَاحْتِرَامِهِ لِتَجَلِّيِ الْحَقِّ فِيهِ ، وَطُوبَى : اسْمُ

لِلْوَادِي .

وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦) وَيَمِينُكَ يَمُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْبُشْ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى (١٩) فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى (٣٦) وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧)

٣١٣

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ﴾ أي : اصطفتك للنبوّة ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ أي : للذي يُوحى إليك .
[١٤] ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ خُصَنِي بالعبادة ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ لتذكرك فيها بقلبك ولسانك وسائر جوارحك بأن تجعل حركاتها دالة على ما في القلب واللسان .

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ واقعة لا محالة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي : أريد أن أخفيها ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ أي : بسعيها عن اختيار منها .

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ عن تصديق الساعة ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ما تهواه نفسه من الشهوات وترك النظر والاستدلال ﴿فَتَرْدَى﴾ فتهلك .

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى﴾ وفي الاستفهام إيقاظ له وتنبية على ما سيبدو له من عجائب الصنع .

[١٨] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا إِذَا تَعَبْتُ أَوْ وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِ الْقُطْعِ وَأَهْبُشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ حاجات أخر .

[١٩] ﴿قَالَ﴾ سبحانه ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ .

[٢٠] ﴿فَالْقَهَا﴾ موسى ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ تمشي على بطنها سريعاً فخاف منها موسى .

[٢١] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿أي : هيئتها الأولى فتعود عصاة تنتفع بها كما كنت تنتفع ، فليس القصد تخويفك ، بل إظهار ما فيها من استعداد قبول الحياة ، ومشاهدة معجزة وبرهان لك .

[٢٢] ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي : إلى إبطك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي : نيرة من غير قبح ولا عيب كيباض البرص مما ينفر عنه ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ معجزة أخرى غير العصا .

[٢٣] ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ لنريك أولاً بعض آياتنا الكبرى ، فيقوى قلبك على مناظرة الطغاة . [٢٤] ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ اذهب إليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه إلى عبادتي وحذرته نقمتي ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ جاوز الحد في التكبر والعتوّ ، حتى تجاسر وادّعى الربوبية .

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ لتحمّل الرسالة . [٢٦] ﴿وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ سهله لي لتبليغ الرسالة .

[٢٧] ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ سأل الله أن يمدّه بمنطق فصيح ، لما في لسانه من عقدة كانت تمنعه عن كثير من الكلام .

[٢٨] ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ يفهموا ما أبلغهم إياه . [٢٩] ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ يعينني في تبليغ الرسالة . [٣٠] ﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾ وكان أفصح لساناً من موسى ، عليهما السلام . [٣١] ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ قوّ به ظهري . [٣٢] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي : الرسالة .

[٣٣] ﴿كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ . [٣٤] ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ كي نتعاون على تسبيحك وذكرك .

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً بأحوالنا ، وبأن المدعوّ به مما يفيدنا .

[٣٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ أي : استجيب دُعاؤك .

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾ حيث أنعمنا عليك يا موسى قبل هذه المرة ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ في وقت سابق .

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمَمِكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْنَا نَفَسًا فَفَجَحَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى (٤٠) وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي (٤٢) أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَ لَا رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْدُ بِهِمْ قَدْ جُئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتَبَعَ الْهَدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١)

٣١٤

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَتِي﴾ بمعجزاتي ، كالعصا وغيرها ﴿وَلَا تَنِيَّا فِي ذِكْرِي﴾ أي لا تقصّرا ولا تقصّرا في ذكري بما يليق بي .

[٤٣] ﴿أَذْهَبَا﴾ الأمر لموسى وهارون عليهما السلام ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ تجاوز حدوده .

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ، ويلين عريكة الطغاة ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ عقابي .

[٤٥] ﴿قَالَ﴾ أي : موسى وهارون ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ أي : يبادرنا بالعقوبة ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ يزداد طغياناً بالعناد ، في دفع حججنا ، ثم يأمر بقتلنا .

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿لَا تَخَافَا﴾ من طغيانه أو من عقوبته ﴿إِنِّي مَعَكُمَا﴾ بالحفظ والنصرة ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ما يجري بينكما وبينه .

[٤٧] ﴿فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بإطاعتهم من الأسر والعبودية ، وتسريحهم معنا ﴿وَلَا تَعْدُ بِهِمْ﴾ بإبقائهم على ما هم عليه من التسخير والتذليل ﴿قَدْ جُئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ بمعجزة تؤيدنا ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا﴾ فصّدّقَ بآيات الله المبينة للحق .

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾ من ربنا ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ بآياته تعالى ﴿وَتَوَلَّى﴾ أي : أعرض عنها .

[٤٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ ؟ . [٥٠] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي : منح كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فسوّاه بها وعدّله ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ ثم هداه بأن وهبه العقل الذي يميز بين الخير والشر .

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ما حال القرون السالفة وما جرى عليهم ؟ .

[٣٨] ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾ ألقينا بطريق الإلهام ﴿إِلَى أُمَمِكَ﴾ يُوحَى .

[٣٩] ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ أي : الصندوق ﴿فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي : في البحر ، متوكّلة على خالقه ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي﴾ لدعواه الألوهية ﴿وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ لدعوته ذلك العدو إلى نبذ ما يدّعيه ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي : زرعته في قلب من يراك ، ولذلك أحبّك فرعون ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ وليربّي بيد العدو على نظري بالحفظ والعناية .

[٤٠] ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ﴾ : هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ؟ أي : مَنْ يضمن حضانته ورضاعته

فقبلوا قولها ، وذلك لأن آل فرعون ، عرضوا عليه المراضع فأبأها ، فجاءت بأُمّه ، وهكذا ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ﴾ مع كونك بيد العدو ﴿كَيْ تَقَرَّرَ عَيْنُهَا﴾ بِرُؤْيَاكَ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقك ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ من آل فرعون ، وهو القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي ،

إذ وكزه موسى فقصى عليه ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي : غم القتل بأن صرفنا عنك ما تخشاه من القوم الظالمين ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي : ابتليناك ابتلاءً فجعلنا لك فرجاً ومخرجاً منها ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ معزز الجانب مكفيّ المؤونة في عشرة نبيهم شعيب

عليه السلام ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ بعد أن قضيت الأجل المضروب بينك وبين شعيب من الإجارة .

[٤١] ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ جعلتك نبياً مكرماً كلياً مُنْعَماً عليه بجلال النعم .

[٥٢] قَالَ ﴿مُوسَى﴾ ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿إِنَّمَا عَلِمَهَا مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ ، مُحَصًى غَيْرَ مُنْسًى﴾ ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿وَهُوَ غَيْرُ مُحْتَاَجٍ أَصْلًا لِلتَّسْجِيلِ فِي كِتَابٍ أَوْ سِوَاهُ وَإِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ .

[٥٣] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ﴿أَي : فَرَاشًا﴾ ﴿وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ ﴿طَرَقًا﴾ ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿أَصْنَافًا مِنْ نَبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ الْأَجْنَاسِ فِي الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ وَالشَّكْلِ وَالنَّفْعِ .

[٥٤] ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ ﴿مِنْهَا﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى﴾ ﴿أَصْحَابَ الْعَقْلِ وَالتَّفَكِيرِ .

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ ﴿خَلَقْنَا أَصْلَكُمْ وَهُوَ آدَمُ ، أَوْ خَلَقْنَا أَبْدَانَكُمْ مِنَ النُّطْفَةِ الْمُتَوَلِّدَةِ عَنِ الْأَغْذِيَةِ ، الْمُتَوَلِّدَةِ مِنَ الْأَرْضِ بَوْسَاطٍ﴾ ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ بِالْإِمَاتَةِ ، إِعَادَةِ الْبَذْرِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿بَرْدَهُمْ كَمَا كَانُوا أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ ﴿أَي : لِفِرْعَوْنَ﴾ ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ ﴿مِنَ الْعَصَا وَالْيَدِ﴾ ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ ﴿أَي : فَكَذَّبَ مُوسَى وَأَبَى الْإِيمَانَ بِاللَّهِ .

[٥٧] ﴿قَالَ﴾ ﴿فِرْعَوْنَ لِمُوسَى﴾ ﴿أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُ يَا مُوسَى ؟

[٥٨] ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ﴿أَي : مُسْتَوًى وَاضِحًا يَجْمَعُنَا .

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ ﴿مُوسَى﴾ ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ ﴿وَهُوَ يَوْمٌ مَشْهُورٌ عِنْدَهُمْ بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهِ﴾ ﴿وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ﴿أَي : ضُحُوَّةُ النَّهَارِ لِيَكُونَ الْأَمْرُ مَكْشُوفًا لَا سِتْرَ فِيهِ وَيَحْضُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ ﴿أَي : انْصَرَفَ عَنِ الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ ﴿مَا يَكِيدُ بِهِ مُوسَى ، مِنَ السَّحَرَةِ وَأَدْوَاتِهِمْ﴾ ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ ﴿الْمَوْعِدَ وَمَعَهُ مَا جَمَعَهُ .

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ ﴿مَقْدَمًا لَهُمُ النَّصْحَ وَالْإِنْذَارَ ، لِيَنْقَطَعَ عِزُّهُمْ﴾ ﴿وَلِيُكَلِّمَهُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿لَا تُخَيِّلُوا لِلنَّاسِ بَاعًا أَلَيْسَ بِمُحَرَّمًا﴾ ﴿إِيمَادَ أَشْيَاءَ لَا حَقَائِقَ لَهَا ، وَأَنَّمَا خَلْقُوهُ وَلَيْسَتْ خَلْقُوهُ ، فَتَكُونُوا قَدْ كَذَبْتُمْ عَلَى اللَّهِ﴾ ﴿فَيُسْحِتْكُمْ﴾ ﴿أَي : فَيَسْتَأْصِلَكُمْ﴾ ﴿بِعَذَابٍ﴾ ﴿هَائِلٍ لَغْزَبِهِ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ افْتَرَايَ﴾ ﴿الْإِفْتِرَاءِ﴾ ﴿اِخْتِلَاقِ الْكُذْبِ .

[٦٢] ﴿فَتَنَزَّعُوا﴾ ﴿أَي : السَّحَرَةُ﴾ ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ﴿أَي : الْكَلَامَ بَيْنَهُمْ فِي مُوسَى وَهَارُونَ .

[٦٣] ﴿قَالُوا﴾ ﴿بَطْرِيقِ التَّنَاجِي وَالْإِسْرَارِ﴾ ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْنَى﴾ ﴿أَي : بِمَذْهَبِكُمُ الْأَفْضَلِ ، وَهُوَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ .

[٦٤] ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ ﴿فَأَزْمِعُوا كَيْدَكُمْ وَاجْعَلُوهُ مَجْمَعًا عَلَيْهِ ، بِحَيْثُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿ثُمَّ انْتُوا صَفًّا﴾ ﴿مُصْطَفَيْنَ ، لِيَكُونَ أَهْيَبَ فِي صُدُورِ الرَّاغِبِينَ﴾ ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ ﴿فَازَ بِالْإِنْعَامَاتِ الْعَظِيمَةِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمِثْلِهِ﴾ ﴿الْيَوْمَ مِنْ اسْتَعْلَى﴾ ﴿أَي : فَازَ مِنْ غَلَبِ .

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكُ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مِنْ افْتَرَايَ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْنَى ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَصَفُوا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَالْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا تُصَلِّبُنَا فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلِنَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّمَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهٍ مِنَ السَّحَرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿قَالُوا﴾ ﴿أَي : سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى﴾ ﴿وَتُظْهَرُ لَنَا مَعْجَزَاتُكَ ، وَهِيَ السَّحَرُ بِزَعْمِهِمْ﴾ ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ .

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ ﴿مُوسَى﴾ ﴿بَلْ أَلْقُوا ، فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ ﴿الَّتِي أَلْقَوْهَا﴾ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ ﴿أَي : حَيَّاتٌ تَسْعَى عَلَى بَطُونِهَا .

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ ﴿فَاحَسَّ﴾ ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾ ﴿وَخَافَ مِنْ تَوْهَمِ النَّاسِ الْمَشَاهِدِينَ بِأَنْ لَهُمْ مِنْ حِبَابِهِمْ وَعِصْيِهِمْ حَيَّاتٌ ، كَمَا أَنَّ لَهُ مِنْ عَصَاهُ حَيَّةٌ .

[٦٨] ﴿قُلْنَا﴾ ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ﴿بِتَأْيِيدِ اللَّهِ لَكَ عَلَيْهِمْ .

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا﴾ ﴿أَي : تَلَقَّطَهُ بِفَمِهَا وَتَبَتَّلَهُ﴾ ﴿إِنْ مَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ ﴿فِي مَقَابِلَةِ آيَةِ رَبَّانِيَّةٍ﴾ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ﴿أَي : لَا يَفُوزُ بِمَطْلُوبِهِ ، أَيْ مَكَانٍ جَاءَ لِدَفْعِ الْحَقِّ .

[٧٠] ﴿فَالْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ ﴿سَجَدَ السَّحَرَةُ بَعْدَمَا تَيَقَّنُوا أَنَّ تَلَقَّفَ عَصَا مُوسَى لِحَبَابِهِمْ وَعِصْيِهِمْ لَيْسَ مِنْ بَابِ السَّحَرِ ، وَإِنَّمَا هِيَ آيَةُ رَبَّانِيَّةٍ﴾ ﴿قَالُوا﴾ ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمَّا خَسِرَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا رَفَعَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا . قَالَ : وَذَكَرَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَوْلُهُ : ﴿وَالْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ قَالَ : رَأَوْا مَنَازِلَهُمْ تَبَيَّنَ لَهُمْ وَهُمْ فِي سَجُودِهِمْ - ابْنُ كَثِيرٍ .

[٧١] ﴿قَالَ﴾ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ ﴿أَي : فَاتَّفَقْتُمْ مَعَهُ لِيَكُونَ لَكُمْ الْمَلِكُ﴾ [رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ : لَمَّا رَأَى السَّحَرَةُ مَا جَاءَ بِهِ عَرَفُوا أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَخَرُّوا سُجَّدًا ، وَآمَنُوا عِنْدَ ذَلِكَ ، قَالَ عَدُو اللَّهِ : ﴿فَلَا قُطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ ﴿مِنْ جَانِبَيْنِ مُتَخَالِفَيْنِ﴾ ﴿وَلَا تُصَلِّبُنَا فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ ﴿الَّتِي هِيَ أَقْوَى الْأَشْخَابِ وَأَخْشَنُهَا﴾ ﴿وَلِنَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ﴿يَعْنِي : أَنْكُمْ إِنَّمَا آمَنْتُمْ بِرَبِّ مُوسَى خَوْفًا مِنْ شِدَّةِ عَذَابِهِ ، أَوْ مِنْ تَخْلِيدِهِ فِي الْعَذَابِ ، وَقَصْدُهُ : إِظْهَارُ اقْتِدَارِهِ وَبَطْشِهِ عَنْ السَّيِّئِ : فَقَتَلَهُمْ وَقَطَعَهُمْ] .

[٧٢] ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ ﴿أَي : نَخْتَارُكَ بِالْإِيمَانِ وَالْإِتِّبَاعِ وَنَفْضُكَ﴾ ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا﴾ ﴿مِنَ اللَّهِ عَلَى يَدِ مُوسَى﴾ ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿الَّذَالَةَ عَلَى رَسُولَاتِهِ وَوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ﴾ ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ ﴿وَعَلَى الَّذِي خَلَقْنَا﴾ ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ ﴿اصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعُهُ﴾ ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿أَي : إِنَّمَا تَقْضِي فِيهَا وَهِيَ لَا بَقَاءَ لَهَا ، وَلَا سُلْطَانَ لَكَ بَعْدَهَا .

[٧٣] ﴿إِنَّمَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحَرِ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿ثَوَابًا .

[٧٤] ﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ ﴿فَيَنْقُضِي عَذَابَهُ﴾ ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿حَيَاةَ طَبِيعَةٍ .

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ ﴿الْمَنَازِلُ الرَّفِيعَةُ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ .

[٧٦] ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿أَي : تَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ، بِمَا ذَكَرَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي يابساً . فاضرب موسى بعصاه البحر فانفلق وجاوزه إلى ساحله ﴿لَا تَخَافْ دَرَكًا﴾ أي : لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقاً .

[٧٨] ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ لأنه ندم على الإذن بتسريحهم من مصر ، وأنهم قهروه على قتلهم ، فتبعهم ومعه جنود حتى لحقوهم ، ونزلوا في الطريق الذي سلوكه ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي : علاهم موج البحر وغمرهم ، مما لا يحاط بهوله .

[٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ أوردهم الهلاك ، بعتوه وعناده في الدنيا والآخرة ، وما هداهم سبيل الرشاد .

[٨٠] ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ وهو فرعون وقومه ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ بمناجاة موسى وإنزال التوراة عليه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ المن : طعام كالعسل ، والسلوى من الطيور ذات اللحم الجيد .

[٨١] ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من لذائذه ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ فيما رزقناكم ، بأن يتعدى فيه حدود الله ويخالف ما أمر به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ ومن يَحِلُّ عليه غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿أي : هلك .

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ أي : تاب عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق ، وعمل عملاً صالحاً بجوارحه ، ثم اهتدى ، أي استقام .

[٨٣] ﴿وَمَا أَغْوَيْنَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ أي شيء عجل بك عنهم ، والسؤال على سبيل الإنكار .

[٨٤] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿هُمُ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي﴾ قادمون ينزلون بالطور ، وإنما سبقتهم بما ظننت أنه خير ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ عني بمسارعتي إلى الامتثال لأمرك ، واعتنائي بالوفاء بعهدك .

[٨٥] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ أي : ابتليناهم بعد ذهابك للمناجاة ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ يعني : اليهودي الذي وسوس لهم أن يعبدوا عجلاً اتخذوه إلهاً ، لما طالت عليهم غيبة موسى ويتسوا من رجوعه ، والسامري في لغة العرب بمعنى : اليهودي .

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ أي : حزناً ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ بإنزال التوراة علي ، ورجوعي بها إليكم ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ أي : زمان الإنجاز ، أو يجيئي ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات .

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ أي : ما أخلفنا موعدك ، بأن ملكنا أمرنا ، ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ أي : أثقالاً وأحمالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ من حلّي قوم فرعون ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ في النار لسبكها ﴿فَكَذَّبْتَ الْقَى السَّامِرِيُّ﴾ أي : كان إلقاؤه .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ وَيَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَبْحَيْنَكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدَكُمُ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَغْوَيْنَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَّبْتَ الْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا آلَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونُ مَأْمَنُكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

تراعه في الاستخلاف والوجود بين ظهرائهم .

[٩٥] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ثم أقبل موسى على السامري وقال له مُنْكَرًا : ما شأنك فيما صنعت ؟ وما دعاك إليه ؟ .

[٩٦] ﴿قَالَ﴾ السامري ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ فطنت لما لم يفتنوا له ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ قال عامة المفسرين : المراد بالرسول : جبريل عليه السلام ، وأراد بأثره التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته ، وهذا ليس عليه أثارة من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم ، فهنا وجه آخر وهو : أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم ، والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل ، فقال : ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي : عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق ، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول ، أي شيئاً من سُتُك ودينك فقدفته ، أي طرحته ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي : تركتها على الرأي الأخير ، وقذفتها في الحلي المذاب على الرأي الأول ﴿وكذلك سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي : حسنته وزينته .

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ المراد : المنع من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحد عقوبة له ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ أي : لعذابك ﴿مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ﴾ ، وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿لنطيرنه رماداً في البحر ، بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر .

[٩٨] ﴿إِنَّا إِلَهُكُمُ﴾ المستحق للعبادة والتعظيم ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي : أحاط علمه كل شيء .

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ صنع لهم من الحلي المذابة ﴿عَجَلًا جَسَدًا آلَهُ خُورًا﴾ جعل فيه منافذ ومخارج ، بحيث تدخل فيها الرياح فيخرج صوت يشبه صوت العجل ﴿فَقَالُوا﴾ أي : السامري ومن افتتنوا به ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أي : غفل موسى عنه وذهب يطلبه في الطور .

[٨٩] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أفلا يرون أن العجل لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف يتخذ إلهاً ؟ .

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي : قبل رجوع موسى إليهم ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أي : ضللتم بعبادته ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ في عبادته سبحانه ، ونبد العجل .

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ سنبقى مقيمين على عبادته ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ .

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادتهم العجل .

[٩٣] ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ ما منعك أن تلحقني وتخبرني بضلالهم ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وهو ما أمره به من أن يخلفه في قومه ، ويصلح ما يراه فاسداً .

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يَا ابْنَ أُمِّ﴾ أراد : أُمِّي ، وذكرها أعطف لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ أي : بشعري ، وكان موسى قد قبض عليها يجره إليه من شدة غضبه ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بتركهم لا راعي لهم ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ لم

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ يا محمد ﷺ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ، وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ كتاباً عظيماً جامعاً لكل كمال ، وسمى القرآن : ذكراً ، لما فيه من ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم ، ومن ذكر آلاء الله ونعمائه .

[١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ يعني عقوبة ثقيلة .

[١٠١] ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ في العذاب المستمر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ .

[١٠٢] ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ والنفخ في الصور تمثيل لبعث الله للناس يوم القيامة بسرعة لا يمثلها إلا نفخة في بوق . وعلينا أن نؤمن بما ورد من النفخ في الصور ، وليس علينا أن نعلم ما هي حقيقة ذلك الصور ، والبحث وراء هذا ، عبث لا يسوغ للمسلم ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي : نسوقهم إلى جهنم ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ أي : زرق الوجوه ، بمعنى سود الوجوه .

[١٠٣] ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارون من الرعب والهول ، أو من الضعف ، قائلين : ﴿إِنْ لَبِثْنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشْرًا﴾ أي : عشر ليال : يستقصرون مدة إقامتهم في الدنيا لما يرونه من أهوال الآخرة .

[١٠٤] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي : نحن أعلم بما يقولون إذ يقولون ﴿أَمْثَلُكُمْ طَرِيقَةً﴾ أي : أعددهم رأياً وأصوبهم ﴿إِنْ لَبِثْنَا إِلَّا يَوْمًا﴾ لسرعة زوال الدنيا عبر عن قلته بما ورد .

[١٠٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ أي : هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ يتساوى مع سطح الأرض . ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ سهلًا مستويًا ﴿صَفْصَفًا﴾ أملس .

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ سهلًا مستويًا ﴿صَفْصَفًا﴾ أملس .

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ أي : نتوءاً يسيراً .

[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ أي : يجيئون الداعي إلى المحشر ، فيقبلون من كل صوب إليه ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ لا يعوج له مدعو ، ولا ينحرف عنه ، بل يستوون إليه ، متبعين لصوته ، سائرين بسيره ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي : انخفضت لهيبته وهول الفزع ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ إلا صوتاً خفياً .

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ يومئذ لا يستطيع أحد أن يشفع لأحد ، إلا إذا أذن الله له .

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أي : بمعلوماته أو بذاته العلية .

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي : ذلت وخضعت خضوع العناة ، أي : الأسارى ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ .

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ أي : نقص ثواب ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ ولا كسراً منه ، بعدم توفيته .

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ عبارات شتى ، تصريحاً وتلويحاً ، وضروب الأمثال ، وإقامة البراهين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي بالفعل ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ انعاظاً واعتباراً يؤول بهم إلى التقوى .

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْنَا إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْنَا إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ الْيَتِيمَ إِلَى آدَمَ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ أَذْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَيْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

[١١٤] ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي : تناهى في العلو والعظمة ، بحيث لا يقدر قدره ، ولا يغدر أمره في ملكه الذي يعلو كل شيء ، ويصرفه بمقتضى إرادته وقدرته ، وفي عدله الذي يوفي كل أحد حقه بموجب حكمته ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ بل أنصت ، فإذا فرغ الملك من قراءته فاقراه بعده ، وقد كان رسول الله ﷺ إذا لقنه جبريل الوحي ، يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة ، لكيال اعتناؤه بالتلقي والحفظ ﴿وَقُلْ : رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أسأل الله زيادة العلم ، فإن مدده غير متناه .

[١١٥] ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ﴾ أي : من قبل هذا الزمان ، أن لا يقرب من الشجرة ﴿فَنَسَى﴾ العهد ﴿وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي : تصميمياً في حفظه ، إذ لو كان كذلك ، لما أزل الشيطان ولما استطاع أن يغره .

[١١٦] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود احترام وتقدير لا سجود عبادة ﴿فَسَجَدُوا﴾ أي : الملائكة ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ وإبليس هو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ، رفض أمر الله بالسجود لآدم .

[١١٧] ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ إذا أصغيت إليه واتبعت ما يطلب منك عمله ﴿فَتَشْقَى﴾ في الأرض .

[١١٨] ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ .

[١١٩] ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ لا تتصون

من حر الشمس .

[١٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ الوسوسة : الكلام الخفي ، والمقصود به : إغراء الشيطان ﴿قَالَ يَا آدَمُ ، هَلْ أَذْلَكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ من أكل منها خلد ولم يمت ﴿وَمُلْكٍ لَيْلَى﴾ لا يفنى .

[١٢١] ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يلزقان ﴿مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ فحصل لهما هذا الخزي بدل عز الملك المخلد ، وهذه الأوراق الفانية بدل نفائس الملابس الخالدة ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ بارتكاب النهي ، وترك العزم في حفظ العهد ﴿فَغَوَى﴾ عن المأمور به ، حيث اعترى يقول الشيطان . [١٢٢] ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ﴾ أي : قربته ووقفه للإنابة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ .

[١٢٣] ﴿قَالَ﴾ الله ﷻ ﴿لَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى﴾ أي : انزلا من الجنة إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فالعداء قائم في الدنيا بين الناس أنفسهم ، وبينهم وبين إبليس الذي يدعو إلى أنواع المفاسد ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ من كتاب ورسول ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى﴾ لا في الدنيا ولا الآخرة .

[١٢٤] ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ ومن أعرض عن هدايتي فأهملها ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ الضنك : الضيق في كل شيء ، للذكر والأثني . قال ابن كثير : أي : ضنكاً في الدنيا ، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدرة ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ .

[١٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا .

[١٢٦] ﴿قَالَ تَعَالَى كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ أَهْمَلْتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۖ أَيُّ نَهْمَل أَمْرَكَ ۖ﴾ [١٢٧] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۖ وَكَهَذَا نَجْزِي الْمُسْرِفِينَ الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى مِنْ صُنْكَ الْعِشَى فِي الدُّنْيَا ۖ﴾ [١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ۖ أَيُّ : أَلَمْ يَتَيَّنْ لَهُوَلَاءِ الْمَكْذِبِينَ ۖ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ ۖ مِنْ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ لِلرُّسُلِ ۖ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ۖ يَرِيدُ قَرِيشًا ۖ وَكَانُوا يَتَقَلَّبُونَ فِي بِلَادِ عَادَ وَثَمُودَ وَلِوُطَ وَيَعَانُونَ أَثَارَ هَلَاكِهِمْ ۖ وَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ بَاقِيَةٌ وَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ ۖ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِقَوْمٍ يُذَكَّرُونَ ۖ﴾ [١٢٩] ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ بَيَانٌ لِحُكْمَةِ تَأْخِيرِ عَذَابِهِمْ ۖ وَالْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ : الْقَضَاءُ السَّابِقُ أَنْ لَا يَسْتَأْصِلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالْدمَارِ وَالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا لَكُنْ نَبِيَّهُمْ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ۖ﴾ [١٣٠] ﴿فَاصْبِرْ ۖ الْمُرَادُ بِالصَّبْرِ عَدَمُ الْاضْطِرَابِ لَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ ۖ عَلَى مَا يَقُولُونَ ۖ مِنْ كَلِمَاتِ الْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ ۖ وَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ ۖ صَلِّ وَأَنْتَ حَامِدٌ لِرَبِّكَ عَلَى هِدَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ ۖ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ۖ يَعْنِي صَلَاةَ الْفَجْرِ ۖ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ يَعْنِي صَلَاةَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ۖ وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَيِّحْ ۖ يَعْنِي صَلَاةَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ۖ وَالْآنَاءُ : الْأَوْقَاتُ ۖ وَأَطْرَافُ النَّهَارِ ۖ تَكَرِيرٌ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْمَغْرِبِ ۖ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۖ أَيُّ : رِجَاءُ أَنْ تَنَالَ مَا بِهِ تَرْضَى نَفْسَكَ ۖ مِنْ رَفْعِ ذِكْرِكَ ۖ وَنَصْرِكَ عَلَى عَدُوِّكَ وَبُلُوغِ أَمْنِكَ ۖ﴾

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۖ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ۖ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِقَوْمٍ يُذَكَّرُونَ ۖ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنْ آيِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۖ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ ۖ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۖ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ وَأَمْرًا أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۖ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ۖ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ۖ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ۖ﴾

٣٢١

[١٣١] ﴿وَلَا تُمَدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ۖ أَيُّ : أَصْنَافًا مِنَ الْكُفَرَةِ ۖ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ أَيُّ : زِينَتُهَا ۖ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۖ لِنَخْتَبِرَهُمْ فِيهَا مَتْنَعَانَهُمْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَنَبْتَلِيَهُمْ ۖ لِأَنَّ ذَلِكَ زَائِلٌ ۖ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ أَيُّ : ثَوَابُهُ الْآخِرِيُّ خَيْرٌ فِي نَفْسِهِ مِمَّا مَتَّعُوا بِهِ وَأَدْوَمٌ ۖ﴾ [١٣٢] ﴿وَأَمْرًا أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ۖ يَعْنِي بِأَهْلِهِ : أَهْلَ بَيْتِهِ أَوْ التَّابِعِينَ لَهُ ۖ أَيُّ : مَرَّهْمُ بِإِقَامَتِهَا لِتَجْذِبَ قُلُوبَهُمْ إِلَى خَشْيَةِ اللَّهِ ۖ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ عَلَى أَدَائِهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۖ وَالْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ مِنْ عَمَلٍ كُلِّ عَامِلٍ لِأَهْلِ التَّقْوَى وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ ۖ﴾ [١٣٣] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ۖ يَعْنُونَ مَا تَعْتَمِدُوا فِي اقْتِرَاحِهِ مِمَّا قَدِمَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ الْآيَتَيْنِ ٩٠ وَ ٩١ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ أَوَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيَانٌ مَا فِي الْكُتُبِ الَّتِي قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَنْبَاءِ الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ ۖ كَيْفَ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الْآيَاتِ ۖ فَكَفَرُوا بِهَا لَمَّا أَتَتْهُمْ فَعَجَّلْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ ۖ وَأَنْزَلْنَا بِهِمْ بِأَسْنَانٍ بِكْفَرِهِمْ بِهَا ۖ﴾ [١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ۖ أَيُّ : مِنْ قَبْلِ إِيَّانَا الْبَيِّنَةِ ۖ أَوْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ۖ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ ۖ بِالْعَذَابِ الدُّنْيَوِيِّ ۖ وَنَخْزَى ۖ بِالْعَذَابِ الْآخِرِيِّ ۖ وَالْخِزْيُ : الذِّلُّ ۖ﴾ [١٣٥] ﴿قُلْ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا الْكُفَرَةُ الْمُتَمَرِّدِينَ ۖ كُلُّ ۖ مَنَا وَمِنْكُمْ ۖ مُتَرَبِّصٌ ۖ مُتَنَظِّرٌ لِمَا يُوَلِّهِ أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ ۖ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ ۖ عَنْ قَرِيبٍ ۖ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ ۖ الْمُسْتَقِيمِ ۖ وَمَنِ اهْتَدَى ۖ أَيُّ : هَلْ هُوَ النَّبِيُّ وَتَابِعَا ۖ أَمْ هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَتَابِعَاهُمْ ؟ ۖ﴾

[سورة الأنبياء]

سُمِّيَتْ سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ لِاسْتِهَاةِهَا عَلَى فُضَائِلِ جَلِيلَةٍ ، لِحَاجَةِ الْمُنَافِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ، وَاسْتَشْنَى مِنْهَا بَعْضُهُمْ آيَةَ : ٤٤ . وَهِيَ ١١٢ آيَةً . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : بَنَى إِسْرَائِيلُ وَالْكَهْفُ وَمَرْيَمُ وَطَهُ وَالْأَنْبِيَاءُ ، هُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ .

[١] ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ۖ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۖ﴾ [٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ ۖ وَهُوَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ۖ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۖ تَقْرِيعٌ لَهُمْ عَلَى مَكَافِحَةِ الْحِكْمَةِ بِنَقِيضِهَا ، وَتَسْجِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالْجَهْلِ الْفَاضِحِ .

[٣] ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۖ غَافِلَةٌ عَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ ۖ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى ۖ أَسْرَوْا هَذَا الْحَدِيثَ لِيَصْدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ الَّذِينَ ظَلَمُوا : هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ۖ اعْتَقَدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَلَكًا ، وَأَنْ كُلَّ مَنْ ادَّعَى الرِّسَالَةَ مِنَ الْبَشَرِ وَجَاءَ بِالْمُعْجِزَةِ هُوَ سَاحِرٌ ، وَمُعْجِزَتُهُ سِحْرُهُ ۖ أَفَنَاتُونَ السَّحَرُ ۖ أَيُّ : تَتَقَادُونَ لَهُ وَتَتَّبِعُونَهُ ۖ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۖ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ وَتَعَانُونَ أَنَّهُ سَحَرٌ ؟

[٤] ﴿قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ ۖ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ ۖ لَمَّا أَسْرَوْهُ ۖ الْعَلِيمُ ۖ﴾ [٥] ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ ۖ أَيُّ : أَخْلَاطٌ يَرَاهَا فِي النَّوْمِ ۖ بَلْ افْتَرَاهُ ۖ أَيُّ اخْتَلَقَهُ ۖ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ۖ أَيُّ : مَا أَتَى بِهِ شَعْرٌ يَخِيلُ لِلنَّاسِ مَعَانِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا ۖ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۖ أَيُّ : طَلَبُوا مُعْجِزَاتٍ مَادِيَةً كَنَاقَةِ صَالِحٍ وَعَصَا مُوسَى لِيُؤْمِنُوا بِهِ .

[٦] ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَيُّ : لَمْ يُؤْمِنْ أَيُّ مِنَ الْأُمَمِ الْمُهْلَكَةِ عِنْدَ إِعْطَاءِ مَا اقْتَرَحُوهُ مِنَ الْآيَاتِ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۖ أَفَهُوَلَاءِ يُؤْمِنُونَ لَوْ أَجِيبُوا إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَأَعْطُوا مَا اقْتَرَحُوا ، مَعَ كَوْنِهِمْ أَعْتَى مِنْهُمْ وَأَطْفَى ؟

[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ۖ لَا مَلَائِكَةً ۖ نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ، فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ۖ أَيُّ الْعُلَمَاءِ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ أَنْ الرُّسُلَ بَشَرٌ ، فَيَعْلَمُوكُمْ أَنَّ الْمُرْسَلِينَ لَمْ يَكُونُوا مَلَائِكَةً .

[٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ۖ أَيُّ : جَسَدًا مُسْتَغْنِيًا عَنِ الطَّعَامِ ، بَلْ مَحْتَاجًا إِلَى ذَلِكَ ۖ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۖ فِي الدُّنْيَا ، بَلْ كَانُوا يَعِيشُونَ ثُمَّ يَمُوتُونَ . [٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ ۖ فِي غَلَبَتِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ ۖ فَانْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ ۖ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَمَنْ قَضَتِ الْحِكْمَةُ بِإِبْقَائِهِ ۖ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۖ الْمَجَاوِزِينَ الْخُدُودَ فِي الْكُفْرِ .

[١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَيُّ : شَرَفَكُمْ وَحَدِيثَكُمْ الَّذِي تُذَكَّرُونَ بِهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۖ وَهُوَ إِنْكَارُ تَوْبِيخِي ۖ﴾ [فِيهِ ذِكْرُكُمْ] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : شَرَفَكُمْ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : حَدِيثَكُمْ . وَقَالَ الْحَسَنُ : دِينَكُمْ - ابْنُ كَثِيرٍ .

٣٢٢

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ وكم أهلكنا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ من قَرْيَةٍ كانت ظَالِمَةً ﴿بِالْعَاصِي وَالْكَافِر﴾ وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا﴾ عذابنا النازل بهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين .

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا﴾ عذابنا النازل بهم ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ لا تَرْكُضُوا ، وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴿مِنَ التَّنْعِيمِ وَالْتَّلَذُّ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ التي كثر فيها إسرافكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ أي : تَقْصِدُونَ للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل . والقول كله من باب الاستهزاء بهم وبِحَالِهِمْ .

[١٣] ﴿لَا تَرْكُضُوا ، وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من التَّنْعِيمِ وَالْتَّلَذُّ وَمَسَاكِنِكُمْ ﴿التي كثر فيها إسرافكم﴾ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿أي : تَقْصِدُونَ للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل . والقول كله من باب الاستهزاء بهم وبِحَالِهِمْ .

[١٤] ﴿قَالُوا﴾ لما أيقنوا بنزول العذاب ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

[١٥] ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي : تلك الكلمة ، وهي : يَا وَيْلَنَا ، تدوم عليهم ما أمكنهم النطق ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ أي : كنبات محصود ﴿خَامِدِينَ﴾ هالكين بإخماد نار أرواحهم .

[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ بل للإنعام عليهم ، وما أنعمنا عليهم بذلك إلا ليقوموا بشكرها وينصرفوا إلى ما خُلِقُوا لَهُ .

[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا لَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ لو أردنا أن نتخذ ما يتلهم به ويلعب لاتخذناه من عندنا ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ جوابها محذوف دل عليه ما قبله ، أي : لاتخذناه .

[١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ بل شأنه أن يدحض الباطل بالحق ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يمحقه بالكلية كما فعلنا بأهل القرى المحكية ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي : هالك بالكلية ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ مما تصفونه به من اتخاذ الولد ونحوه ، مما تنتزه عظمته عنه .

[١٩] ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي : مُلْكًا وَتَدْبِيرًا ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ وهم الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَضَعُونَ مِنْ تَنْزِيلِهِ عِبَادَتَهُ﴾ لا يعيرون ولا يتبعون منها .

[٢٠] ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي : يبعثون الموتى ويخرجونهم من العدم إلى الوجود .

[٢١] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي : في السموات والأرض ﴿إِلَهًا إِلَّا اللَّهَ﴾ آلهة غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لبطلتا بما فيها جميعاً ، واختل نظامهما المشاهد ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من وجود شرك له فيها ، فسبحوه سبحانه اللائق به ، ونزهوه عما يفترون .

[٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ آلهة غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لبطلتا بما فيها جميعاً ، واختل نظامهما المشاهد ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من وجود شرك له فيها ، فسبحوه سبحانه اللائق به ، ونزهوه عما يفترون .

[٢٣] ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وعلوه وحكمته وعدله ولطفه ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ الضمير للعباد .

[٢٤] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ كرهه استعظماً لكفرهم ، وإظهاراً لجهلهم ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي دليلكم على ما تفترون ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِمَّنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ فهو عظة أمي ، وبه نطق الكتب الإلهية قاطبة ، وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إلى الهدى .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ .

[٢٦] ﴿وَقَالُوا﴾ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿[قال ابن جرير: قال قتادة: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذيباً لهم ورداً عليهم]﴾ سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿أي مقرَّبون .

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي : يتبعون قوله ، فلا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى أو يأمرهم به كما هو شأن العبيد المؤمنين ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ فلا يعصونه في أمر .

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مما قدَّموا وأخروا ، فهو المحيط بهم علماً ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾ أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ أي : قهره ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون .

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي : من الملائكة ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ وأي ظلم أكبر من الشرك بالله أو ادعاء الألوهية .

[٣٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ رَتْقًا﴾ أي : لا تَطْرُق ولا تنبت ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ بالطر والنبت . فالفتق والرتق استعارة . فبعد أن كانت الأرض رَتْقًا متماسكة الأجزاء ، شققناها شقاً مرئياً مشهوداً ، كما تراه في الأرض بعد الري . أو شقاً بالنبت . وقيل : الرق : مجاز عن العدم ، والفتق : عن الوجود . وقال بعض علماء الفلك : كانتا رَتْقًا أي شيئاً واحداً . ومعنى : ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فصلنا بعضهما عن بعض وجعلنا من الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ .

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ أي : جبالاً ثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ لئلا تتحرك وتضطرب بهم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ إلى مصالحهم .

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ على الأرض ، كالقبة عليها ﴿مَحْفُوظًا﴾ عالياً محروساً أن يُنَال ، أو محفوظاً من التغير بالمؤثرات ، مهما تطاول الزمان ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ عما وضع الله فيها من الأدلة والبراهين ، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة .

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ليتحركوا لمعاشهم وينشطوا لأعمالهم ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ضياءً وحسباناً ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ كل واحد منهما يجري في الفلك ، كالسباح في الماء . والفلك في اللغة كل شيء دائر .

[٣٤] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿نزلت هذه الآية حين قالوا : نرتبص به ريب المنون ، فكانوا يقدِّرون أنه سيموت ، فيشتمون بموته ، لما يأملون ذهاب الدعوة النبوية ، فنفى الله تعالى عنه الشبهة بهذه الآية ، بما قضى أنه لا يُخْلَدُ في الدنيا بشراً .

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ونَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ ﴿أي : نخبركم بما يجب فيه الصبر من المصائب ، وما يجب فيه الشكر من النعم﴾ فِتْنَةً ﴿أي : اختباراً﴾ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر .

وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِبْرَاهِيمَ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُونَ الرَّحْمَنَ
هُمْ كَفَرُوا ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ
لَا يَكْفُوتُ عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ رَدِّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ
الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِتَّائِيصِحْبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم مُسْتَهْزِئُونَ قريش ، كأبي جهل وأضرابه ممن كان يسخر من رسالته ﷺ . [أخرج ابن أبي حاتم رحمه الله عن السدي رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدثان ، فلما رآه أبو جهل ضحك ، وقال : ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب من غير عهده فنزلت : ﴿وَإِذْ أَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية - ابن كثير] ﴿إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ هذا الذي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴿يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ يسوء ويعيبها ، تعجباً منهم من ذلك - ابن جرير] ﴿وَهُمْ يَذْكُرُونَ الرَّحْمَنَ﴾ أي : بإرشاده الخلق يبعث الرسل وإنزال الكتب رحمة عليهم ، أو بالقرآن ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي : فهم أحق أن يهزأ بهم . [٣٧] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ﴾ جعل لفطر استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ أي : نقاتي في الدنيا كوقعة بدر ، وفي الآخرة عذاب النار ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالإنبياء بها . [٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الموعود من العذاب الأخروي ، بطريق الاستهزاء والإنكار ، لا لتعيين وقته ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في إتيانه . [٣٩] ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وَجْهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أي : لا يدفونها عن أشرف أعضائهم وأقواها ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ بدفع أحد عنهم . [٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ فجأة فتحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدِّهَا﴾ بسبب من الأسباب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي : يمهلون ليستريحوا طرفة عين . [٤١] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ أي : نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي : عذابه ، أو جزاؤه . [٤٢] ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ﴾ أي : يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ أي : من بأسه أن يفجأكم ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ لا يخطرونه ببالم ، فضلاً أن يخافوا بأسه . [٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴿وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ آلِهَتُهُمْ﴾ وكيف تستطيع آلهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا ، وهي لا تستطيع نصر أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ مِتَّائِيصِحْبُونَ﴾ ولا هي بمصحوبة منا بالنصر والتأييد . فيصحبون ، بمعنى : يجارون ، يقال : صحبك الله ، أي : أبارك وسلمك . [٤٤] ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ إن الداعي إلى غيهم وعنادهم هو ما مُتَّعُوا به في الحياة الدنيا ونُعموا به هم ومن قبلهم حتى طال عليهم الأمد ، لا تأتيتهم واعظة من عذاب ولا زاجرة من عقاب حتى حسبوا أنهم على شيء وأنهم لا يُغلبون ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي : ننقص أرض الكفر فنخرها من نواحيها بقهرنا أهلها وغلبتنا لهم وإجلالهم عنها وقتلهم بالسيوف ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أفهؤلاء المشركون المستعجلون بالعذاب الغالبون لنا ، وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا في أطراف الأرض ؟ .

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذَكَرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ﴿٥٧﴾

[٤٥] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ تنزيل الله الذي يوحى إلي من عنده ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ فهم لا يصغون بسمع قلوبهم إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكرى ، فيتذكرون بها ويعتبرون فينزعجون إذا ثلّي عليهم .

[٤٦] ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ ولئن أصابهم أدنى شيء من عقوبته تعالى ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأذعنوا وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم في التَّصَام والإعراض وعبادة تلك الآلهة وتركهم عبادة من خلقهم .

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بيان لما سيقع عند إتيان ما أنذروه : نقيم الموازين العادلة الحقيقية التي توزن بها صحائف الأعمال ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من حقوقها ، بل يُؤق كل ذي حق حقه ﴿وإن كان العمل أو الظلم مثقال حبة من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم منا .

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي : التوراة كتاباً فارقاً بين الحق والباطل ﴿وَضِيَاءً﴾ يستضاء به في ظلمات الجهل ﴿وَذَكَرًا﴾ يتعظ به الناس ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره .

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ يخافون عذابه ، وهو غير مُشَاهِدٍ لهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وجلون أن تأتي الساعة التي تقوم فيها القيامة فيردوا على

رَبِّهم ، قد فطروا في الواجب عليهم الله ، فيعاقبهم بما لا قبل لهم به . [٥٠] ﴿وَهَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ﴾ يتذكر به من يتذكر ﴿مُبَارَكٌ﴾ كثير الخير والنفع ﴿أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ مع ظهور كون إنزاله كإتياء التوراة ؟ لأنهم معترفون بغيره مما في أيدي أهل الكتاب .

[٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي : هدايته للحق وهو التوحيد الخالص ﴿من قبل﴾ من قبل موسى وهارون ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ علمنا أنه أهل لما آتيناه .

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ أي : ما هذه الصور الخفية التي عكفتم على عبادتها . استفهام تحقير لها وتوبيخ على العكوف على عبادتها . [٥٣] ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ فقللناهم وتأسينا بهم .

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين إلى دليل أو برهان . [٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ أي : بالجد في دعوى الرسالة ونسبتنا إلى الضلال ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ .

[٥٦] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ الضمير في : فطرهن ، للسموات والأرض أو للتماثيل ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي : المبرهنين عليه بالحجة .

[٥٧] ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ لأحتالن لفضيحتها بإظهار عجزها ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ﴾ بفراغكم من عبادتها .

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوبُوا بِهِ
 عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ
 هَذَا بِإِلهِنَا يَا ابْنِ الْهَيْمِ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ
 رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ أي : قطعاً مكسرة ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فيسألونه : لم فعل بأفئتهم ؟ فإذا ظهر عجزه عن النطق ، فمن دونه أعجز منه في ذلك .
 [٥٩] ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ الفعل الفطيع ﴿بِإِلهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لجأته على إهانتها وهي الجديرة عندهم بالتعظيم .
 [٦٠] ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي : يعيهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ .
 [٦١] ﴿قَالُوا فَاتُوبُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي : يحضرون عقوبته .
 [٦٢] ﴿قَالُوا : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا ابْنِ الْهَيْمِ﴾ .
 [٦٣] ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ يعني الذي تركه لم يكسره ﴿فَسْأَلُوهُمْ﴾ يبيسوك ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ لم يكن قصد إبراهيم صلوات الله عليه أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم .
 [٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ فراجعوا عقولهم ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بهذا السؤال ، أو عبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع ، لا من كسرها .
 [٦٥] ﴿ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي : حياء من نقصهم ، وخضوعاً وانفعالاً من إبراهيم ، قائلين : لقد عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ؟ أي : ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم ؟
 [٦٦] ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؟
 [٦٧] ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ أي : قبح صنيعكم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع . قال الزخشي : أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل ، فتأفف بهم .
 [٦٨] ﴿قَالُوا : حَرِّقُوهُ﴾ لأنه استحق أشد العقاب عندهم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي : بالانتقام لها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ به شيئاً .
 [٦٩] ﴿قُلْنَا﴾ تعجيزاً لهم ولأصنامهم ، وعناية بمن أرسلناه ، وتصديقاً له في إنجاء من آمن به ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ أي : باردة على إبراهيم ، مع كونك محرقة للحطب ﴿وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ولا تنتهي في البرد إلى حيث يهلكه ، بل كوني غير ضارة ، أزال عنها ما فيها من الحر والاحتراق ، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق ، والله على كل شيء قدير .
 [٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أرادوا أن يكيدوه بالإضرار ، فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين .
 [٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ لأنه هاجر معه ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي أرض الشام ، بورك فيها بكثرة الأنبياء وإنزال الشرائع ، وبكثرة النعم والخصب والثمار ، وقد نزل إبراهيم عليه السلام بفلسطين ، ولوط عليه السلام بسدوم .
 [٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ استجابة لدعوته : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي : زيادة وفضلاً من غير سؤال ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ بالاستقامة والتمكين في الهداية [قال ابن جرير : ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولداً ويعقوب ولد له ، نافلة له] .

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا أَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْتِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ جعلناهم أئمة ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يهدون الدين ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يهدون الناس إلى الحق بأمرنا لهم بذلك وإذننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ مما يختص بالقلوب أو الجوارح ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ وكانوا لنا عابدين ﴿بالتوحيد الخالص والعمل الصالح﴾ .
 [٧٤] ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي : حكمة ، وهو ما يجب فعله ﴿وَعِلْمًا﴾ بما ينبغي علمه للأنبياء ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ أي : من عذابها ﴿التي كانت تعمل الخبائث﴾ يعني اللواط ، وكانت أشنع أفعالهم ، وبها استحقوا الهلاك ، ولذا ذهب بعض الفقهاء إلى رمي اللوطي منكساً من مكان عال ، وطرح الحجارة عليه ، كما فعل بهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسَقِينَ﴾ .
 [٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي : في أهلها ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ العاملين بالعلم ، الثابتين على الاستقامة .
 [٧٦] ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي : دعا ربه في إهلاك قومه لما كذبوه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو الطوفان ، أو من الشدة والتكذيب والأذى .
 [٧٧] ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي : نصرناه نصراً مستتبعا للانتصار والانتقام من قومه ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿فلم يبق منهم أحد كما دعا نبيهم﴾ .
 [٧٨] ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ أي : الزرع ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ رعته ليلاً ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ أي : لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما عالين .
 [٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي : الفتوى أو الحكومة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ فكان القضاء فيها قضاءه ، لا قضاء أبيه . وعن ابن عباس أن غنماً أفسدت زرعاً بالليل ، فقاضى داود بالغنم لأصحاب الحرث ، فقال سليمان : بل تؤخذ الغنم فتدفع إلى أصحاب الزرع فيكون لهم أولادها وألبانها ومنافعها ، ويبدل أصحاب الغنم لأهل الزرع مثل زرعهم فيعمروه ويصلحوه ، فإذا بلغ الزرع الذي كان عليه ، ليلة نفشت فيه الغنم ، أخذ أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها ، والله أعلم بالحقيقة ﴿وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وكل واحد منها آتينا حكمة وعلماً كثيراً ، لا سليمان وحده ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي : سَخَّرْنَا الجبال والطير يقدس الله معه ، بصوت يتمثل له أو يُخَلِّقُ فيها ، وتقديس الجبال على الطير ، لأن تسبيحها أعجب وأدل على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ، لأنها جماد .
 [٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ أي : لداود عليه السلام ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ عمل الدروع الملبوسة ﴿لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ لتحفظكم من جراحات قتالكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ نعم الله عليكم ؟
 [٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ أي : سخرناها له ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وهي بيت المقدس ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ما تقتضيه الحكمة البالغة فيه .

[٨٢] ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ في البحر لاستخراج نفائسه ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي : غير ذلك كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع العجيبة ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ مؤيدين معينين . والشياطين المذكورون ، إما مردة الإنس وأشدّاءهم ، وإما مردة الجن لظاهر اللفظ .

[٨٣] ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ أي : اذكر أيوب وما أصابه من البلاء ودعاءه ربه في كشف ما نزل به ﴿إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ .

[٨٤] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ وقد روي أن أيوب عليه السلام ، لما امتحن وصبر وشكر ، رحمه مولاه فعادت له صحة بدنه وأوتي [ضعف] ما فقداه ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ ورزق عدة أولاد ، وعاش عمراً طويلاً ﴿وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ﴾ أي : تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر ، حتى يُثابوا كما أُثيب في الدنيا والآخرة .

[٨٥] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ كلٌّ من الصّابرين ﴿عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ﴾ وعلى احتمال الأذى في نصرة دينه تعالى ، ففيهم أعظم أسوة .

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في النبوة ، أو في نعمة الآخرة ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصّٰلِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح .

[٨٧] ﴿وَذَا النُّونِ﴾ يعني : صاحب الحوت ، وهو يونس عليه السلام ، نزل في سفينة سائرة إلى ترشيش ليقم فيها ، فأرسل الله ريحاً شديدة على البحر ،

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

أشرفت السفينة معه على الغرق ، فتخفف الركاب من أمتعتهم فلم يقد ، فوقع في أنفسهم أن في السفينة شخصاً سيهلكون بسببه ، فافترعوا لينظروا من هو ، فخرجت القرعة على يونس ، فقفوه في البحر وهياً الله حوتاً ليونس فابتلعه ، فدعا ربه فاستجاب له ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاصِبًا﴾ غاصب قومه العصاة ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضيّق عليه في مغاضبته لقومه ، إذ ظن أنه محسن في عمله ذلك ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي : في بطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّٰلِمِينَ﴾ بخروجي من القرية التي أمرتني بالدعوة فيها .

[٨٨] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ فلفظه الحوت إلى الساحل ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا كانوا في غم ، وأخلصوا في أديعتهم منيبين . وفي الحديث : (دعوة ذي النون ، لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط ، إلا استجاب له) رواه أحمد والترمذي .

[٨٩] ﴿وَزَكَرِيَّا﴾ أي : واذكر خبره ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ حين طلب أن يهبه ربّه ولداً يكون من بعده نبياً ، ولا يتركه فرداً وحيداً بلا وارث ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الوارث : هو الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك ، وذلك هو سبحانه ، إذ هو الباقي بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شيء ومصيره .

[٩٠] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ﴾ أي : أصلحناها للولادة بعد عقرها ، معجزة وكرامة له ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ كانوا يبادرون في كل باب من الخير ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ راغبين في الثواب راجين للإجابة [ورغبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته] ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ مخبتين متضرعين .

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لَكُمْ جُوعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُوبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُوقِلْنَآ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

[٩١] ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ واذكر نبأ التي أحصته إحصاناً كلياً ، عن الحلال والحرام جميعاً ، وهي : مريم بنت عمران ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ نفخنا الروح في عيسى فيها ، أي : أحييناه في جوفها ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وقد كان من آياتها إتيان الرزق لمريم في غير أوانه ، وتثمير النخل اليابس ، وإجراء العين ، ونطق ابنها في المهد ، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص .

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي : ملة التوحيد والاستسلام لمعبود واحد لا شريك له ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ، والخطاب للناس كافة ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ غير مختلقة ، بل هي ملة واحدة ، وجميع الأنبياء ورسول الله على ملة واحدة ودين واحد ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ لا إله لكم غيري ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ ولا تشركوا بي شيئاً .

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ تفرق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ، ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزاباً ومللاً ﴿كُلُّ إِلَهٍ لَكُمْ جُوعُونَ﴾ فهو محاسبهم ومجازيهم ، المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

[٩٤] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فمن عمل من هؤلاء ، الذين تفرقوا في دينهم ، بما أمر الله به من العمل الصالح ، وأطاعه في أمره ونهيه ، وهو مقرر بوحدانية الله ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾ بل يشكر الله عمله هذا ، ويثيبه ثواب أهل طاعته ﴿وَإِنَّا لَهُ﴾ أي : لسعيه المشكور ﴿كَاتِبُونَ﴾ مثبتوه في صحيفة أعماله .

[٩٥] ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وحرام على أهل قرية فسقوا عن أمر ربهم ، فأهلكهم بذنوبهم ، أن يرجعوا إلى أهلهم .

[٩٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ عَلمٌ لكل أمة كثيرة العدد مختلطة من أجناسٍ شتى ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ يسرعون متجندين لقهر أعدائهم ، تحت راية نبيهم أو أميره أو خليفته .

[٩٧] ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ طلعت طلائع النصر والقهر ، ودحر الباطل والكفر ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لهول ما حل بساحتهم والدهوة منه ، قائلين : ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي : لم نعلم أنه حق ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا ، بالإحلال بالنظر والإباء والعناد

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان والأصنام ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ ما يُرمى به إليها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ أي : داخلون . وفي المعاجم : ورد : حَصَرَ .

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فلا منجى لهم منها .

[١٠٠] ﴿هُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ﴾ ترديد نفس والمقصود : العذاب الذي يولد زفيراً قوياً ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ من الهول وشدة العذاب .

[١٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أي : الخصلة الحسنة ، وهي السعادة أو التوفيق ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لأنهم في غرفات الجنان آمنون ، إذ وقاهم ربهم عذاب السعير .

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي : صوتاً يحسُّ به منها ، لبعدهم عنها وعما يفرعهم ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [قال ابن جرير : وهم فيما تشتهي نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كثون فيها ، لا يخافون زوالاً عنها ، ولا انتقالاً عنها] .

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ للحشر ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تستقبلهم مهيئين لهم قائلين : ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا ، وتُبَشِّرُونَ بنيل المثوبة الحسنى فيه .

[١٠٤] ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ والطي ضد النشر ﴿كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ كما يطوى السجل وهو الكتاب . وطي السماء كناية عن انكدار نجومها ، ومحو رسومها ، بفساد تركيبها واختلال نظامها ، فلا يبقى أمر ما فيها من الكواكب على ما نراه اليوم ، فيخرب العالم بأسره ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : (يحشر الناس خُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا ، فأول من يكسى إبراهيم) ثم قرأ الآية : أخرجه ابن جرير] ﴿وَعَدْنَا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي : منجزين إياه .

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ وهو كتاب داود عليه السلام ، ويقال : المراد به كل كتاب منزل ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ أرجح الأقوال أن المقصود بالذكر : اللوح الذي كتب فيه كل شيء قبل الخلق ، والله أعلم ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه .

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا﴾ البلاغ : الكفاية ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ يعبدون الله ، بما شرعه وأحبه ورضيه ، ويؤثرون طاعته على طاعة الشياطين وشهوات النفس .

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فإن ما بُعِثَ به سبب لسعادة الدنيا والآخرة .

[١٠٨] ﴿قُلْ : إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فهل أنتم مُسْلِمُونَ ﴿مُنْقَادُونَ لِمَا يُوحِي مِنَ التَّوْحِيدِ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ له ؟

[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَقُلْ : أَذْنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي : أعلمتكم وهديتكم على كلمة سواء بيننا وبينكم ، نؤمن بها ونجني ثمرات سعادتها في الدارين ﴿وَأِنْ أَدْرِي﴾ وما أدري ﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الفتح عليكم ، وإيراث أرضكم غيركم ، ولحوق الذل والصغار بعصيانكم .

[١١٠] ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ فسيجزىكم على ذلك .

[١١١] ﴿وَأِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم ، أو ابتلاء ليُنظر كيف تعملون ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ أي : تمتع لكم إلى أجل مقدور ، والتمتع بمعنى الإبقاء والتأخير .

[١١٢] ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ أي : افصل بيننا وبينهم بالحق ، وذلك بنصر من آمن بما أنزلت على من كفر ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من الكذب والافتراء على الله ورسوله ، بنصر أوليائه ، وقهر أعدائه .

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ أَذْنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتِقَوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرْوُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّרِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

[سورة الحج]



سميت الحج لاشتغالها على أصل وجوبه والمقصود من أركانها ، وهي مكية سوى ثلاث آيات : ١٩ - ٢٢ . وقيل : كلها مدنية . وآياتها ٧٨ آية .

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يأمر تعالى عباده بتقواه ، والآية من جوامع الكلم ، في فعل المأمورات واجتناب المنهيات . والزلزلة : التحريك الشديد والإزعاج العنيف . والساعة : القيامة . [اختلف المفسرون في زلزلة الساعة . هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة ، أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجدانهم فقال قائلون : هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة ، وعن علقمة رحمه الله قال : قبل الساعة . وعن عامر الشعبي رحمه الله قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة - ابن كثير] .

[٢] ﴿يَوْمَ تَرْوُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ وهو طفلها ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ أي : ما في بطنها غير تمام ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ كأنهم سكارى ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ على التحقيق ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ولكن خوف عذاب الله ، هو الذي أذهب عقولهم .

[٣] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي : يخاصم في شأنه تعالى بغير علم ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ عات متمرد ، كرؤساء الكفر الصادقين عن الحق . [٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ أي : قضى على الشيطان ﴿أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ يضل من تولاها بأن اتخذه ولياً ، وتبعه ، ولا يهديه إلى الحق ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يسوقه إلى عذاب جهنم الموقدة . قيل : نزلت الآية في النضرين الحارث وكان جدلاً . [٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾ وكونه مقدوراً له تعالى ، أو من وقوعه ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلقنا أول آبائكم ، أو أول موادكم ، وهو المني ، من تراب ، إذ خلق من أغذية متولدة منه ، والبعث خلق من تراب ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ تولدت من الأغذية الترابية ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي : قطعة من الدم جامدة ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ أي : قطعة من اللحم بقدر ما يُمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي : مصورة وغير مصورة . والمراد : تفصيل حال المضغة وكونها أولاً قطعة لم يظهر فيها شيء من الأعضاء ، ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً ، [قال ابن جرير : المخلقة : المصورة خلقاً تاماً ، وغير مخلقة : السقط قبل تمام خلقه] ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدرج ، قدرتنا وحكمتنا وأن من قَدَّرَ على تغييره وتصويره أولاً ، قدر على ذلك ثانياً ﴿وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الوضع ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ وهو كمال قوتكم وعقلكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ بعد بلوغ الأشد أو قبله ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو الهرم والخرف والأردل : لكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ أي : من بعد علم كثير ، شيئاً من الأشياء ، أو شيئاً من العلم ، مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ ميتة يابسة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ أي : المطر ﴿اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ انتفخت وعلت ، لما يتداخلها من الماء ويعلو من نباتها ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن رائق يسر ناظره .